

مواضيع مختارة

إعداد

محمد ناجي سنان





بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: الخطيب الناجح (مواضيع مختارة)

المؤلف: محمد ناجي سنان.

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٨٨٢٢.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٢٦٠.

القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف: عادل المسلماني.

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

٢٠١٣

الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥١٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥١٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان فرع النزهة

أمام كوبري النزهة القديم - النزهة - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥١٧٧٦٩ - ٢٨١٦٠٤٢

فرع القاهرة

العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر

درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - القاهرة.
تليفون: ٢٥١٢٠٦٢١

E-mail

dar_aleman@hotmail.com



مواضيع مختارة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

فهذا الجزء الرابع ، من سلسلة الخطيب الناجح ، تحت عنوان (مواضيع مختارة) وقد جاء هذا الإصدار ، إتماماً للأجزاء السابقة ، التي تم نشرها وطباعتها: في دار الإيمان، ودار القمة بالإسكندرية، وتحمل العناوين الآتية

(المناسبات الهجرية – الرقائق والإيمانيات – مواضيع منوعة)

واستكمالاً لهذا الجهد المتواضع ، فقد تم بحمد الله ، إعداد هذا الجزء الرابع ، إضافة إلى ما سبق نشره في الأجزاء السابقة آنفة الذكر .

وختاماً أخص بالذِّكر ، الأخ / يسري محمد عبد الله ، صاحب دار الإيمان ، بالشكر والعرفان ، وجزيل الامتنان ، لأنه تبنى وساعد على نشر هذا الجهد المتواضع ، طباعة وتوجيهاً وتشجيعاً ، فله من الله خير الجزاء ، وناله من الأجر الحظ الأوفى .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ،،،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

كتبه

محمد ناجي سنان

اليمن – تعز



القضاء في الإسلام

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميتَ من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرًا.

أما بعد أيها المسلمون: إن ولاية القضاء ، من أجلِّ الولايات وأعظمها شأناً ، وأشرفها قدراً ، وهي ضرورة شرعية من الضروريات، والحاجة إليها داعية على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب ، نظراً لأن الإنسان بطبيعته مجبور على الخصام والجدال ، وحب الذات والأنانية ، وهذه طبيعة بشرية ، أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾(هود:١١٨ - ١١٩) .

ولاشك أن الخلاف بمفهومه العام ، كله شر ، سواء كان في أصول الدين أو فروعه ، وكم من مسألة من مسائل الاعتقاد ، أو فروع الدين، وقع بسببها خلاف وفتن عظيمة ، بل وقتال ، وسفك للدماء بين المسلمين، كما حصل للصحابة رضوان الله عليهم في مقتل عثمان ، وفي حرب الجمل وصفين ، وهذا مصداق لقوله عليه الصلاة والسلام (يئس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم) وحسماً لفتيل الخلاف ، وردعاً للظالمين والمعتدين ، وأصحاب النفوس الشريرة ، كان

القضاء في الإسلام ضرورة شرعية ، في حياة كل أمة من الأمم ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الحج: ٤٠) ،والقضاء رتبة شريفة ، ومنزلة رفيعة ، من أرفع الأعمال وأشرفها وأخطرها مكانة في المجتمع ، وحاجة الناس إليه اليوم ماسّة جداً، بعد أن ذاقوا مرارة الظلم وجور السلطان.

مشروعية القضاء:

ولذلك أرسل الله الرسل ، مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب والميزان بالحق ، ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه ، فكان الأمر واضحاً لداود عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص:٢٦) ، وفي السنة ما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال : (**لا حسد إلّا في اثنتين: رجلاً آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس**) والحكمة هنا: هي العلم والرأي السديد ، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب ، فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**) وقد باشر النبي ﷺ القضاء بنفسه ، منذ الوهلة الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية ، بل في الجاهلية أُختير حكماً وقاضياً بينهم ، عندما تنازعوا في بناء الكعبة ، وقد كان ﷺ يفصل بينهم في الخصومات ، وينفذ العقوبات، أو يأمر بتنفيذها ، كما دل على ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها عندما قالت: قال رسول الله ﷺ : (**إنكم تختصمون إليّ ، وإنما أنا بشر أقضي بينكم على نحو ما أسمع . ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فإذا قضيت له من حق أخيه شيئاً**

فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار) والنبي ﷺ لمّا استقر به المقام في المدينة، بعث القضاة إلى الأقاليم ، فأرسل علياً ومعاذاً رضي الله عنهما إلى اليمن، فهذا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت يا رسول الله ، ترسلني وأنا حديث السن ، لا علم لي بالقضاء، فقال: إن الله يهدى قلبك ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقضينّ حتى تسمع من الآخر ، كما سمعت من الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء) ولمّا بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن ، اختبره الرسول ﷺ فقال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال: أقضي بكتاب الله ، قال: فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال: بسُنَّة رسول الله ، قال: إن لم تجد في سُنَّة رسول الله؟ قال: أجتهد رأى ولا آلوا) فضرب النبي ﷺ بصدره وقال: **(الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسولُ الله)** ويتضح ممّا سبق أن رسول الله ﷺ كان يفصل بين أهل المدينة فيما يحصل بينهم من شجار وخصام ، حتى اليهود كانوا يحتكمون إليه ، كما في قصة اليهودي الذي زنا بيهودية ، فقضى بينهما رسول الله ﷺ .

شروط القضاء :

إذًا أيها المؤمنون ، القضاء يمثل إحدى الولايات العامة ، وهذا يستدعي اختيار القاضي الكفؤ الذي هو أهلاً لشغل هذا المنصب ، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦﴾ (القصص:٢٦)، ولما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرنّ على اثنين ، ولا تَولين مالَ يتم)** وكذلك عند التولية والتعيين ، يجب الابتعاد عن محاباة الأقارب والمعارف،

وأصحاب المصالح الدنيوية . عملاً بما جاء في الحديث ، فقد روي الحاكم عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**من ولي من أمر المسلمين شيئاً ، فأمر عليهم أحداً ، محاباة ، فعليه لعنةٌ ، لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ، حتى يدخل جهنم**) وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (**من استعمل رجلاً من عصابة ، وفيهم من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**) فالحاكم المسلم ، إذا عيّن للقضاء ، السراق والمجرمين والمرتشين ، أو أحداً من أقاربه وحاشيته ، أو عصابته ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ونظراً لهيبة القضاء ونزاهته ، فقد وضع الفقهاء المسلمون ، شروطاً خاصة ، تتعلق بهذه الوظيفة ، والتي منها: العقل ، والبلوغ ، والإسلام ، والحرية ، وعليه فلا يصح تقليد الصبي للقضاء ، لأن الرسول ﷺ استعاذ من إمارة الصبيان بقوله : (**تعوذوا بالله من رأس السبعين ، ومن إمارة الصبيان**) رواه الإمام أحمد.

أمّا شرط الإسلام:

فلا يجوز تقليد الكافر للقضاء بين المسلمين ، إستنادًا لقوله تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء:١٤١)،وفي آية أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (آل عمران:١١٨)، فهم يكنّون لنا أكبر العداوة والحقد الدفين في صدورهم.

إذًا ما رأيكم بالمسلمين الذين يذهبون إلى بلاد الكفار ، ويقدمون شكواهم وتظلماتهم إلى الأمم الكافرة ، والأمم المتحدة ، التي تُظهر العداء للمسلمين ، وتتعامل معهم وكأنهم نعاج أو قطيع من الغنم ، فإذا أنُتهكت

حقوق النصارى كما يزعمون ، هبّت الأمم الكافرة بقضّها وقظيظها ، تذود عنهم ، وتنافح من أجلهم ، كما حصل في أندونسيا ، أو في قرية الكشح ، في صعيد مصر ، أمّا المسلمون فيقتلون ويذبحون ويشردون من ديارهم وأوطانهم ، ويُعتدى على أعراضهم ومقدساتهم ، من قِبَل اليهود والنصارى وأعوانهم ، ولا يجدوا من الأمم الملحدة ، إلا الإدانة ضدهم وليس معهم ، لماذا ؟ لأنهم مسلمون .

وعليه نقول: كيف يرضى المسلمون بهذه الطاغوتية العالمية، التي تسلبهم أدنى كرامات الإنسانية ،ولكن:

من يهن يسهل الهوان عليه ∴ ما لي جرح بميت إيلام

أذلوا أنفسهم فأذلهم الله ، بعد أن كان اليهود والنصارى ، هم الذين يتحاكمون إلينا ، فيحكم عليهم سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يقتل مُقَاتِلُوهم، وتسبى نساؤهم وذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فيقول ﷺ: (**قضيت بحكم الله يا سعد**)، وفي رواية أخرى (**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**) **أمّا اليوم:** فقد أصبحنا نحن المسلمون نذهب إليهم ونستغيث بهم ، ضد من؟ ضد إخواننا وأحبابنا ، وعليه كلما فعلوا جريمة في فلسطين، أو انتهكوا عرضاً من المسلمين ، تضرعنا إليهم واستغثنا بهم ، وعبدناهم من دون الله، ولهذا جاء في الحديث ، قالوا: يا رسول الله ، فإنا لا نعبدهم ، قال: أليس يحلّون لكم فتحلون ، ويحرمون عليكم فتحرمون ، قالوا: بلى ، قال: فتلك عبادتكم إياهم) .

ولمّا وفد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان معه كاتب نصراني ، فغضب عمر وخاصمه ، وقال: أما سمعت قول

الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ (المائدة:٥١) ، ألا اتخذت -حنيفاً مسلماً ، فقال: يا أمير المؤمنين ، لي كتابته وله دينه ، قال: لا أكرمهم وقد أهانهم الله ولا أعزهم وقد أذلهم الله.

ثانيا : **شرط التقوى والصلاح** :

وهذا من الشروط اللازمة للقضاء، الصلاح في الدين ،والتحلي بالمروءة والأخلاق ، وعليه فلا يجوز أن يكون الفاسق قاضياً ، لأنه غير مؤتمن ، فاقد لشروط العدالة ، والفاسق قد عرّفه الرسول ﷺ بقوله لأبي ذر رضي الله عنه : **(كيف أنت إذا كانت عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها ، قال أبو ذر** رضي الله عنه : **فما تأمرني أن أفعل؟، قال: صلّ الصلاة لوقتها ، فإن أدركتها معهم فإنها لك نافلة)**، وقال ﷺ: **(سيكون بعدي أمراء ، يؤخرون الصلاة عن أوقاتها ، فصلوها لوقتها ، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة)** رواه مسلم، وقد ذهب الشافعية والحنابلة ، وكذلك المالكية ، إلى أن الفاسق إذا ولي القضاء، أثم مولّيه وبطلت ولايته، ولا ينفذ شيء من قضائه حتى لو صادف الحق، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (الحجرات:٦)،وكما أن الفاسق لا يصلح شاهداً ، فهو من باب أولى ، لا يصلح قاضياً ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (النور:٤)، فلا يصلح قاضياً، لأن الشهادة أقل رتبة من القضاء.

ثالثا : **شرط الذكورة** :

أما الذكورة: فشرط لازم من لوازم القضاء ، وعليه فلا يجوز تولية المرأة القضاء، وكذلك لا يجوز توليتها المناصب العليا والعامّة في الدولة ، لأن

أنوثتها تفرض عليها خصائص تناسبها من حيث الحضانة والرضاعة والأمومة ، وتربية أولادها تربية حسنه ، ولما يعرض عليها من عوارض طبيعية متكررة في الأشهر والأعوام ، كالحيض والنفاس وغيرها ، وقد ذهب جمهور الفقهاء ، إلى أنه لا يجوز تولية المرأة القضاء . فإذا وليت ، أثم موليها ، ولا ينفذ قضاؤها حتى لو وافق الحق ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (النساء: ٣٤)، فإذا كانت القوامة للرجل ، وكان من خصائص المرأة الإبتعال ، وتربية الأولاد ، فكيف يحق لها أن تتولى الوظائف الكبرى ، ومنها القضاء ، والمرأة في أصلها وتكوينها ، ناقصة عقل ودين ، كما قال ﷺ لمعشر النساء: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين ، أذهب للبّ الرجل الحازم ، منكنّ . قلن: يا رسول الله ، وما نُقصان ديننا وعقلنا ؟ قال: أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ؟ قلن: بلى ، قال: فذلك نُقصان عقلها ، ثم قال: أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم؟ قلن: بلى ، قال: فذلك نقصان دينها) رواه البخاري.

وفي إحدى التجارب النسوية ، أعلنت إحدى النساء المجربات ، هذه الحقيقة التكوينية ، التي جبلت عليها المرأة الضعيفة ، فتقول الأستاذة عزيزة عصفور ، إحدى المحاميات في مصر : إنني ممّن تخرجت من كلية الحقوق ، وزاولت المحاماة أكثر من عشر سنين ، ونجحت فيها نجاحاً كبيرًا ، ولكن أعلن بصراحة ، أن النيابة والمحاماة معاً ، تتنافيان مع طبيعة المرأة ، وتتعارضان مع مصلحتها ، إن الدين والأخلاق والعرف الحميد، يحتم على المرأة أن تعيش بعيدة عن مواطن الفتنة والإغراء والزلل ، ثم تقول في آخر كلامها: ولقروية ساذجة في حجرها طفل صغير ، أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة ، وألف محامية.

إن خروج المرأة من بيتها لممارسة القضاء ، فيه أمور تنافي الأخلاق والآداب الإسلامية ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: (**إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاؤكم ، وأمركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلائكم ، وأموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها**) رواه الترمذي ، الشاهد من الحديث: (**وأموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها**) وعن أبي بكر رضي الله عنه ، قال: لمّا بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى ، قال : (**لن يفلح قوم ولوّا أمرهم امرأة**) رواه أحمد في مسنده والترمذي في سُننه.

ولا شك أن النهي المستفاد من الحديث ، يمنع كل امرأة في أي عصر من العصور ، أن تتولى أي شيء من الولايات العامة ، وهذا المنع ، هو ما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ وجميع أئمة السلف ، وكذلك الخلف يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولى المرأة للإمامة الكبرى ، والقضاء وقيادة الجيش وغيرها من سائر الولايات العامة ، وقد يقول قائل من دعاة تحرير المرأة: كيف أن عائشة رضي الله عنها تولت قيادة الجيش ، وتزعمت الثورة ضد الإمام علي رضي الله عنه ، ولم ينكر عليها أحد من كبار الصحابة ، وهذا غير صحيح ، فإن عائشة رضي الله عنها ، لم تخرج زعيمة لثورة ، أو قائدة لجيش ، كما ذكر ذلك ابن حجر -رحمه الله تعالى-، وإنما خرجت رجاء المثوبة واغتنام الأجر ، بأن يكون وجودها أثناء الخلاف ، سبباً لإصلاح ذات البين بين المسلمين ، وعملاً بقوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ النساء:١١٤، وقد ثبت أن عائشة رضي الله عنها ، أقَرَّتْ أنها كانت خاطئة في اجتهادها وخروجها

عندما وصلت إلى مياه بني عامر، فنبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوأب، قالت: ما أظنني إلّا راجعة، فقد سمعت النبي ﷺ يقول ذات يوم: (كيف بإحداكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب) أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم.

إذًا كيف يحق للمرأة اليوم، أن تتولى القضاء، أو قيادة الجيش، أو المرافق العامة، وفي الأمة كباراتها ورجالاتها الأبطال، والله المستعان وعليه التكلان.

مرجعية القضاء التاريخية:

وإن كل أمة من الأمم، لابد أن يكون لها مرجعية تاريخية تفتخر بها، وقوة تستند إليها، لتحكم بين أفرادها وشعوبها، والقضاء في الإسلام: هو بمثابة قوة ردع سريع، تقهر الظالمين وتعيد الحقوق إلى أهلها، ولذلك فقد كان القضاة في الإسلام، في غاية من العلم والزهد والورع والاستقلال، ولم يكن القضاة في عصر الخلفاء الراشدين يطلبون القضاء لأنفسهم، بل كان الخليفة هو الذي يأمر بتوليتهم هذه المناصب العالية، أمّا اليوم: فقد أصبح القضاة هم الذين يأمرون الخليفة بتوليتهم، وبعضهم يدفع أموالاً طائلة لكي يصل إلى هذه المناصب، فإذا وصلوا ذبحوا وسلخوا، ولو استطاعوا أن يأكلوا لفعلوا، وما علموا أنها أمانة، وأنها يوم القيامة خزي وندامة، وما علموا أنه قاضيان في النار، وقاضي في الجنة، ولمّا تولى الخلافة أبو بكر الصديق ﷺ، أوكل مهمة القضاء في المدينة، لعمر ابن الخطاب ﷺ، فمكث سنة لا يأتيه رجلان متخاصمان، فلمّا انتهى العام، جاء إلى أبي بكر، وقال: لا حاجة لي بقضائك، أمّا خارج المدينة،

فكان أبو بكر الصديق ، يستعمل الولاة ويعهد إليهم بمهمة القضاء بين الناس، فاستعمل عتاب بن أسيد على مكة ، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، وأبو موسى الأشعري على زبيد وعدن وساحل اليمن ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، شهد القضاء اهتماماً واسعاً ، فكان أول من فصل وظيفة القضاء عن بقية الوظائف الأخرى للدولة الإسلامية ، وهو أول من سنّ أرزاق القضاة ورواتبهم من بيت مال المسلمين ، ومن أهم قضاته في المدينة: أبو الدرداء ، وفي البصرة: شريح ، وبالكوفة: أبو موسى الأشعري ، الذي كتب له في القضاء رسالته المشهورة ، التي تدور عليها أحكام القضاء ، ولقد اهتم المسلمون بهذه الرسالة اهتماماً كبيراً ، وسموها دستور القضاء ، وقد تناولها ابن القيم بشرح طويل مسهب في كتابه أعلام الموقعين ، نظراً لما تحتويه هذه الرسالة من أصول ومبادئ في القضاء، وقد سار عثمان بن عفان رضي الله عنه قُدُماً إلى الأمام في سبيل تطوير القضاء، فخصص داراً للقضاء بعد أن كان مقره المسجد قبل ذلك ، وتولى القضاء بنفسه في المدينة ، وكان يساعده على ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزيد بن ثابت، والسائب بن يزيد رضي الله عنه ،ولمّا تولى الخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، سار على نهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في توجيه الرسائل إلى الولاة والقضاة ، يحثهم فيها على تقوى الله وطاعته ، وأن يعدلوا في حكمهم ، وما ولّوا عليه، وكان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، علماً من أعلام القضاء الإسلامي، بل كان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو لحسن والحسين.

طلب التعيين في القضاء:

وهناك من النصوص التي وردت في الكتاب والسنة ، تحثُّ المسلمين

القادرين على تولي القضاء، ولهم سابقة في ذلك، يوسف عليه السلام، عندما خاطبه الملك، قال: ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ طلب الولاية لنفسه، لأنه يملك خصلتين من خصال العدل، فقال: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ وإذا تعين شخص للقضاء ولم يوجد غيره، أصبح في حقه واجباً، دفعاً للضرر، وإقامة للعدل، ومالا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، ولكن ما هو الحكم إذا طلب الإنسان القضاء لنفسه وهو لا يحسن القضاء، أو طلبه للتعالي على الآخرين، أو للانتقام من أعداءه، أو طلبه للتكاثر في المال بالرشوة والاختلاس، فهذا حرام عليه أن يتولى أمور المسلمين، حتى لو كان عنده عمامة كبيرة، أو مسبحة طويلة، فهو جاهل أجهل من حمار أهله، ومن طلب القضاء لنفسه لتحقيق مآربه الشخصية، وشهواته النفسية، فقد ذُبح بغير سكين، كما قال ﷺ : **(من جُعل قاضياً بين الناس، فقد ذُبح بغير سكين)** رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، والذي ينبغي ويجب، ألاّ يتولى القضاء من يطلبه ويحرص عليه، لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **(إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً يسأله أو يحرص عليه)** وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : **(يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة، أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة، وُكِّلْتَ إليها)**.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سأل القضاء، وكل إلى نفسه، ومن أجبر عليه، أنزل الله ملكاً يسدده)** رواه ابن ماجة وأبو داود، وكذلك من يرى في نفسه أنه ضعيف، وأنه غير قادر على تحمل هذه الأمانة، أمانة القضاء، فما عليه إلّا أن يفرّ منها كما يفر من الأسد، لحديث أبى ذر رضي الله عنه، قال: قلت يارسول الله، ألا تستعملنى ؟ قال: إنك ضعيف، وإنها

أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلّا من أخذها بحقها ، وأدّى الذي عليه فيها) ومعنى أخذها بحقها ، التماس العدل والإنصاف ، وتحقيق ذلك بين المتخاصمين ، لقول الرسول ﷺ: (من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ، ثم غلب عدله جوره ، فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله ، فله النار) رواه أبو داود ، فالترغيب هنا للتخويف من الوقوع في متاهات القضاء وطرقه الشائكة.

إلتماس العدل في القضاء :

لأن المقصود التزام العدل بين المتخاصمين ، وهو أسمى درجات القضاء ، وأعلى مراتب العدالة في الإسلام ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (النساء:٥٨)، والعدل: هو إعطاء كل ذي حق حقه ، دون حيف أو جور ، بل العدل ، واجب مع النفس والأقربين، كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (النساء:١٣٥)، وكذلك: نحن ملزمون بالعدل ، حتى مع أعداء الإسلام، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ المائدة:٨، أي لا يحملنّكم بغض قوم وعداوتكم لهم، على أن لا تعدلوا معهم ، بل التزموا العدل في كل شيء، ولهذا جاء في السُنَّة أن العادلين المقسطين يوم القيامة على منابر من نور، كما قال ﷺ : (**إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا**) ولكن أين العادلون في هذا الزمان ، أين هم من قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما تولى الخلافة: أيها الناس ، اعلموا أن الضعيف فيكم عندي قوي

حتى آخذ الحق له،والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه) وأين العادلون اليوم ، من قول الرسول ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما : (**أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطعت يدها**).

وإذا ذُكر العدل في الإسلام ، ذُكر عدل عمر رضي الله عنه ، الذي سجّله التاريخ في سيرة العادلين ، نذكر لكم قصة من عدل عمر رضي الله عنه ، كما جاء في السِّير، أن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، كان واليه في مصر ، وحدث خصام بين قبطي من أقباط مصر ، و ابن الوالي عمرو ، فصكّ هذا الابن المفتخر بأبيه، ذلك القبطي ، صكّة في وجهه ، ولم يجد ذلك النصراني من يأخذ له بحقه، أو ينصره ، غير أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وهو في المدينة المنورة ، فشدّ راحلته وعدّ عدته للسفر إلى مدينة الحبيب محمد ﷺ ، حيث هناك عمر الفاروق رضي الله عنه ، الذي فرّق الله به بين الحق والباطل ، فلمَا وصل إلى المدينة المنورة ، ورفع مظلمته إلى عمر رضي الله عنه ، وما أدراك ما عمر ، فأرسل عمر رضي الله عنه من فوره رسالة إلى واليه في مصر: أمّا بعد يا عمرو ، إن وصلك كتابي هذا ليلاً، فأتني صباحاً، وإن وصلك صباحاً ، فأتني ليلاً ، فما إن وصلت الرسالة العاجلة، حتى يمم وجهه إلى عاصمة الخلافة الراشدة ، فما إن رأى عمراً ، ارتعدت فرائصه:

يا من يرى عمراً تكسوه بردته ∴ الزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقاً ∴ وملوك الروم تخشاه

فأمسكه عمر بتلابيبه وقال: يا عمر و ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) الله أكبر ، إن هذا هو الإسلام ، وعند إذن ، فما كان من هذا القبطي إلّا أن قال ، بعد أن شاهد جزءً يسيراً من عدالة

الإسلام: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، إذًا نحن الآن نطالب الخليفة عمر ﷺ ، أو الحاكم المسلم الذي حلّ محلّ عمر ﷺ ، أن ينصف أولئك المظلومين من المسلمين ، فكم من الرسائل والبرقيّات، التى يرفعها المستضعفون من المسلمين إلى قضاتهم وحكّامهم ، ولكنها لا تجد إلّا أبواباً مغلقة موصدة، دون حاجتهم وخلّتهم ، فتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب سبحانه وتعالى: وعزتي وجلالي ، لأنصرنّك ولو بعد حين، فأين القضاة العادلون، وأين الحكام المسلمون المتسلطون على شعوبهم ، الذين يحكمون بالحديد والنار ، فأين هم من عدالة الإسلام ، وأينهم من حقوق الإنسان ، الذي كرمه الله عز وجل في البر والبحر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٠) .

مبدأ تطبيق الشرعيّة في الإسلام:

إذًا يحق لنا أن نسأل ، أين هم من عصر الخلفاء الراشدين ، الذي انعقد فيه الإجماع ، على أنهم قد ساروا على منهج الرسول ﷺ في حكمهم وتطبيقهم لشرع الله ، فقد كانوا قدوة في تطبيق القانون على أنفسهم قبل غيرهم ، ولم يضعوا أنفسهم فوق القانون ، بل جعلوا أنفسهم مع غيرهم أمام شرع الله سواء ، فقد تولى الخلافة أبو بكر الصديق ﷺ ، بطريقة مشروعة ، ولم تكن ولايته بالقوة والمال ، وإنما كانت بالرضا والاختيار ، بعد ما رشّحه أهل الحل والعقد في اجتماع السقيفة ، والبيان الأول الذى ألقاه بعد تنصيبه الولاية ، موضحاً فيه سياسته الشرعية التى يسير عليها ، وعندها قال: أيها الناس ، إني ولّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت، فأعينوني ، وان أسأت ، فقومونى ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله

ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن القوي فيكم عندي ضعيف ، حتى آخذ الحق منه ، والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له) ودليل آخر على احترامه لمبادئ الشرعيّة ، عندما امتنع المرتدون عن أداء الزكاة ، فلم يجاملهم ، ولم يحابيهم ، ولم يتهاون معهم ، بل قال: والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه) .

أمّا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لقد وصل في تطبيقه لمبدأ الشرعيّة إلى أبعد ما وصلت إليه الدول الحديثة ، التي تفاخر بنظمها السياسية والإدارية ، وكان من مبادئه في تطبيق الشرعيّة ، أن القانون فوق الناس جميعاً ، سواء كانوا حكّاماً أو محكومين ، وأن الحكام ملزمون بتطبيق الشرعيّة قبل الأفراد ، وتطبيق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأحكام الشريعة ، نابع من مفهوم الإسلام بأنها أمانة ومسؤلية وتكليف ، وليست مغنماً وتشريفًا ، ولهذا رفض عمر أن يرشح إبنه عبد الله للخلافة من بعده ، مع ثقته به ، وقال: لا إرب لنا في أموركم ، ويكفى آل عمر ، أن يحاسب منهم رجل واحد ، ويسأل عن أمة محمد ﷺ ، لقد أجهدت نفسي وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافاً ، لا أجر ولا وزر ، فإني لسعيد ، يصعد يوماً على المنبر فيقول: أيها الناس ، اسمعوا وأطيعوا ، فيقوم أحد الصحابة ويقول له: لا سمع لك ولا طاعة ، حتى تخبرنا من أين لك الحلّة الثانية التي تفضّلت بها علينا ، ماذا تتوقعون أن يردّ عمر ، هل تتوقعون أن يقول خذوه فغلوه، ثم أدخلوه السجون المظلمة وكبلوه ، لا ورب الكعبة ، لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل فرح عمر رضي الله عنه واستبشر ، أن في المسلمين قوة وعزة ، وفي الأمة رجل يستطيع أن يقول كلمة الحق ولا يخاف في الله لومة لائم ، كيف لا ، وهو القائل: أيها الناس ، إذا رأيتم فيّ اعوجاجاً فقوموني ، فيقوم أحد الصحابة

ويقول له: يا أمير المؤمنين ، والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فيحمد الله على ذلك ، أمّا اليوم فمن يستطيع أن يقول كلمة الحق أمام حاكم مسلم ، أو حتى مسؤل صغير ، أو يقول له: من أين لك هذا؟ كما قيل لعمر بن الخطاب ﵁ ، أتوقع أن يقول: خذوه واسجنوه ، وقطّعوه إرباً ، إرباً ، واحفروا له أخدوداً في الأرض واحرقوه ، جزاءً له وإرعاباً لغيره ، ممن تسول له نفسه أن يقول كلمة الحق ، أمام الظالمين والمعتدين ، أمّا على بن أبى طالب ﵁ ، عندما تولى الخلافة ، كانت البلاد الإسلامية تمر بحالات من الاضطراب والفتن ، ونتيجة لهذه الأوضاع ، كان هو أول من جلس للمظالم بانتظام ، بل أمر قاضيه شريحًا أن يحكم بينه وبين يهودي تنازعا في قضية درع ، فوقف الإمام عليّ مع هذا اليهودي أمام القاضي شريح وخاصمه ، فقال القاضي شريح: ألك بيّنة يا عليّ ، فلم يستطع الإمام عليّ أن يأتي بالبينة ، فقضى شريح بالدرع لذلك اليهودي، فما كان من هذا اليهودي إلّا أن قال: أمير المؤمنين يقدم نفسه لقاضيه ، فيحكم عليه ، أشهد أن هذه عدالة الإسلام ، الدرع درعه ، والحق له ، فبالله عليكم ، هل رأيتم أو قرأتم في التاريخ ، أن حاكم دولة ، أو زعيم طائفة ، أو حتى عاقل حارة ، يتنازل أن يجلس أمام خصمه فقط ، مجرد الجلوس لا أن يحكم عليه ، كما فعل الإمام عليّ أمام قاضيه شريح ، الذى حكم عليه وهو أمير المؤمنين ، يمتلك دولة من المحيط إلى الخليج ، وعليه لا نريد من حكام المسلمين اليوم وزعمائهم أن يقفوا أمام العدالة كما وقف الإمام عليّ ، أمام يهودي متطفل ، ولا نريد منهم أن يتنازلوا أو يُسألوا عن أموال الأمة التي أخذوها من حلال أو من حرام ، إنما نريد منهم أن يحكمونا بما أنزل الله ، وأن يطبقوا شرع الله في الأرض ، فنحن كمسلمون

مستعدون أن نتنازل عن أموالنا ومنازلنا وديارنا ، ونربط الحجارة على بطوننا من أجل لا إله إلّا الله ، ومن أجل أن يسود في الأرض شرع الله ، ولنحكم بالقرآن والسنة ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ ﴾(المائدة:٤٩) .

اللهم لا تفتنّا في ديننا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا.

قضاء المظالم:

لا شك أن القضاء في عهد الخلفاء الراشدين ، لم يتميز بوحدته عن الوظائف الأخرى ، نظراً لبقاء الناس على عهدهم برسول الله ﷺ، ولقوة إيمانهم ، وحينما اتسعت بلاد الإسلام ، وكثرة القلاقل في عهد الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وحصول بعض الخروقات والممارسات الخاطئة ، من قبل بعض الولاة ، احتاج الإمام عليّ رضي الله عنه أن يفصل بين الوظيفتين: الإدارية والقضائية ، وأن يجلس بنفسه للنظر في المظالم والمخالفات الشرعية التي ارتكبها الولاة وأصحاب النفوذ، وفي عهد الأمويين كثرت المظالم وانتشر الفساد ، وأغلق الحكام أبوابهم دون الأفراد، وكادت العواصف تقضي على دولتهم ، وحينئذ تولى الإمارة عبد الملك بن مروان، الذي شكّل مجلساً للمظالم ، وخصص يوماً في الأسبوع، ينظر فيه المظالم والغصوب السلطانية،التى استأثر بها الأقوياء على الضعفاء،ولمّا تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، جرّد بني أمية من كل أموالهم التي أخذوها بغير حق، وأعاد الحقوق إلى أهلها ، وعليه نأمل من حكام المسلمين وقضاتهم، في مشارق الأرض ومغاربها من بلاد المسلمين، أن يعيدوا الحقوق إلى

أهلها ، وأن يشكّلوا مجالس للمظالم في كل بلد ومدينة ، كما كانت في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وإلّا فإن الظلم قد بلغ ذروته في بلاد المسلمين وديارهم ، من قبل حكّامهم وقضاتهم ، فحذاري ، حذاري ، أن يتمادى أهل السيادة والسلطان ، على ظلم شعوبهم ، فإن هذه الشعوب المسلمة، لابد أن تأخذ بحقوقها ، مهما ضعفت واستكانت، أمّا الظالمون فينتقم الله منهم ، تحقيقاً لوعد الله القائل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

(إبراهيم:٤٢).



الشرك بالله



الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميتَ من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد أيها المسلمون:

إن عبادة الأصنام والأوثان ، لم تكن معروفة في جزيرة العرب قبل الإسلام منذ فترة طويلة ، بل ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ ولكن بعد ذلك انحرف الناس عن عقيدة التوحيد ، حتى ظهر فيهم عمرو بن لحي الخزاعي ، الذي كان أول من غيّر دين إبراهيم عليه السلام ، وجلب الأصنام إلى جزيرة العرب ، وأرض الحجاز ، فعبد الناس هذه الأصنام من دون الله ، وانتشر الشركُ في تلك البيئة الطاهرة الأبية ، وقالوا أن هذا ليس بشرك ، لأن فيه توسلاً بالصالحين وإظهاراً لمحبتهم ، كما قال تعالى : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (الزمر:٣)، لقد كان الناس في المجتمع المكيّ ، ينكرون فكرة الإله الواحد ، إنكاراً مطلقاً ، ويعجبون ممّا جاء به الرسول ﷺ من التوحيد ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾ وكان الناس ينكرون فكرة البعث والنشور ، ويعجبون

مما جاء به الرسول ﷺ من عقيدة البعث والنشور ، كما حكى القرآن عنهم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ (سبأ:٧، ٨)، ولذلك فقد شكى المشركون رسول الله ﷺ إلى عمه أبو طالب ، فقالوا: يا أبا طالب ، لقد سفّه ابن أخيك أحلامنا ، وسبَّ آلهتنا ، وكفَّر آباءنا ، ولهذا يجب علينا أن نعلم أننا اليوم ، نواجه أنواعاً شتى من الشرك ، نواجه قوماً واقعين في الشرك الذى وقع فيه المشركون الأولون ، شرك الاعتقاد، وشرك العبادة ، وشرك الحاكمية ، والذي يهمنا الآن: هو دعوة الناس إلى ترك ما هم عليه من الشرك ، ولا يهمّنا أن نقول لفلان من الناس أنت مشرك ، أو أنت على ضلال ، إنما يهمنا أن نقول له: إن ما تفعله شرك ، وندعوه إلى حقيقة الإسلام.

قضية الشرك:

والحديث عن الشرك حديث بالغ الأهميه،لأن كلمة التوحيد لا إله إلّا الله ، بدأت أولاً بالنفي (لا إله) تحذيراً من الشرك ، ثم خُتمت بالإثبات (إلّا الله) تحقيقاً للتوحيد ، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يبين التوحيد، ويحذر من الشرك ، فكان أول نهي في كتاب الله عن الشرك ، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ (البقرة:٢٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (النساء:٣٦) ،وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري) إذًا لم تكن دعوته عليه الصلاة والسلام ، إلّا تحقيقاً للتوحيد ، وتحذيراً من

الشرك والخرافات ، وهي في الحقيقة امتداداً لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل:٣٦) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء:٢٥)، لكن عبّاد القبور ، من أهل هذا الزمان وغيره ، يخالفون ما دلّت عليه هذه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ويصرفون جلّ عبادتهم لغير الله، ممّن لا يملك لنفسه خيراً ولا رشداً ، قال تعالى :﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الأحقاف:٥) .

والشرك بالله من أكبر الكبائر ، التي يقول فيها النبي ﷺ:(**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، قلنا بلى يا رسول الله ، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس ، فقال: ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**) ونتيجة لخطورة الشرك على الأفراد والمجتمعات ، فقد حرَّم الله –عز وجل– الزواج من المشركين والمشركات ، حيث قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾(البقرة:٢٢١) ،وعلى هذا الأساس ، وتلكم الغاية ، حرَّم الله –عز وجل– ذبائح المشركين ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ (الأنعام:١٢١) ، بينما أحلّ ذبائح أهل الكتاب ، فقال تبارك وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾(المائدة:٥)، والشرك بالله يمثل نوع من أنواع الظلم ، الذي يأتي صاحبه يوم القيامة وهو ظالم لنفسه، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا

وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(الأنعام:٨٢)، جاء في تفسير هذه الآية ، أنه لمّا أنزلت شقّ ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم ، فقالوا: يا رسول الله ، وأينا لم يظلم نفسه ، فقال ﷺ : **إنه ليس الظلم الذى تعنون ، إنما هو الشرك ، أولم تسمعوا لقمان عليه السلام وهو يقول لابنه:** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾(لقمان:١٣) ، وجاء في القرآن مَثَلٌ خطير ، فيه إرعاب وتخويف للمشركين ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (الحج:٣١).

أضرار الشرك :

معاشر المسلمين: اعلموا -رحمكم الله- ، أن الشرك بالله طريق موصل إلى النار ، ولقد ثبت بالدليل والبرهان ، أن المشركين بالله قد عرّضوا أنفسهم للخيبة والخسران ، وذلك لعدة أمور:

أولا: لأن الشرك بالله،فيه تشبيهٌ للخالق بالمخلوق ، عندما يعطى الإنسان الضعيف بعض خصائص الرب سبحانه وتعالى ، الذي خلق فسّوى ، والذي قدّر فهدى.

ثانياً: الشرك بالله ، فيه نقص وعيب ، عندما يُسَاوَى ربنا سبحانه وتعالى بغيره من المخلوقات ، وهو الذي خلقها وأوجدها من العدم ، وهذا غاية في الظلم والعدوان ، كما جاء في الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾(لقمان: ١٣) .

ثالثا: إن الشرك بالله من أعظم الذنوب على الإطلاق ، وهو الذنب الذي لا يغفره الله تبارك وتعالى إلّا بالتوبة والرجوع عنه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء:٤٨، وهو الذنب الذي يخلّد صاحبه في النار أبد الآبدين ، إستناداً لقول الرسول ﷺ : (من مات وهو يدعوا مع الله نداً ، دخل النار) رواه البخاري .

رابعاً: المشرك بالله حلال الدم والمال ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾

(التوبة:٥) .

خامساً: المشرك بالله ، فقد حُرّمت عليه الجنة ومأواه النار ، الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾(المائدة :٧٢)، وأي خسارة له وقد حبط عمله ، وأصبح من الخاسرين ، قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الزمر:٥٥- ٦٦) ، وقال تعالى :﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٨) .

ونتيجة لهذه الآثار وغيرها من الأضرار، فقد حذَّر النبى ﷺ من الشرك غاية التحذير ، من ذلك مسألة القبور والغلو في أصحابها ، لأن ذلك يؤدي إلى عبادتهم ، حيث قال عليه الصلاة والسلام:(إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) وقال في حديث آخر:(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله) ، وحذّر ﷺ من رفع القبور والبناء عليها ،كما جاء في الحديث الذى رواه أبو الهياج الأسدى ، قال: قال لي علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ، ألا تدع قبراً مشرفاً إلّا سويته ، ولا تمثالاً إلّا طمسته) ونهى عن تجصيصها والبناء

عليها ، فعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه) وحذر ﷺ من الصلاة عند القبور ، لما روته عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : (**لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد**) يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك ، لأبرز قبره عليه الصلاة والسلام.

أقسام الشرك:

لقد حذر علماء الإسلام في مؤلفاتهم ، قديماً وحديثاً ، في مسألة الشرك، وأسهبوا في ذلك إسهاباً كبيراً ، لذلك قسموه إلى أقسام كثيرة ، منهم الإمام ابن القيم -رحمه الله- ، ذهب إلى أن الشرك نوعان: شرك أكبر ، وشرك أصغر، ثم قسّم الشرك الأكبر إلى أقسام كثيرة ، منها: شرك الدعوة، وشرك الطاعة، وشرك المحبة ، وشرك النية والإرادة والقصد .

أمّا الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-،فقسمه إلى ثلاثة أقسام: شرك أكبر ،وشرك أصغر، وشرك خفي، أمّا اليوم ، فيحلو، لكثيرمن الدعاة والعلماء المعاصرين ، أن يسميه: شرك القبور ، وشرك القصور ، وشرك الحاكميّة ، أو الشرك السياسي ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ (النساء: ٦٠)،فنسأله سبحانه وتعالى، أن يجنّبنا هذه الأقسام جميعاً.

بعض صور الشرك:

ومن خلال هذه المقدمة ، فقد تحدثنا عن الشرك ، وقلنا أنه ينقسم إلى أقسام كثيرة ، وأن صاحبه خالد مخلد في النار إن مات على ذلك ، وأنه من أكبر الذنوب ، كما قال ﷺ: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، قلنا: بلى يا رسول الله ،**

قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت).

لذلك نريد أن نعرف: ما هو الشرك ؟ وما هي طرقه المفضية إليه ؟ ، فهل من يعبد قبراً ، أو يسجد لصنم ، يسمى مشركاً ، وهل من يأتي كاهناً أو عرافاً، فيسئله ويصدقه بما يقول ، يكون مشركاً ، وهل أولئك الذين ينصبون التماثيل التذكارية في الشوارع والأسواق ، والميادين العامة ، ويعلقون صور العظماء والزعماء والأمراء ، هل يكون أولئك من المشركين، وهل من يقدم القرابين للأصنام ، ويذبح لغير الله ، عندما يسكن داراً ، أو يشتري سيارة ، خوفاً عليها من الجن والشياطين ، هل يكون ذلك شركاً، وهل من يحلف بغير الله ، ويتشائم بالمحسوسات والحيوانات ، ويتعالج بالتمائم والحروز ، يسمى مشركاً ، نَعَمْ والله ، لماذا؟ لأن الله عز وجل يقول، ورسوله ﷺ يقول ، أن هؤلاء جميعاً مشركين ، فمن يسجد لغير الله ، فهو مشرك، لأن الله يقول: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (النساء:٣٦)، ومن يعبد الطواغيت من دون الله ، فهو مشرك ، لأن الله يقول : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(النحل:٣٦)، ومن يدعو غير الله ، فهو مشرك ، لأن الله يقول : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(يونس:١٠٦)، وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : **(واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف)** وكذلك من سأل العرافين والسحرة والدجالين،وصدقهم بما يقولون، فقد أشرك ، لأن الرسول ﷺ يقول : **(من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد**

ﷺ)، ومن استغاث بغير الله ، في ما لا يقدر عليه إلّا الله ، فهذا مشرك، لأن الله يقول : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾(الأنفال:٩) ، ومن ذبح أو نذر لغير الله ، فقد أشرك، لأن الله يقول : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ (الكوثر:٢)، ويقول ﷺ : (لعن الله من ذبح لغير الله) ، ومن يحلف بغير الله ، فهو مشرك ، لأن الرسول ﷺ يقول : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) .

وعليه يجب التفريق بين الشرك الأكبرالذى يخرج صاحبه من الإسلام، ويخلده في النار إذا لم يتب، وبين الشرك الأصغر الذى يقول فيه النبى ﷺ: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله ، قال: الرياء) فهذا حُكْمُه تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه ، ولكن مآله إلى الجنة بإذن الله.

مظاهر الشرك الأكبر:

ولمزيد من الإشارة والتوضيح ، فإن الشرك بالله ، باب واسع يدخل فيه كثير من الأعمال الظاهرة والباطنه ، والتي منها:

١ - صرف العبادة لغير الله:

بينما الله عزوجل يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات:٥٦)،ولكن هناك من الناس من عطّلوا عقولهم وعبدوا غير الله، واعتقدوا آلهة شتى ، وقد أمروا أن يعبدوا إلهاً واحداً : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ (الزمر:١١ - ١٥)، فالذين عبدوا الأصنام: كاللات والعزى وهبل،

قد ضلوا ضلالاً بعيداً، ولذلك سَخرَ إبراهيم عليه السلام من قومه سخرية لاذعة ، لأنهم عبدوا أصناماً آلهة ، فقال لهم :﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأنبياء:٥٧، ٥٨)، وحينما رجعوا وشاهدوا ما فعل إبراهيم بأصنامهم من الإهانة والإذلال ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(الأنبياء:٦٢، ٦٣)، وحتى الآن ما يزال كثير من الناس اليوم ، يعبدون آلهة شتى ، فمنهم من يعبد المال، ومنهم من يعبد الدار ، ومنهم من يعبد الأمراء والزعماء والطواغيت ، ومنهم من يعبد الفروج والنساء ، فالذين عبدوا المال ، قال فيهم الرسول ﷺ :(**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس**) وهناك من الناس من يعبد الأشجار والأحجار، وكادت هذه الأمة أن تعبد الأشجار، فقالوا لرسول الله ﷺ : (**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط** ، فقال: الله أكبر ، إنها السُنن) وهناك من عبد الحيوانات، كعجل بني إسرائيل، عندما قال لهم السامري: ﴿ هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ وقال : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ والآن في بلاد الهند والسند، يعبدون الأبقار من دون الله ، ويسجدون لها من دون الله، وهناك من الناس، بل من المسلمين، من يعبد الطواغيت من دون الله، وهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، بينما الآيات قد جاءت محذّرة من عبادتهم ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾(البقرة:٢٥٦)،وجميع الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم - كلهم يحذّر من عبادة الطواغيت، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(النحل:٣٦)، ففرعون عليه لعائن الله ، كان طاغوتاً ، لأنه عُبِدَ من دون الله ،وهذه الطواغيت في العالم اليوم ، كلها تعبد من دون الله، فكم من زعيم ، أو أمير، أو طاغية، أصبح له أتباع مجندون ، يسبحون بحمده حين ينام وحين يقوم ، وترفع أعلامه، وتعلق صوره ، وكأنه إله من دون الله ، بينما هو قد يكون طاغوت من الطواغيت التي تعبد من دون الله، ولذلك فقد سمى الله سبحانه وتعالى الاستجابة لهؤلاء الطواغيت، وتنفيذ أوامرهم ، عبادة لهم من دون الله،فقال سبحانه وتعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(التوبة:٣١) ،فقال عدى بن حاتم رضي الله عنه : يا رسول الله ، إنهم لم يعبدوهم ، قال: أليس يحلون لهم فيحلون ، ويحرمون عليهم فيحرمون، قال: نعم ، قال: فتلك عبادتهم إياهم) وهناك من الناس من يعبد الأنبياء، كعبدة المسيح بن مريم ، الذين يقولون: إنه ثالث ثلاثة ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم عبدة الشيطان، كما تسميهم وسائل الإعلام ، وهذه العبادة الشيطانية في أصلها فكرة خبيثة شهوانية ، ظهرت في الآونة الأخيرة في بعض البلدان الإسلامية ، كمصر والعراق وغيرها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومعلوم عند الجميع كذلك:

٢- دعاء غير الله من الأموات والأحياء، ومن الجن والشياطين والأنبياء :

أن دعاء غير الله من الأموات والأحياء، ومن الجن والشياطين والأنبياء، نوع من أنواع الشرك ، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن دعاء من سواه، وسمى ذلك ضلالاً وشركاً ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الجن:١٨)،وقوله سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

﴿ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (الأعراف:١٩٤)، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الحج:٧٣)، فالذي يتبين لنا من الآيات السابقة، أن الإسلام جاء لينفي كل الوسائط بين العبد وربه، ويجعل الصلة مباشرة مع الله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقرة:١٨٦) فمن يذبح وينذر لغير الله ، ومن يدعو غير الله ، ومن يتمسّح بالضريح ، أليس هذا شرك واضح الأركان ، وعليه نقول: لا يجوز أن يدعوا الإنسان غير الله ؛ لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل، كما قال تعالى :﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (يونس:١٠٦) .

٣- الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، فيما لا يقدر عليه إلّا الله :

وكذلك الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، فيما لا يقدر عليه إلّا الله ، يدخل تحت مظلة الشرك الأكبر ، حتى لو كان ذلك المُسْتَعَانُ به رسول الله ﷺ، كمن يقول: يا رسول الله ، يا مجلي الهمّ والكرب ، فهذا شرك أكبر مخرج من الإسلام ، بينما هو -عليه الصلاة والسلام - في يوم بدر ، كان يستغيث بالله ، ويطلبه النصر، فأنزل الله هذه الآية ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٩)، أمّا سؤآل الإنسان الحي الحاضر ، والاستعانة به في الأمور المحسوسة التي يقدر عليها ، فليس ذلك من الشرك ، استنادًا إلى قوله تعالى في قصة موسى ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ (القصص:١٥) .

٤ - من أخطر صور الشرك بالله ، الذبح والنذر لغير الله :

وكذلك من أخطر صور الشرك بالله ، الذبح والنذر لغير الله ، قال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام:١٦٢، ١٦٣، ومعنى نسكي: أي ذبحي ، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ (الكوثر:٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - في هذه الآية:

أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين (الصلاة والنسك) ولذلك لعن رسول الله ﷺ من ذبح لغير الله ، كما جاء في الحديث الذى رواه مسلم في صحيحه ، أن النبي ﷺ قال : (لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غيّر منار الأرض) ، ولهذا كانت تقديم القرابين للأصنام ، من أعظم صور الشرك في الجاهلية ، وقد جاء في الحديث: (أن رجلاً مرّ على صنم لهم ، فقالوا له: قرّب ، قال: ليس عندي شيء أَقَرِّب ، فقالوا له: قرّب ولو ذباباً ، فقرّب ذباباً ، فدخل النار ، وقالوا للآخر: قرّب، فقال: ما كنت لأقرّب لأحدٍ شيئاً من دون الله ، فدخل الجنة) رواه أحمد .

إذًا من يذبح لغير الله فقد أشرك ، سواء ذبح لولي ، أو نبي ، أو للأموات الذين في قبورهم ، وهناك من الناس إذا ابتاعوا سيارة ، أو سكنوا داراً جديداً ، ذبحوا عنده ، خوفاً من الجن والشياطين ، وإرضاءً لهم ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (آل عمران:١٧٥) .

٥ - سؤال العرافين والسحرة والمشعوذين والمنجمين:

وأمّا سؤآل العرافين والسحرة والمشعوذين والمنجمين ، ممن يتعاطون

الأخبار الغيبية ، فهذا منكر وشرك وضلال ، بل هو من شعب الكفر، لقول النبي ﷺ : (**من أتى عرافاً ، فسأله عن شيء ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**) رواه مسلم ، وأخرج أهل السُنن ، عن النبي ﷺ أنه قال : (**من أتى كاهناً، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**) ويدخل في ذلك ما يدّعيه بعض المخرفين والدجالين باسم الطب ، أنهم يعالجون الأمراض المستعصية ، بطرق روحانية أو شيطانية ، ويشفون المريض ، ويعالجون السقيم ، والذي ينبغي على المسلمين الحذر من ذلك ، والتوكل على الله في كل الأمور ، فقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : (**ما أنزل الله داءً إلّا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله**) وقال ﷺ : (**عباد الله ، تداووا ، ولا تداووا بحرام**) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، فنسأل الله عز وجل أن يشفي قلوب المسلمين وأحوالهم وأبدانهم ، من كل سوء ومكروه ، وأن يعيذنا وإياهم من مضلات الفتن وطاعة الشيطان والهوى. وكذلك من الشرك بالله:

٦- تصوير ذوات الأرواح ، ونصب التماثيل التذكارية في الأسواق والميادين :

تصوير ذوات الأرواح،ونصب التماثيل التذكارية في الشوارع والأسواق والميادين العامة ، ولاسيما تصوير العظماء والزعماء والأمراء ، سواء كان هذا التصوير عن طريق الرسم ، أو عن طريق الآلة الضوئيه المعروفة في هذا الزمان ، أو عن طريق النحت على هيئة تماثيل ، لأن في ذلك شرك ومضاهات لخلق الله ، وعدوان على اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو المصور ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ آل عمران:٦، ثانياً: تصوير الزعماء والأمراء ، فيه شرك وذريعة لتعظيمهم وعبادتهم من دون الله ، كما فعل قوم نوح برجالهم

الصالحين ، عندما نصبوا لهم التماثيل التذكارية ، فلمّا طال عليهم الأمد ، عبدوهم من دون الله : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (نوح: ٣٢) ، وهذه أسماء رجال صالحين ، نصبوا لهم التماثيل إحياءً لذكراهم وتعظيماً لهم ، فما بالكم الآن بمن ينصب التماثيل للعرابيد والسكارى والفاسدين والفاسقين والمغنين ، أظن أن هذا الفاعل مرتكب لكبيرة من الكبائر ، ألا وهى الشرك بالله ، وعليه نقول: لا يجوز بتاتاً تصوير الزعماء والأمراء ، وتعليق صورهم في الشوارع والأسواق والميادين العامة ، لأن في ذلك تعظيماً لهم أكثر من تعظيم الله ، ومشابهة بالمجوس والنصارى الذين يعظمون كبرائهم وزعمائهم من دون الله ، أمّا المسلمون فيحترمون أولي الأمر منهم ، ويلتزمون بالسمع والطاعة لهم، ولكن بالمعروف ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء:٥٩) واستجابة لقول أبى بكر الصديق رضي الله عنه : أطيعوا ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم) أمّا أن ترفع أعلامهم ، وتقدس أسماؤهم ، وكأنهم آلهة تعبد من دون الله ، فهذا شرك أكبر مخرج من دائرة الإسلام ، وصاحبه خالد مخلد في النار إن لم يتب.

مظاهر الشرك الأصغر:

أمّا الشرك الأصغر ، فله مظاهر أخرى ، أقل ضرراً من الشرك الأكبر ، وصاحبه تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ، وقد حذّر النبي ﷺ من الشرك الأصغر ، لأنه أخفى على هذه الأمة من دبيب النمل ، حيث قال -عليه الصلاة والسلام - : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر ؟ قال: الرياء) .

ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله: وأمّا الشرك الأصغر في الإيرادات والنيّات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقَلَّ من ينجو منه، ولكن يجب مدافعته بالتجرد لله، وإخلاص العبادة لله، عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف: ١١٠)، ويعتبر:

١ - الحلف بغير الله من أخطر أنواع الشرك الأصغر:

الحلف بغير الله من أخطر أنواع الشرك الأصغر، لأنه قد يتحول إلى شرك أكبر، إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: (**من حلف بغير الله فقد أشرك**) رواه الإمام أحمد، بل قد يصل بصاحبه إلى الكفر، ولذلك أمر ﷺ من حلف بغير الله أن يجدد إيمانه، حيث قال: (**من حلف فقال في حلفه، باللات والعزى، فليقل: لا إله إلّا الله**) رواه البخارى، وعليه نقول: لا يجوز أن يحلف المسلم بغير الله، حتى لو كان المحلوف به نبياً، أو رجلاً صالحاً، كما لا يجوز أن يحلف الإنسان بالأمانة، أو الكعبة، أو الشرف، وهناك بعض الألفاظ الشركية التى يتداولها كثير من الناس، مثل قول بعضهم: توكلت على الله وعليك، أوليس لي إلّا الله وفلان، أو أنت لي في الأرض والله في السماء، فكل هذه الألفاظ شركية بدعية، لا يجوز التلفظ بها، أو بما يماثلها، وقد أرشدنا الرسول ﷺ بقوله: (**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**) رواه أبو داود.

وكذلك سبُّ الدهر، يدخل في باب الشرك الأصغر، مثل قولهم: هذا يوم نحس، أو هذا الزمان غدّار، ماله أمان، وكل العبارات التي فيها

سب للدهر ، تدخل تحت قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (يسب بنو آدم الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار) رواه البخاري.

ثانياً : من الشرك الأصغر:

٢ - التّطير والتشائم بالمحسوسات والحيوانات:

فقد كان أصحاب الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يسافر ، ورأى طائراً أو وحشاً ، يزجره ، فإن ذهب يميناً تفاءل ومضى إلى أمره ، وإن ذهب شمالاً تشاءم ورجع عن سفره ، وهذا العمل شرك أصغر ، كما بينه النبي ﷺ بقوله: (الطيرة شرك) وعلاجه التوكل على الله تبارك وتعالى في كل الأحوال ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : الطيرة شرك ، وما منا إلّا وفي نفسه شيء من التشائم ، ولكن الله يذهبه بالتوكل. ومن الشرك الأصغر :

٣ -العلاج بالتمائم والتولة:

استنادًا لقول الرسول ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه :(**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**) رواه أحمد وصححه الألباني ، وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**من علّق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا أودع الله له**) رواه أحمد ، **والمقصود بالتمائم :** هي عبارة عن خرزات أو قلادة ، كانت العرب في الجاهليه تعلقها فوق أولادها ، يتّقون بها العين أو السحر ، **أما التولة :** هي كل ما يُصْنَعُ بزعمهم أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته ، وما زال كثير من الناس اليوم يفعلون هذا المنكر العظيم ، فبعضهم يعلّق مسبحة على ولده أو دابته، وبعضهم يعلّق حذاءً على سيارته ، وبعض شباب المسلمين اليوم يعلّق صليباً على

صدره ، تشبهاً بالكافرين ، لذلك رُوِيَ أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، دخل يوماً على مريض ، فرأى في عضده سيراً ، فقطعه أو انتزعه، ثم قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(يوسف:١٠٦) ، والرسول ﷺ قد حذر من هذه الأفعال الشيطانية ، كما جاء في حديث رويفع بن ثابت ، قال: قال لي رسول الله ﷺ : **(يا رويفع ، لعل الحياة ستطول بك بعدى ، فأخبر الناس ، أنه من عقد لحيته ، أو تقلد وتراً ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً بريء منه)** رواه أحمد.

وهنا يجب التمييز بين الرقى الشرعية ، والتمائم الشركية ، وعليه يمكن أن نقول: إن الرقى الشرعية من الأسباب التى ورد في ذكرها أثر ، من ذلك أن النبي ﷺ رقى نفسه كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت: **كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه ، بـ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ (الإخلاص: ١) ، وبالمعوذتين، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده)** وعن عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه ، أنه شكى إلى رسول الله ﷺ فقال له: **(ضع يدك على الذى تألم من جسدك ، وقل: بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)** رواه مسلم.

التوحيد

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ...

أمّا بعد أيها المسلمون:

إن الله سبحانه وتعالى ، ما أرسل الرسل ولا أنزل الكتب ، إلّا ليعبد وحده لا شريك له ، ويفرد بجميع أنواع العبادة ، من خوف ، ورجاء ، وتوكل ، ورغبة ورهبة ، وخشية وإنابة ، ونحو ذلك من أنواع العبادات التى أمر بها سبحانه ، حيث قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات:٥٦) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (البينة:٥) ، ومن ثَمَّ كان أول أمر في كتاب الله تعالى، فيه دعوة إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(البقرة:٢١) .

وقد أُمِرَ النبيﷺ أن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأن

محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وغيرها من أنواع العبادات ، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي قال: قدمت إلى مكة ، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً من قومه ، فدخلت عليه فقلت له: (ما أنت؟ قال: أنا نبي ، فقلت: وما نبي ؟ قال: أرسلني الله ، قلت: وبأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يعبد الله وحده لا شريك له) وجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ يفتتحون دعوتهم إلى أقوامهم بالتوحيد ، قال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأعراف:٥٩) ، وقال تعالى عن هود عليه السلام : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأعراف:٦٥)، وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (الأعراف:٨٥)، وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾

(مريم : ٤١ - ٤٥) .

ثم جاءت بعثة رسولنا -عليه الصلاة والسلام- ترسيخاً لمبدأ التوحيد، ولذلك كانت وصيته لمبعوثه وسفيره لدى اليمن ، معاذ بن جبل رضي الله عنه ، هي الدعوة إلى التوحيد ، فأوصاه بقوله : (يا معاذ ، إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلّا الله) وفي رواية (إلى أن يوحدوا الله) فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم كذا وكذا ....

أقسام التوحيد:

إذًا قضية التوحيد هي أعظم قضية واجهها الرسل مع أقوامهم، ولذلك كانت دعوتهم تسمى دعوة التوحيد، وعلى هذا الأساس، قُسِمَ التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية:

وهو الذي أقرّ به الكفار في زمن الجاهلية، وشهد عليهم القرآن بهذا الإقرار، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (يونس: ٣١)، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦١)، حتى الدهريون الذين قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ (الجاثية: ٢٤) لا نستطيع أن نجزم من لفظ الآية أنهم ينكرون وجود الله، لأنهم نسبوا الإهلاك للدهر، وليس معنى ذلك حتما أنهم ينكرون وجود الله، وهم بذلك لا يختلفون عن مشركي الجاهلية المعاصرة، فكثيراً من العلمانيين والحاقدين على الإسلام اليوم، لا ينكرون توحيد الربوبية، ولا ينفون وجود الله، بل يؤمنون به نظريا، ويمارسون بعض الشعائر التعبدية، تمويهاً وتضليلاً على كثير من عوام المسلمين، وليس من الغريب أن تجد في كلمات أو كتابات بعض العلمانيين المعروفين بعلمانيّتهم، ذكر الله، أو ذكر رسوله ﷺ أو ذكر الإسلام، فهم جميعاً يؤمنون بوجود الله، لكنهم يرفضون أن يطبقوا شرع الله، وأن يحكموا أو يتحاكموا إلى ما أنزل الله، ويعملون على نشر الفاحشة والرذيلة والإباحية بين المسلمين، عن طريق القوانين التى تبيح الرذيلة، ولا تعاقب عليها،

وتعتبر الزنا ممارسة شخصية ، يجب أن تكون مكفولة ومُصَانَة .

إذًا كل شيء في هذا الكون العظيم ، يؤمن بتوحيد الربوبية حقيقة ، أو مجازاً ، ويشهد أن الله رب العالمين وخالقه ، ومعلوم قطعاً أن الخصومة بين الرسل وأقوامهم ، لم تكن في توحيد الربوبية ، إنما كانت في توحيد الألوهية ، الذى هو النوع الثاني من أنواع التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة، كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها.

نواقض لا إله إلّا الله:

لقد كان اهتمام القرآن الكريم بقضية التوحيد،في العهدين:المكي والمدني، يدل دلالة واضحة على أهمية التوحيد ، صحيح أن الآيات المكية كانت تخاطب المشركين وتبين لهم معنى لا إله إلّا الله ، إلّا أن استمرار الحديث في الآيات المدنية على هذه القضية ، يؤكد على أهمية تفهمها وإدراكها بشكل واضح لتحقيق العبودية لله رب العالمين، إذًا لا ندرى كيف كانت لا إله إلّا الله ، معروضة في كتب المرسلين السابقة ، ولا ندرى لماذا يتحدث الناس اليوم عن نواقض الوضوء، ولا يتحدثون عن نواقض لا إله إلّا الله، وهناك من العلماء ، كأمثال ابن تيمية و ابن القيم رحمهما الله، تحدثوا كثيراً في نواقض لا إله إلّا الله ، رغم أن هذه المشكلة كانت في عصرهم نادرة الوقوع، وكذلك لا ندرى كيف يتاح الحديث لجميع الفئات ، وجميع الهيئات والدعوات ، إلّا الفئة التي تدعوا للا إله إلّا الله ، فإنه يوقف لها بالمرصاد، وما حدث ويحدث في كثير من بلاد المسلمين ، إلّا نموذجاً لما نقول، حيث شارك الإسلاميون في بعض البلدان الإسلامية، والتزموا بقواعد الجاهلية ومنهجها ، بغض النظر عن خطأ ذلك أو صوابه،

وحازوا على الأغلبية العددية ، ولكن مع ذلك قوبلوا بالرفض ، وقوبلوا بالعنف ، وقيل لهم: لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن ، وفي الجاهليات الحديثة التي تشرك مع الله آلهة أخرى ، وتجسد الإله في صورة محسوسة ملموسة ، نرى كثيراً من الناس يكرهون الحديث عن نواقض لا إله إلّا الله ، فالذين يكرهون الحديث عن نواقض لا إله إلّا الله ، ليسوا فريقاً واحداً من المسلمين ، بل مئات الألوف من المتمسلمين الذين يحسبون على الإسلام ، والإسلام منهم براء ، ومن أبرز العوامل التى عملت على تهميش لا إله إلّا الله من مقتضياتها ، الفكر الإرجائي الذى يقول : من قال لا إله إلّا الله ، فهو مؤمن ولو لم يعمل عملاً واحداً في الإسلام ، ومنهم من يعتبر من قال: لا إله إلّا الله بلسانه ، يدخله ذلك في دائرة الإسلام ولو لم يعمل بها ، أو ناقضها بأقواله وأفعاله في اليوم مائة مرة ، لقد كان الفكر الإرجائي يوهم العصاة والمنحرفين والغافلين ، أنهم على خير كثير، وأنه لا خطر عليهم ما داموا ينطقون بلا إله إلّا الله ، ويؤمنون بأن الله واحد صمد ، ثم جاء الفكر الصوفي الذى حول الإسلام إلى سبحات روحانية ، وأذكار ، وأوراد، وهيام وخيال ، بالليل والنهار ، وحَرَفَ الناس عن مقتضيات لا إله إلّا الله ، وتحول التوكل إلى تواكل سلبي ، دون الأخذ بالأسباب ، وتحولت عقيدة القضاء والقدر ، إلى تخاذل وتقاعس ، بعد أن كانت عقيدة ثبات وإقدام ، ثم بعد ذلك جاء الاستبداد السياسي ليزيد الطين بلّة ، ويقتطع جزءً من مقتضيات لا إله إلّا الله ، وأخيراً جاء الغزو الفكريَ الذى أصاب الأمة في عقيدتها ودينها ،ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

ممارسة لا إله إلا الله عملياً:

وعليه يمكن أن نقول: إن كلمة التوحيد ، لا إله إلّا الله ، ليست مجرد كلمة تقال ، إنما هي حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، ولا يكفي أن يقول الناس: لا إله إلّا الله ، وهم لا يفتنون ، إن هذه الكلمة في الرسالة المحمدّية ، قد حملت من التكاليف ما لم تحمله رسالة سابقة ، ولذلك كان ﷺ يعمّق لا إله إلّا الله في قلوب أتباعه ، ويعلمهم كيف يتعاملون معها ، فإذا أصبحوا قالوا: (**اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت، وإليك النشور**) وإذا جاء المساء قالوا: (**اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير**) ،وإذا أصابهم همٌّ أو حزن ، علّمهم رسول الله ﷺ أن يقولوا : (**اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، و ابن أمتك، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همّي وغمّي**) وهكذا: بهذه الوسائل ، غرس ﷺ لا إله إلّا الله ، في قلوب أتباعه.

التعريف بلا إله إلّا الله:

إذًا يجب التعريف أولاً بلا إله إلّا الله ، ومعرفة حقوقها وأركانها وشروطها ، لأنها كلمة التوحيد التي قال عنها الصادق الأمين ﷺ:(**أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي ، لا إله إلّا الله وحده لا شريك له**) .

ولقد كان اهتمام القرآن الكريم ، بالحديث عن هذه الكلمة في كثير من الآيات، منها قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ (آل عمران:٢)،

وقوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الأنعام:١٠٢) وقد شهد الله لنفسه بهذه الكلمة، وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨) وعليه نلاحظ أن هذه الكلمة، دستور شامل، قامت عليه أمم كثيرة في الأرض، منها الأمة اليهودية، التي انحرفت انحرافاً شديداً، عن مقتضيات لا إله إلّا الله، فخيّل لها الشيطان، أنها شعب الله المختار، وحوّلت رسالتها لتكون أمة عرقية يهودية، ثم جاء عيسى عليه السلام، ليطهر هذه الأمة، ولتكون أمة ربانية، لكن ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ لم يستقيموا طويلاً على منهج لا إله إلّا الله، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، أمّا في رسالة نبينا ﷺ، فقد اتسعت مقتضيات لا إله إلّا الله، لتستوعب كل مجالات الحياة، ولتقوم عليها خير أمة أخرجت للناس، وبهذه الكلمة نحقق الوجود الذى نرجوه لأمة الإسلام، ونحقق الوسطية التي قال الله عنها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ البقرة(١٤٣).

مفهوم لا إله إلّا الله:

هكذا كانت نقطة البداية، ولكن المسلمون اليوم،انحسروا بلا إله إلّا الله انحساراً شديداً، حتى صارت حقيقتها مجهولة في غربة الإسلام الثانية، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: (**لتنقضي عرى الإسلام، عروة، عروة، كلّما انقضت عروة، تمسك الناس بالتي بعدها، فأولهنّ نقضاً: الحكم، وآخرهن نقضاً: الصلاة**) رواه أحمد، إذًا يجب على المسلمين أن يعلموا أنّ: لا إله إلّا الله، لم تنزل لتكون عقيدة فحسب، ولم تنزل لكي تقرأ عند الأموات والأحياء،

ولم تنزل لتكون مجرد كلمة تقال ، إنما أنزلت لتكون واقعاً معاشًا ، ولتسود في الأرض أمة لا إله إلّا الله ، وليس من العسير أن نجعل الناس ينطقون بلا إله إلّا الله ، فهم ينطقونها صباح مساء ، ولكن المشكلة في الناس ، أنهم يظنون بمجرد قولهم: لا إله إلّا الله ، صاروا مسلمين ، ولصقت بهم صفة الإسلام ، أيًّا كان إسلامهم وسلوكهم ، ومخالفتهم لأمر الله ، وإذا درسنا أحوال الأمة الإسلامية كما ينبغي ، فسنجد أن كل مفاهيم الإسلام قد أصابها الخلل والانحراف ، أولها: مفهوم لا إله إلّا الله ، بالإضافة إلى مفهوم العبادة ، ومفهوم القضاء والقدر ، ومفهوم التربية وغيرها ، فإذا كان الأمر كذلك ، يجب أولاً ، أن نصحح مفهوم لا إله إلّا الله ، لقد أصاب هذا المفهوم انحسارًا شديدًا لدى كثير من الناس ، حتى أصبحت لا إله إلّا الله ، مجرد كلمة تقال ، لا تأثير لها في واقع الحياة ، والله سبحانه وتعالى لم يأذن بقتال الكافرين ، إلّا بعد تحرير مفهوم لا إله إلّا الله ، ومن المعبود ، ومن يملك حق التشريع في الأرض ، والآن فلننظر ، هل تم تحرير قضية لا إله إلّا الله ؟ وهل وضح السبيل عند المسلمين ، أن التشريع بغير ما أنزل الله ، شرك مخرج من الإيمان ، ولكن مع الأسف ، فقد فسدت المفاهيم كلها ، حتى مفهوم لا إله إلّا الله ، ولم يَبْقَ منه إلّا هذه الكلمة المنطوقة باللسان ، إلى جانب بعض الشعائر التعبدية عند بعض الناس ، يؤدونها تقليداً لا واجباً.

الثبات على مفهوم لا إله إلّا الله :

إذًا قضية لا إله إلّا الله ، قضية حساسة ، لها أهدافها وشروطها وأركانها ، ولولا هذه الكلمة ، لما شرع الجهاد في سبيل الله ، ولما تعرض المسلمون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها إلى الأذى والتنكيل ، رغم أنهم لا يعرفون

من الإسلام إلّا هذه الكلمة ، دون معرفة معناها وشروطها وأركانها ، ولولا هذه الكلمة ، لما قتل من قتل من الصحابة الكرام ، ولما أخرجوا من ديارهم وأوطانهم ، ولذلك سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: إلى أي شئ تدعو الناس؟ قال : (أدعوهم للا إله إلّا الله) قال: هذا أمر لا تتركه لك العرب ، لقد كان أمام الرسول ﷺ في مكة قضايا كثيرة ، يمكن أن يستثمرها للإستكثار من الجماهير ، كان الفرس يحتلون جزءً من الجزيرة العربية ، والروم كذلك يحتلون الجزء الآخر ، وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يستثير حميّة العرب القومية ، لتلتف حوله الجماهير ، حتى إذا اجتمعوا وآمنوا بزعامته ، قال لهم: قولوا لا إله إلّا الله ، وكانت هناك قضية إجتماعية ، فالأغنياء يستأثرون بالمال على الفقراء ، وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يوظف هذه القضية الاقتصادية لصالحه ، ويقف مع الفقراء ، وينادي بحقوقهم ، فتلتف حوله جموع الفقراء المسحوقين، ليواجه بها زعماء قريش الأثرياء،وفي أثناء ذلك يعرض عليهم:لا إله إلّا الله، وكان يملك غير ذلك من الخيارات المطروحة أمامه في تجميع الجماهير، وإثارة حماستهم واستمالتهم ، ولكن رسول الله ﷺ لم يستغل أية قضية من هذا النوع ، وإنما أثار قضية واحدة ، هي: لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، هذه القضية التي جلبت له العداء ، من قبل السادة والعامة، وظل مصراً عليها وحدها ، حتى أذن الله لها أن تلامس قلوباً مفعمة بالإيمان ، ومتعلّقة بالواحد الديان ، لقد كان ﷺ يمكنه أن يبدأ بالمشكلات الداخلية أو الخارجية ، أو يبدأ بالمشكلات الأخلاقية والاجتماعية ، لكنه لم يهادن على حساب الدين ، ولم يخش من ردود الأفعال المتشنجة ، لأنه لم يكن زعيماً ثورياً ، ولا قائداً عنصرياً ، يعمل لحسابه الخاص ، بل كان نبياً

مرسلاً، وكان أول ما دعاهم إليه كلمة التوحيد ، لا إله إلّا الله ، ودعاهم إلى عبادة إله واحد ، هو الله رب العالمين ، فقالوا تعجباً : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ (ص:٥) ، ولم يكن ذلك الصراع الدائر بين قريش والذين آمنوا ، على سيادة أرضية ، أو على السلطة السياسية ، فقد عرضوا عليه المال والجاه والسلطان ، فأباها ، عندما جاء إليه أبو الوليد (عتبة بن ربيعة) وقال: إن أردت الملك ملكناك علينا ، وإن أردت المال أعطيناك من أموالنا ما تشاء ، وإن أردت النساء زوجناك ، لكنه رفض ذلك وأباه ، إذًا لم يكن الصراع على شرف القبيلة ، أو سدانة البيت ، أو خدمة الحجيج، أو على القوة الاقتصادية التي كانت تملكها قريش ، وإنما كان الصراع كله ، على قضية كبرى في حياة الإنسان ، وهي قضية: لا إله إلّا الله ، ومن المَعْبُودُ في الأرض.

إنكار توحيد الألوهية:

ومعلوم قطعاً أن الخصومة بين الرسل وأقوامهم ، لم تكن في توحيد الربوبية ، إنما كانت في توحيد الألوهية ، الذي هو النوع الثاني من أنواع التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة ، كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها ، فقد كان المشركون يؤمنون بوجود الله، وأنه يستحق العبادة ، ولكن مع غيره، ويرفضون الوحدانية لله ، ويشركون مع الله آلهة أخرى ، ويقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (الزمر:٣) وكانوا يعجبون من فكرة الإله الواحد ، ويتسآلون ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ (ص:٥) ، وهذا الإنكار لتوحيد الألوهية ، هو الذي جعلهم يتخذون أكثر من ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة ، ويعبدونها من دون الله ، كما قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

(التوبة : ٣١)، وقد أُمروا أن يعبدوا إلهاً واحداً ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾(الزمر : ١١ - ١٥).

وحتى الآن ما يزال كثير من الناس اليوم ، يكفرون بتوحيد الألوهية ، ويعبدون آلهة شتى ، منهم العلمانيون المعاصرون الذين لا يختلفون كثيراً عن المشركين في الجاهلية الأولى ، فهم جميعاً يؤمنون بتوحيد الربوبية ، ولا ينكرون وجود الله ، بل يؤمنون به نظرياً ، ويمارسون بعض الشعائر التعبدية تمويهاً وتضليلاً ، على كثير من عوام المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

نسأل الله عز وجل أن يرد المسلمين إليه مرداً جميلاً ، وأن يرجعوا إلى دينهم وعقيدتهم ، إنه ولى ذلك والقادر عليه.



الولاء والبراء

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، ولـه الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخـرج الميـت مِن الحـيّ ، ويحـي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون:

إن حديثنا اليوم ، عن قضية مهمة جداً ، ألا وهي قضية الولاء والبراء، وقد يسأل سائل: ما هو هذا الولاء والبراء الذي تُحدِثونا عنه .

فنقول باختصار : إن الولاء هو: الحب للمسلمين ، **وإن البراءهو :** البغض للكافرين والجاحدين والمنافقين، وقد جاء في القرآن الكريم ما يقرر هذه القضية، قضية الولاء والبراء، فقد جاء تأكيد على أنها قضية حاسمة جازمة ، لا تقبل التمييع أو المهادنة ، إنها القضية التي أبان فيها القرآن رأيه وحكمه ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(المائدة : ٥٥- ٥٦) فجاءت الآيات ، صارمة صارخة واضحة ، تبين هذه المسألة ، ولمن يكون الولاء والبراء ، حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (الممتحنة : ١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ (المائدة: ٥١) ، ولذا فقه الجيل الأول من المهاجرين والأنصار هذه المسألة ، فلم يقبلوا فيها مساومة أو مهادنة أو محاباة ، أمّا اليوم ، فنحن بحاجة ماسة إلى التأصيل في قضايا العقيدة ، حتى يعلم كل مسلم أنه ليس حراً في توزيع ولاءآته ، ليس حراً في بعثرة جهوده وإنتماءآته ، ليس حراً في حبّه لأعدآئه ، فكل صف لا يتخذ الإسلام ديناً وعقيدة ومنهجاً ، الشأن بيننا وبينه المفاصلة والمدابرة والمقاطعة ، لأن المسألة في صميمها مسألة عقيدة وإسلام ، حتى لا يكون الإسلام مجرد كلمة تقال ، أو راية وشعار ، أو دعاية وإعلان.

سبب الحديث عن الموضوع:

وسبب حديثي عن الولاء والبراء في هذا المقام ، هو ما رأيناه ونراه في هذه الأزمنة المتأخرة ، من تساهل المسلمين في قضية الولاء والبراء ، فأصبح بعض الناس يستحسن الولاء للكفار ، ويعده من باب المجاملات الرقيقة ، أو من باب المصلحة ، وقد نسمع اليوم ، دعوات وصيحات ، ذات اليمين وذات الشمال ، تدعوا إلى موالاة الكفار ، واتخاذهم أحباباً وأخلاء ، وهذا أمر في غاية الخطورة ، لأن الخير والشر ، والحق والباطل، والإسلام والجاهلية ، في صراع مرير ودائم إلى أن تقوم الساعة ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة : ٢١٧) ولذلك فإن قضية الصراع ، لا بد أن تستمر ، ونظرية التفرد والسيادة، التي يسعى إليها الغربيون ، لا يمكن أن تتحقق ، لأن من سنن الله التدافع والتنازع والاختلاف ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ (هود:١١٨-١١٩) وعليه لا يمكن أن يبقى أحد متفرد بالهيمنة والألوهية والسيطرة

الكاملة، إلّا إله واحد، هو الله رب العالمين ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ (الأنعام :٦٢) لقد حاولت قريش، عبر المفاوضات الدبلوماسية، وقدّمت العروض، من أجل أن تنَال شيئاً يفتُّ في قضية الولاء والبراء، فقالوا: يا محمد، اعبد إلهنا سنة، ونعبد ربك سنة، فنزلت سورة الكافرون، تبين هذه المفاصلة، وتقرر حتميّة المواجهة مع الكفار، في مسألة الولاء والبراء، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ (الكافرون :١- ٦) لقد حاولوا بكل شيء، حتى عرضوا عليه الملك والرئاسة، والجاه والسلطان، بعد أن عرضوا عليه المال والطب والنساء، من أجل ذوبان قضية الولاء والبراء، لكنه لم يفعل، ولم يقبل منهم ذلك، بل قال كما جاء في السيرة: **(يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته، أو أهلك دونه)** بمعنى أن المسألة لا تحتاج إلى تفاوض، أو إلى هدنة، أو إلى تأجيل، أو إلى مراحل، ورغم أن هذه القضية، قضية الولاء والبراء، اعتنى بها النبي ﷺ غاية العناية، إلّا أن كثيراً من المسلمين اليوم، يجهلون قضية الولاء والبراء، ويعيشون انفصاماً وتنكراً لهذه القضية، فمرة يوالون، ومرة يعادون من حيث لا يعلمون، فقد أصبح غالب ولاء الناس وبَرائهم، من أجل هذه الدنيا، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطو منها، إذاهم يسخطون، فقد جهل كثير من المسلمين اليوم هذه المسألة، حتى بتنا -ويا للأسف- نسمع في بعض المناسبات من يقول للكفار: إخواننا، واليهود: إخواننا، والنصارى: إخواننا، بل قد سمعنا زعيماً عربياً يقول: أخي رابين اليهودي، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، واليوم قد نسمع من يقول: أن بوش أخوه من

الرضاعة، الله أكبر، أين الولاء والبراء من الكفار، أين نذهب بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة: ٥١) أين نذهب بقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (النساء : ٨٩) إذًا ليسوا لنا بأخوة، وليسوا لنا بأولياء، وإن حصل بيننا وبينهم تعاملات أو علاقات أو تجارات، أمّا المؤمنون فهم إخواننا في الدين والعقيدة، وإن تباعدت بيننا وبينهم الأنساب، والأحساب، والأوطان، والأزمان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر: ١٠) إذًا ما الذي يجعلنا نعطي ولائنا للمؤمنين؟ ما الذي يجعلنا نحب خالد بن الوليد وأبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وابن تيمية وأحمد بن حنبل، والشافعي والإمام مالك، وما الذي يجعلنا نكره فرعون وهامان وأبو جهل، وأبو لهب، وفراعنة اليوم؟ فنحن اليوم نكره الفراعنة المتسلطين على هذه الأمة، ونكره الظالمين والمتكبرين، ونكره المجرمين، ونكره الكذابين والمرتشين، ونكره أولئك الذين يجلسون مع الكفار في طاولة واحدة، ونكره أولئك الذين يعانقون أعداء الإسلام، ويقبلونهم في ذلة وصغار، نكره أولئك العملاء لليهود والأمريكان، ونحب المؤمنين الطيبين ونواليهم، ونبغض الكافرين ونعاديهم، نبغض بوش وبلير وكل من يأتي من بعدهم، أو ينتسب لهم بصلة، أو يقف معهم، أو يساندهم، أو يواليهم من دون المؤمنين، لماذا؟ لأنهم أعداء الإسلام، ومع ذلك نعطي كل ولائنا وحبّنا للمسلمين، ولاشيء يحبس ولائنا للمؤمنين، فنحن نحب الأعاجم من المسلمين الذين لا يعرفون من العربية حرفاً واحداً،

ونحب أقواماً تفصل بيننا وبينهم البحار والمحيطات ، ونحب أقواماً ليس بيننا وبينهم أنساب ولا قرابات ، لماذا ؟ لأنهم مسلمون:

إن يختلف ماء الوصال ∴ فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد
أو يختلف نسب يؤلف بيننا ∴ دين أقمناه مقام الوالد

وبناءً على ذلك ، ينبغي لعامة المسلمين ، أن يقيموا بينهم وبين إخوانهم جسراً راسخاً ، من عقيدة الولاء والبراء ، وألاّ يتدابروا ، وألاّ يتقاطعوا، بسبب تقاطع الأنظمة أو تقاطع الحكومات ، فقد يحصل بين دولة ودولة، حرب أو مشكلات ، ولكن مع ذلك يجب أن يبقى المسلم مسلماً بإسلاميّته، ومستحقاً للولاء ، أياً كانت دولته أو قيادته ، أو جنسه أو لونه، لأن بعض الناس ، يظن أن مسألة الولاء والبراء ، مسألة جغرافية، أو حدودية ، كلا، إنها عقيدة أزلية ولائية لكل المسلمين ، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلّا بالتقوى ، ولا فرق بين: أحمر ، وأصفر ، وأبيض ، وأسود ، كلهم لآدم ، وآدم من تراب.

موقف المسلمين من الكفار :

ولهذا يجب أن يكون ولائنا وحبنا للمسلمين ، أمّا الكفار ، فليس بيننا وبينهم ولاءات ، وليس بيننا وبينهم علاقات ، في ظل هذه الهجمة الشرسة، والهيمنة الاستعمارية ، ولكن بعض المسلمين اليوم ، يقولون: لا بدّ أن ندخل مع هؤلاء الكفار في علاقات ، لا بد أن ندخل معهم في ولاءات وتكتلات ، ولا بد أن يكون لنا مكانة عندهم ، والله عز وجل قد بين هذه المفارقة العجيبة ، بقوله تعالى :﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾(النساء :١٣٩) يريدون منهم المكانة والرفعة والمال والتسهيلات ، كلا ، فهؤلاء

المتذللين لأسيادهم الغربيين ، قد هدموا عقيدة الولاء والبراء ، ولذلك قال الله عن أولئك المنافقين الذين هدموا عقيدة الولاء والبراء ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ (النساء :١٣٩) كذلك بعض المسلمين الذين يتولون الكفار ، قد ميّعوا قضية الولاء والبراء ، وذلك نتيجة ، لخواء إيمانهم ، وخوفهم من أسيادهم المتسلطين على رقابهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (المائدة :٨١) واليوم إذا سألناهم: لماذا هذا التساقط وهذا الانبطاح أمام الكفار ، بهذه الصورة الرخيصة الدنيئة ، سيقولون ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ (المائدة : ٥٢) نخشى ونخاف من الكفار ، نخشى ونخاف من الأمريكان ، ولذلك يقول الله عنهم : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾(المائدة :٥٢) هذه المقولة الانهزامية ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ قد تبناها المنافقون ، عندما نزلت سورة براءة ، ألا يحج بالبيت مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، فقالوا: هذا يمكن أن يؤثر على تجارتنا ، ويمكن أن يضر بالاقتصاد على المسلمين في مكة ، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ التوبة الآية (٢٨) وعلى سبيل المثال ، قد يقال في هذا الزمان: إن السياحة في بلاد المسلمين ، قد يصيبها أضرار وانتكاسات ، إذا قطعنا علاقاتنا مع الكفار ، فنقول كما يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ إن خفتم على الموارد السياحية والاقتصادية ، فسوف يفتح الله لكم موارد أخرى ، تذكيراً بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك : ١٥) .

الولاء والبراء من أصول التوحيد:

إذًا الولاء والبراء أصل من أصول الإسلام والإيمان ، ولن يتحقق التوحيد في الأرض إلّا بتحقيق مبدأ الولاء والبراء ، فقد يحسب بعض الناس ، أن هذا المفهوم العقدي الكبير ، قضية جزئية أو ثانوية ، بل إنها قضية إيمان وكفر ، إسلام وجاهلية ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ (التوبة : ٢٣، ٢٤) ولقد مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعوا الناس إلى هذه العقيدة ، عقيدة الولاء والبراء فإذا عرفت هذا ، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولا إيمان ، إلّا بتحقيق مبدأ الولاء والبراء من المشركين والكافرين ، والتصريح لهم بذلك ، كما قال تعالى في سورة المجادلة : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

وعليه يتضح ممّا سبق : أن الولاء والبراء ، من لوازم لا إله إلّا الله ، ولا يكفي أن يقول الناس: لا إله إلّا الله ، وهم يوالون أعداء الله ، لذلك فهمت قريش هذه الكلمة ، وأن معناها: البراءة والمفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، معناها: أن المسلم يجب أن يبقى مسلماً بإسلاميته ، وأن الكافر يجب أن يبقى كافراً بكفره وعناده ، معناها: أن تتبرئ قريش من

كل الطواغيت الجاهلية ، وتعلن ولائها للإسلام ولمحمد عليه الصلاة والسلام ، وعليه نقول: لا يجوز أن يتميّع المسلم مع غيره من الكافرين ، ولا يظهر لهم الولاء ، بحيث يتعايش معهم ، أو يحافظ على مشاعرهم ، خوفاً عليهم وعلى نفسه ، أن يصموه بالتشدد أو التزمت ، بل يجب على المسلم أن يعتز بإسلامه، ويظهر شرائع دينه ، غير آبه بغضب أولئك ، أو مراعاة ظروفهم ومشاعرهم نحو المسلمين ، فقد كان الأمر واضحاً لرسوله ﷺ أنه لا خيار له من الإعلان بالإسلام وشرائعه ، مهما كانت النتائج ، ومهما غضب عليه المشركون ، أو الكافرون ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الحجر : ٢٤) ومن هنا: استحق المؤمنون أن يكونوا من أولياء الله لإنهم استجابوا للحق والهدى ، أمّا أولئك المنافقين فهم أولياء الشيطان لأن من سماتهم أنهم يعادون أولياء الله ، ويحاربون الإسلام ، ويقفون دائماً في صف الكافرين وخندقهم ، ولذلك يصف الله حال الفريقين ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (البقرة : ٢٥٧).

الولاء والبراء عند المؤمنين السابقين :

أيها المؤمنون: إن هذا الولاء والبراء الذي حدّثناكم به سابقاً ، والذي نحدِّثكم به اليوم ، لا بد أن يكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذه الولاية الإيمانية ، يجب أن تصبّ في خانة الإسلام ، ويجب ألاّ نحصرها لحزب بعينه، أو جماعة بعينها ، أو لدعوة غير الإسلام، ولكن لكل مسلم في أي أرض ، وتحت أي سماء ، هي للإسلام ما بقي الإسلام، ميزتها أنها لله، وأنها تبقى ولا تفنى ، وأن منتهاها الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾(الزخرف: ٦٧) وقد ضرب إبراهيم عليه السلام أروع الأمثلة في هذه الولاية ، حينها تبرءَ من قومه وعشيرته الكافرين، حيث قال : ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾(الممتحنة :٤) وكان من نتيجة هذه المعاداة ، وهذا البراء القوي ، أنْ أجمع الطغاة على قتله ، والتنكيل به ،حيث : ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾(الصافات :٩٧، ٩٨) ومن هذه الأمثلة التي نريد أن نتحدث عنها باختصار ، نوح عليه السلام وموقفه من ابنه الذي فاصله ، وأعلن البراءة منه ، بعد أن عاتبه الله بقوله : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (هود : ٤٦) وهنا يأتي الاعتذار والإذعان والتسليم الكامل لأمر الله القائل: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (هود :٤٧) وعلى النقيض من هذه الأفعال ، إمرأة فرعون التي آمنت بالله وتبرأت من صلتها بفرعون وعمله ، فقالت : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (التحريم:١١) إنّ وقوف تلك المرأة المؤمنة لوحدها ، أمام ذلك اللئيم الجبار ، لتستعلي بإيمانها ، إنه لمثل رائع جميل ، وهناك أيضاً: نموذج آخر لهذا الولاء الرفيع ، الذي أعلنه مؤمن آل فرعون ، حينها قال فرعون ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (غافر : ٢٦) فقال ذلك الرجل الذي كان يكتم إيمانه: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ

اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(غافر: ٢٨) وأخيراً: نقف مع الفتية الذين فرّوا بدينهم إلى الكهف، وأعلنوها من هناك، أنه لا ولاء بينهم وبين الكفار، وأنه لا يمكن أن يتحالفوا مع الكفار تحت راية واحدة، كما قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الكهف : ١٣- ١٤).

الولاء والبراء عند رسول الله ﷺ :

أيها المسلمون: إن أكبر مثال نقدمه لكم في تطبيق الولاء والبراء عند المسلمين، ما جرى للنبي ﷺ مع قومه المشركين في مكة، حينما رأى المشركون صلابة المسلمين في دينهم، واستعلائهم في عقيدتهم، أرادوا أن يميِّعوا مفهوم الولاء والبراء عند المسلمين، فقالوا: يا محمد، نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة، فأنزل الله سورة المفاصلة، أي سورة الكافرون ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون :١- ٦)، ونزل قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الحجر:٩٤)، ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء :٢١٤) فاستجاب النبي ﷺ لهذا الأمر الإلهي من فوره، وبدأ يعلن البراءة من الكافرين، وجعل ينادي في بطون العرب، قبيلة، قبيلة، وهو يقول: **يا بني هاشم، يا بني مرة، يا بني عبد مناف، حتى إذا اجتمعوا إليه، قال لهم: أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً)** ثم بعد ذلك أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وأمره بقتال الكافرين، وليس مداهنتهم أو محاباتهم، حيث قال ربنا سبحانه

وتعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (التوبة :٥) ثم نزلت سورة التوبة تعلن البراءة من المشركين ، استنادا إلى قوله تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (التوبة : ١ - ٢) .

وبعد نزول هذه السورة ، أمر النبي ﷺ بالأحكام التالية ، أولاً:

١-منع المشركين من دخول المسجد الحرام ، استجابة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (التوبة : ٢٨).

٢- جاء الأمر بمنع النكاح من المشركين والمشركات ، حيث قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾(البقرة : ٢٢٢).

ومن الأحكام التي أمر بها النبي ﷺ :

٣-منع المسلمين من الإقامة في دار المشركين والكفار ، حيث قال عليه الصلاة والسلام (**أنا بريئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**) وكذلك السفر إلى بلادهم لغرض النزهة أو السياحة ، كما في الحديث السابق ، أمّا إن كان للدعوة أو العلاج ، أو طلب العلم ، فهذا لا بأس به إن شاء ، كذلك لا يجوز:

٤ -الاستعانة بهم ، واتخاذهم بطانة ومستشارين من دون المؤمنين، لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران : ١١٨) وعليه؛ فلا يجوز إتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب ، إن لي كاتب نصراني ، فقال عمر رضي الله عنه : قاتلك الله ، ألا اتخذت حنيفاً مسلماً) ولهذا كتب عمر إلى أبي هريرة كتاباً ، جاء فيه : ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك ، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله تعالى جعلك حاملاً لأثقالهم) .

وكتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله - إلى أحد عماله في الأمصار :

أما بعد : فإنه بلغني أن عندك كاتباً نصرانياً يتصرف في مصالح المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (المائدة :٥٧) فإذا أتاك كتابي هذا فادع ذلك الكاتب النصراني إلى الإسلام ، فإن أسلم فهو منا ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن به) وقد فشا استخدام أهل الكتاب في أيام الخلافة العباسية ، فنهض أحد العلماء ، وهو شبيب بن شيبة ، بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الشأن ، وحذّر أبا جعفر المنصور من استخدام أهل الكتاب في مصالح المسلمين ، ولكن نشاهد اليوم كثيراً من هؤلاء الكفار والمسيحيين ينتشرون في بلاد المسلمين ، في طولها وعرضها . وتجدهم في المصانع والشركات ، والمؤسسات العامة والخاصة ، تحت ما يسمى بالأيدي العاملة والخبراء المدنيين والعسكريين ،

وتارة باسم الأطباء والمهندسين ، وهكذا دواليك ، بينما يوجد من العقول المفكرة ، والأيدي العاملة المسلمة ، من هي أكثر كفاءة ، وأكثر إتقاناً من غيرها ، ولكن نجد أن هذه العقول المفكرة تهمّش في بلادها ، ويضيق عليها ، فتذهب إلى الخارج بحثاً عن حياة أفضل ، ومّما أذكر أني قرأت في إحدى الصحف الإسلامية أنه يوجد أكثر من (٤٠٠)ألف طبيب مسلم ، قد انتشروا في الدول الغربية والأوروبية ، وتركوا أوطانهم ، ومن العجب أيها الأخوة ، ما وقع لكثير من المسلمين اليوم ، فإنهم يأتون بالكفار إلى بلاد الإسلام وإلى الجزيرة العربية ، ويستخدمونهم عمالاً وسائقين ومربين وغير ذلك ، والله عز وجل يقول : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (آل عمران : ١١٩).

كذلك من الولاء والبراء لا يجوز :

٥-التأريخ بتاريخهم ، لأنه يعبّر عن طقوسهم وعبادتهم ، كالتاريخ الميلادي ، الذي هو عبارة عن ذكرى ميلاد عيسى عليه السلام ، ولهذا السبب، لمّا أراد الصحابة -رضوان الله عليهم - أن يضعوا تاريخاً للمسلمين ، وضعوه استنادًا بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، كذلك من الولاء والبراء ، لا يجوز .

٦-مشاركتهم في أعيادهم الوطنية، أو الدينية ، أو تهنئتهم بمناسبتها، لأن في ذلك موالاة لهم ، وقد جاء في معنى الآية الكريمه ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ (الفرقان : ٧٢) أي: لا يحضرون أعياد الكفار وأفراحهم، ولذلك لا يجوز لمسلم أن يشارك أعداء الله في أعيادهم ، فعن أنس بن

مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال ﷺ : **إن الله قد أبدلكما خيراً منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر**) النبي ﷺ نهانا أن نشاركهم في أعيادهم الدينية، ولم يكن يعلم أنه سيكون لهم أعياداً أخرى، كعيد الأم، وعيد الميلاد، وعيد العمال، وعيد الدجاج، وغيرها من الأعياد التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك يقول عمر رضي الله عنه : اجتنبوا أعداء الله في أعيادهم، كذلك من الولاء والبراء، لا يجوز :

٧-التسمّي بأسمائهم: ولكن مع الأسف الشديد، فقد أصبح بعض المسلمين اليوم، يسمون أبناءهم بأسماء أجنبية، وتركوا أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم، والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله : (**خير الأسماء، عبد الله، وعبد الرحمن**) ولكن وجد جيل من المسلمين اليوم، يحمل أسماءً غريبة وغربيّة، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، كذلك لا يجوز :

٨-الاستغفار لهم والترحم عليهم: لأن الله -عز وجل- قد حرّم ذلك بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ (التوبة :١١٣) ويقول تعالى في شأن المنافقين : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (التوبة : ٨٤) فإذا كان هذا مع المنافقين، فما بالكم بالكافرين، ولكن رأينا بعض المسلمين من يحزن أو حزن على تلك العاهرة التي تسمى ديانا، عندما هلكت، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

الولاء والبراء عند الصحابة :

ولهذا يجب أن نعلم أن مبدأ الولاء والبراء في الإسلام لا يعرف تبعيضاً ولا تجزءة عند المسلمين، ولا يقدم قريباً لقرابته أو بعيداً لوجاهته، ولذلك جاءت المفاصلة التامة بين المؤمنين وأقربائهم من الكفار المعادين لله ولرسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التوبة:٢٣) ثم يأتي التحذير الأقوى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (المجادلة :٢٢) لقد نزلت هذه الآية ، في أبي عبيدة عامر بن الجراح ، حينما قتل أباه في معركة بدر ، لأنه كان كافراً بالله ، محارباً لله ولرسوله ﷺ ولم تكن صلة الأبوة ، لتمنعه من قتل أبيه ، الذي اختار لنفسه أن يكون في حزب الشيطان، ومن الأمثلة على ولاء المسلمين لدينهم ، موقف صحابة رسول الله ﷺ من الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك ، أمر النبي ﷺ بمقاطعتهم وعدم الحديث معهم ، ولهذا لم يكلمهم أحد ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، منهم كعب بن مالك رضي الله عنه أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ، فهجرته زوجته وذهبت إلى أهلها، وبينما هو كذلك يعيش حياة الهجر والحرمان ، إذ يأتيه أمر عجيب ، وبلاء عظيم، يستدعيه مَلِك غسان، ويريد أن يساومه في دينه ويتنصّر ، فيقول كعب ابن مالك رضي الله عنه عن نفسه: فبينما أنا أمشي في سوق المدينة ، وإذا نبطيٌّ من أنباط أهل الشام، ممّن قَدِمَ بالطعام إلى المدينة يبيعه ، يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يُشيرون له نحوي ، حتى إذا جاءني

دفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، فإذا به ،أما بعد: فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعه ، فالحق بنا نواسيك) أي: أن صاحبك محمد أعرض عنك وهجرك ، وأمر الناس بهجرك ولا يكلمك أحد، فتعال إلينا نواسيك ونكلمك ونحدثك ، وتدخل معنا في النصرانية، وتترك محمداً ودينه ، هذا هو الاختيار الأصعب ، والابتلاء الشديد، مع دواعي الإغراء والأغواء، لكن كعب بن مالك رضي الله عنه ، لم يستجب لهذه الإغراءات الدنيئة ، وأعلن ولائه للإسلام ، وأنه لن يتنازل عن دينه مهما حاول أعداء الإسلام أن يتوددوا إليه بكلامهم المعسول، ووعودهم القرمزية ، فإن تلك الأحاسيس الرهيفة والمشاعر الفياضة التي أبداها ملك غسان لكعب بن مالك رضي الله عنه ،لم تؤثر فيه بل زادته ثباتاً وصبراً على دينه الذي آمن به، مما جعله يضع تلك الرسالة في التنور تغليباً لدينه على تلك الشهوات وملذاتها ، أمّا اليوم ، فقد نجد من بعض المسلمين من يتنازل عن دينه وولائه ،حتى لو نال من أعدائه على شيء رخيص أو فتات يسير، أو نال من أعدائه على وعود كاذبة ، أو مال زهيد، فكم من المسلمين اليوم، من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ومنهم من شاهد حضارة الغربيين ، فتمنى أن يعيش معهم أو مثلهم ، ومنهم من شاهد مبدأ العدل والمساواة والحرية التي يعيشونها في بلادهم، فتمنى أن يحشر معهم وفي زمرتهم ، وبعض المسلمين عندما يشاهد تلك الحقائق والإيجابيات في بلادهم ،فإنه قد يسأل ويقول:إن بلادهم أفضل من بلادنا، وإن دينهم أفضل من ديننا، وهذا والعياذ بالله خروج من دائرة الإسلام ، لأن هذه المقولة الكفريّة ، تناقض صريح الآية الكريمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران الآية(١١٠).

المشابهة للكفار:

إذاً قضية الـولاء والبراء، التي معناها في الإسلام، يجب أن يكون الولاء والحب للمسلمين، والبغض والكراهية للكافرين والمنافقين والجاحدين، وعليه فإن قضية الولاء والبراء قضية مهمة جداً، ركّز فيها النبي ﷺ خوفاً على أمته من ولاء الكافرين واتباع سبيلهم ومنهجهم وطريقتهم، فكان ﷺ يدعو دائماً إلى مخالفتهم حيث يقول: **(خالفوا المشركين)**، **(لا تشبهوا بأهل الكتاب)**، **(لا تشبهوا باليهود والنصارى)** ولكن من المؤسف جداً، أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، تشبهاً باليهود والنصارى، الذين افترقوا إلى ثنتين وسبعين فرقة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، قوله عليه الصلاة والسلام (إن أهل الكتابين، افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الأمة، ستفترق على ثلاث وسبعين ملّة، كلها في النار إلّا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه) وكذلك أخبر ﷺ أنه سيكون في أمته مضاهات لليهود والنصارى، ومن يحذو حذوهم، كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(لتتبعن سُنن من كان قبلكم، حذو القذة، بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا:** يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ **قال: فمن)** .

ويبين هذه الحقيقة ويجلّيها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما قال: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتاً وهدياً، تعملون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا) ومن ذلك ما رواه الزهري عن أبي واقد الليثي أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديث عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال

لها: ذات أنواط ،فقلنا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: ألله أكبر، إنها السُنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ولهذا نهى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من اتباع أهوائهم ، حيث قال: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (البقرة :١٢٠) ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾(الجاثية:١٨، ١٩)، وخاطب الله -سبحانه وتعالى- موسى وهارون بقوله : ﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(يونس :٨٩) وقال -تعالى -تحذيراً لعباده المؤمنين: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾(النساء : ١١٥) وقال تعالى لمحمد -عليه الصلاة والسلام- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾(التوبة : ٧٣) .

شروط التعامل مع الكفار:

ولكن قد يقول قائل ، لماذا تحرِّمون التعامل مع الكفار ، وقد كان النبي ﷺ يتعامل معهم في المدينة ، نقول هذا صحيح ، ولكن بشروط ، فعندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة ، وضع بينه وبين اليهود معاهدة ووثيقة ، من بنودها :

أولا: ألا يقاتلون المسلمين ، استناداً للآية الكريمة ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾.(الممتحنة:٨) فهؤلاء لا بأس أن نتعامل معهم ، أمّا أولئك الذين

يقاتلون ويشردون ، أو أولئك الذين ينتهكون الأعراض والمقدسات ، فهؤلاء لا يمكن أن نتسالم معهم بأي حال من الأحوال ، الآن ما يفعله اليهود والنصارى ، وعلى رأسهم زعيمة الشر في العالم ، هل يمكن أن نسمي ذلك سلاماً ، أو رحمة بالمسلمين ، كلا ، إن ذلك إرهاباً وإجراماً وظلماً ، يمارس في حق الشعوب المسلمة ، وعليه؛ فلا يجوز أن نواليهم من دون المؤمنين ، أو نعقد معهم صفقات تجارية أو عسكرية ، أو نفتح لهم بلاد المسلمين ، لكي ينشؤا فيها قواعدهم العسكرية ، فهذا لا يجوز شرعاً ، لأن الرسول ﷺ يقول : (**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**) وليس للمسلمين أن يقبلوا منهم المبررات الكاذبة، تحت ما يسمى التعاون العسكري، أو مكافحة الإرهاب ، أو تدريب الجيوش الوطنية ، فنحن لا نريد من هؤلاء الكفار، أن يدخلوا إلى ديارنا وأوطاننا ، لأن الله عز وجل يقول ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾(الأنفال: ٣٩) لا نريد منهم: تنمية الاقتصاد ، ولا زيادة الإنتاج ، ولا تربية الأجيال ، فعندنا في الإسلام ما يؤهلنا إلى ذلك ، عندنا في الإسلام مصادر القوة والبقاء ، ففي مجال القوة ، عندنا مبدأ الجهاد والإيمان ، وفي مجال الاقتصاد عندنا المضاربة الشرعية والتكافل الاجتماعي بين المسلمين، وعندنا في التربية ، قوله ﷺ: (**علموا أبناءكم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع**)،وعندنا في تنظيم الأسرة ، قوله عليه الصلاة والسلام : (**تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم**) وعندنا في مجال الإعلام عالمية الدعوة المحمدية﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء :١٠٧) عالم الإنس وعالم الجن ، وهذه القنوات الفضائية لا تستطيع أن تصل بأفكارها ومعتقداتها كما وصلت إليه رسالة محمد ﷺ .

الخيانة اليهودية :

إذاً النبي ﷺ في المدينة ، عاهد اليهود على الولاء والسمع والطاعة، لكنهم غدروا به ، وقتلوا واحداً من المسلمين في سوق بني قينقاع ، النبي -عليه الصلاة والسلام - في هذا الموقف ، لم يهادن ولم يسكت على بغيهم وفسادهم ، بل قطع معهم العلاقات الدبلوماسية ، والقنوات السلمية، وأعلن الحرب عليهم ، أمّا اليوم: فيقتلون المئآت والعشرات ، بل الآلاف، وما تزال علاقتنا معهم جيدة ومتينة ، بل وطيدة ، يخربون الديار، وينتهكون الأعراض والمقدسات ، وما زلنا نحبهم ونواليهم من دون المؤمنين ، النبي ﷺ قاتلهم وحاصرهم من أجل رجل واحد من المسلمين ، وأخرجهم من المدينة أذلة وهم صاغرين ، لكن المنافق عبد الله بن أبى بن سلول ، الذي كان يقف دائماً في صف الكافرين ويواليهم من دون المؤمنين ، لم يحلو له هذا الجو ، وما رضي بهذه النتيجة المخزية لليهود، فقال: يا محمد ، أحْسِنْ في موالىّ ، فأعرض عنه النبي ﷺ فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ وقال: أحْسِنْ في موالىّ يا محمد ، أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع ، قد منعوني من الأصفر والأحمر ، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله إمرئ أخشى أن تصيبنا الدوائر ، فنزل قوله تعالى في شأن هذا المنافق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة : ٥١) إذن هذا الموقف الولائي ، لعبد الله بن أبى بن سلول ، ليس عنا اليوم ببعيد ، فكم من المسلمين اليوم، المحسوبين على الإسلام، يتولون الكافرين ويقفون معهم وفي صفهم وخندقهم، فتجد بعضهم يحترم اليهوديّ أكثر من احترامه للمسلمين ، وكذلك الدول التي تسمي نفسها إسلامية وعربية ، توالي اليهود والنصارى أكثر من ولائها

للمسلمين ، وتعظم القادمين من بلادهم ، وتنزلهم منزلة رفيعة، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، إذاً عجيب لهؤلاء المسلمين ، الله عز وجل يحذرنا من موالاة الكافرين ، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾والرسول ﷺ يحذرنا من ذلك ونحن نحرص على موالاتهم ومحبتهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

التمايز بين المسلمين وغيرهم :

وعليه ؛ فإن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة ، وإن المعركة بين المسلمين وأعدائهم من اليهود والنصارى ، منذ عهد طويل، منذ أن كان النبي ﷺ في المدينة ، حينما غدروا به ونقضوا العهود والمواثيق، التي أبرموها على أنفسهم ، عند ذلك أمر النبي ﷺ بقتالهم وبغضهم، وترك مودتهم وحبهم ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لرغبة نبيه ﷺ فنزلت الآيات الكريمات ، آمرة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في مكة، وذلك لما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر ربه ، فأنزل الله هذه الآيـة ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾(البقرة : ١٤٤) ، عند ذلك قال السفهاء من الناس ، وهم أهل الكتـاب والمشركين ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ ﴾ (البقرة :١٤٢) لقد كان لهذا الحدث العظيم، دويٌّ كبير في المدينة وما حولها ، وكان هذا ، إيذاناً باحتدام المعركة بين الفريقين، ولذلك جاءت الآيات اللاحقة ، تظهر ولاءات اليهود ،ومدى بغضهم للمؤمنين ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ

بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ (البقرة :١٤٥)
وكذلك نلاحظ هذا التمايز بين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى في ميثاق المدينة الذي أبرم بين المسلمين واليهود ، تحت إشراف النبي ﷺ فجاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم :

أولاً: هذا كتاب من محمد بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

ثانياً: إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

ثالثاً: إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار ، يُخاف فساده، فإن مرده إلى الله -عز وجل- وإلى رسوله محمد ﷺوغير ذلك من البنود التي لم نذكرها هنا.

وعليه ؛ فإن هذه الفقرات لا تحتاج إلى تعليق أو توضيح ، فهي واضحة تماماً ، في تحديدها لمبدأ الولاء والبراء ، وأن للمسلمين كياناً خاصاً بهم، يستقلون به ، ولذلك كان أول خطوة خطاها النبي ﷺعند وصوله إلى المدينة ، هو بناء المسجد النبوي الشريف ، وكان هذا الفعل إعلاناً رسمياً باستقلال كيان المسلمين ، وأنهم أصبحوا دولة ذات قوة وسيادة، ثم شُرع الأذان خلافاً لناقوس أهل الكتاب ، ليزيد المسلمين استقلالاً وبهاءً على غيرهم من أمم الأرض ، كما روى ذلك ابن هشام في سيرته عن عبد الله بن زيد ، أنه رأى في المنام رجلاً يحمل ناقوساً ، فقال له: أتبيع هذا الناقوس؟ ،

قال: وما تصنع به؟ قال: ندعوا به إلى الصلاة ، قال: ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قال: وما هو ، قال: أن تقول: الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ...... إلخ ، حسب الصيغة المعروفة الآن ، ولمّا سمع رسول الله ﷺ هذه الرؤيا ، قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، ثم أمر بلالاً أن يؤذن بها ، لأنه أندى صوتاً من صاحبه ، ولما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا النداء، خرج من بيته مسرعاً إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام: الحمد لله على ذلك).

إذاً أيها الإخوة: بعد هذا التمايز في العبادات ، وهذه المفارقة التي أشار إليها القرآن الكريم ، فهل بعد هذا يصح سلام مع اليهود والنصارى ، وقد أعلنوا حربهم على الإسلام في كل مكان.

نسأل الله -عز وجل- أن يجعل كيدهم في نحورهم ، وأن يدمرهم بأسلحتهم وعتادهم ، إنه ولى ذلك والقادر عليه.



التشبه

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون: إن هذه الأمة أصيبت بداء الأمم التي من قبلها ، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**) وفي رواية عند البخاري قوله -عليه الصلاة والسلام- : (**لا تقوم الساعة ، حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع**) والحقيقة أن سبب حديثي عن هذا الموضوع ، هو ما حصل للمسلمين اليوم ، من تشبه ومجاراة للكافرين ، فإنك الآن أصبحت لا تستطيع أن تميز بين كثير من المسلمين وغيرهم من الأمم الكافرة ، في مأكلهم ومشربهم وملبسهم، وأصبحت نساء المسلمين اليوم ، كما وصفهن الرسول ﷺ بقوله: (**كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة**) فلا ترى إلّا ما ترى، من تشبه واختلاط بين الرجال والنساء، وكأنك تعيش في دولة أوربية ،

أو ولاية غربية ، فتسأل نفسك: ما الذي جرى للمسلمين؟ ماذا حصل للمسلمين ، أين معالم الدين القويم ، الذي نافحوا وناضلوا من أجله ، فحينها لا تجد جواباً ، ولهذا فقد نهى رسول الله ﷺ عن التشبه بالأمم الكافرة ، من يهود ونصارى ومجوس ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : **(ليس منا من تشبه بغيرنا)** ،وقال في حديث آخر : **(لا تشبهوا بأهل الكتاب)**، (لا تشبهوا باليهود والنصارى) وهذا التشبه المذموم هو الذي حذر منه ربنا سبحانه وتعالى في قوله عز وجل : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ (التوبة :٦٩) ونتيجة لذلك فقد خشي النبي ﷺ على أمته من الخوض في أعمالهم التي خاضوا فيها ، حيث قال -عليه الصلاة والسلام-: **(والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على الذين من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم)** وأخبر ﷺ أن هذه الأمة ستخوض بالذي خاضت به بنو إسرائيل ،كما جاء في الحديث **(ليأتينّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل ، حذوا النعل بالنعل ، حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية، كان في أمتي من يصنع ذلك)** هذا الحديث ضعيف إسناده ، صحيح متنه ، وجاء في السنن ، أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين ، وحتى يعبد فئآم من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي)** إذاً أخبر ﷺ أنه سيتشبّه قوم من أمته بالمشركين ، كما تشبهوا باليهود والنصارى، في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وعباداتهم،ولذلك أكّد -عليه الصلاة والسلام- على استقلالية المسلم ، حتى في مظهره

ومأكله ومشربه وملبسه، حينما قال: (**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**) متفق عليه ، وثبت عند مسلم في صحيحه قوله -عليه الصلاة والسلام -: (**لا يأكلن أحدكم بشماله ، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**) ولكن كثير من المسلمين اليوم ، يفعلون فِعْلَةَ الشيطان ، يأكلون بشمالهم ، ويشربون بشمالهم تشبهاً باليهود والنصارى ، بل يعدُّون ذلك ثقافة وحضارة عندما يتشبهون بهم، ولعلهم بذلك يُريدون أن يُحشروا معهم وفي زمرتهم ، بينما الرسول ﷺ يقول: (**من تشبه بقوم فهو منهم**) ولذلك أكّد -عليه الصلاة والسلام-، على أهمية إستقلال المسلم ، في شخصيته الإسلامية ، حتى في مظهره وملبسه، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ، ثوبين معصفرين ، فقال: إن هذه من ثياب الكفار ، لا تلبسها) رواه مسلم ، وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا تلبسوا الحرير ، فإنه من لبسه في الدنيا ، لم يلبسه في الآخرة**) ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة تشبهاً بالكفار ، لما ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه ، كتب إلى قائده عتبة بن فرقد في أذربيجان: يا عتبة ، إنه ليس من كَدِّ أبيك ولا من كَدِّ أمك ، فأشبع المسلمين مّما تشبع منه ، وإياكم وزي الكفار ، وأهل الشرك ، ولبوس الحرير ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير) وممّا ذكره علماء الإسلام ،أنه لا يجوز الأكل والشرب والإدّهان والتطيب، في آنية الذهب والفضة ، للرجال والنساء على حد سواء ، لأن في ذلك تشبهٌ بالكافرين ، وتنعمٌ بنعيم المترفين والمسرفين ، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن مشابهتهم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ، لأنها ترمز لصفاتهم

وعاداتهم السيئة ، ولأنها مشتملة على المخالفات الشرعية: كالكبر والغرور والشهرة ، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

وكذلك الملابس التي فيها صور ، فإنها محرمة على هذه الأمة ، إستناداً لقول الرسول ﷺ : (**إن البيت الذي فيه صور ، لا تدخله الملائكة**).

إذاً فملائكة الرحمة من باب أولى، لا ترافق من يحمل الصور في بيته، أو على صدره ، لأن في ذلك تعظيماً لها ولأصحابها ، ولأن فيها مشابهة للمشركين ، الذين كانوا ينصبون ويعلقون صور عظمائهم وآلهتهم ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله: (**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره ، وصوروا له هذه الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله**) وإن مما يؤسف له ، أن كثيراً من شباب المسلمين اليوم ، أصبحوا مولعين بهذه الملابس وهذه الصور ، التي يعلقونها في بيوتهم وعلى صدورهم ، تشبهاً باليهود والنصارى ، ولذا نوجه اللوم ليس لأولئك الأولاد الذين تميّعوا وتمعمعوا وتشبهوا ، ولكن نوجه اللوم لألئك الآباء الذين دخلوا تحت قوله عليه الصلاة والسلام (**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) لقد توارث المسلمون جيلاً منهزماً ومنحطاً في أخلاقه وقيمه ، جيل لا يعرف العزة والكرامة لنفسه وأمته، جيل تربى على تقليد غيره من الأمم الكافرة، فتشبه الرجال بالنساء ، وتشبهت النساء بالرجال ، فاستحقوا بذلك لعنة رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي يقول فيه: لعن رسول الله ﷺ **المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**) والنبي ﷺ قد سمى أولئك المتشبهين بالنساء والذين يتمايلون ويفعلون كما تفعل النساء ، فقد سمّاهم بالمخنثين، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في

صحيحه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (**لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**) وعليه فإن تمثيل الرجل لدور المرأة ، في مأكلها ومشربها وملبسها ، أو محاكاتها في رقصها ، فإن ذلك يعتبر من التشبه المنهي عنه ، وقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل**) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة.

وكذلك من التشبه: أن يلبس الرجال الثياب الطويلة ، وتلبس النساء الثياب القصيرة ، عكس ما أمر به النبي ﷺ حينما قال : (**من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة** رضي الله عنها : **فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخينه ذراعاً ، ولا يزدن عليه**) رواه أبو داود في سننه ، ولكن اليوم أصبح العكس من ذلك ، فقد أصبح الرجال يتسرولون ويطيلون ، وأصبحت النساء تلبس القصير الفاضح ، وما يسعنا في هذا المقام إلّا أن نقول: فاتقوا الله أيها المسلمون ، واحذروا التشبه بالكافرين ، واحذروا من فتنة النساء ، فإن أول فتنة في بني إسرائيل كانت في النساء ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : (**إن المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**) أي زينها في نظر الرجال ، وقال أيضاً: (**ما تركت بعدي فتنة ، أضرُّ على الرجال من النساء**) متفق عليه ، وثبت عند مسلم في صحيحه ، قوله عليه الصلاة والسلام: (**إن المرأة تُقبل في صورة شيطان ، وتُدبر في صورة شيطان**) وجاء عند الترمذي: (**إن المرأة إذا استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية**) فحذاري أيها المسلمون أن تتشبه نساء المسلمين اليوم ، بالكاسيات العاريات ، اللّاتي وعدهن النبي ﷺ بقوله: (**ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن**

ربحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) ولكن من المؤسف جداً ، أن نساء المسلمين اليوم قد توسعن كثيراً في التبرج والسفور ، وأصبحت المرأة المسلمة في بلاد المسلمين اليوم تحاكي مثيلتها الغربية أو المجوسية، فأصبحت ترتدي ثياباً قصيرة وضيقة ، وحجاباً شفافاً ، وتلبس الحذاء العالي أو الكعب العالي، تشبهاً بالغربيات والمجوسيات، والله -عز وجل- قد حذر من ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب :٣٣) وقال في آية أخرى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(النور :٣١) هذا بالنسبة للنساء ، ناقصات عقل ودين ، ولكن ماذا نقول عن الرجال الذين يتشبهون بالنساء ، أو أولئك الذين يرضون لأهلهم وأسرهم ، أن يماثلوا حياة الكافرين والكافرات ، وقد سمعوا قول النبي ﷺ :(**من تشبه بقوم فهو منهم**) وعليه فإن التشبه باليهود والنصارى ، ومحاكاتهم في عاداتهم وعباداتهم ،من أخطر الأسباب التي تُميع قضية الولاء والبراء عند المسلمين،ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن التشبه بهم ، حتى في عباداتهم التي يسمونها دينية ، أو سماوية ، ولذلك لمّا قدم النبي ﷺ إلى المدينة ، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ويعظمونه على سائر الأيام ، فأراد النبي ﷺ أن يخالفهم ولا يتشبه بهم، فقال: (**نحن أحق بموسى منكم**) ثم صام ذلك اليوم ، وأمر بصيامه ،وقال: (**لئن عشت إلى قابل، لأصومن التاسع والعاشر**) وفي روايه ضعيفة (**صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده ، خالفوا اليهود**) ونهى رسول الله ﷺ عن صوم الوصال، لأن فيه مشابهة للنصارى، كما جاء في حديث ابن لقيط ، عن أبيه عن ليلى (امرأة بشر) أنها قالت: أردت أن أصوم يومين مواصلة ، فنهاني بشر وقال: إن رسول الله ﷺنهى عن ذلك ، وقال: إنما يفعل ذلك النصارى) رواه أحمد في المسند ، ونهى رسول الله ﷺ

عن مشابهة اليهود في الصلاة ، حيث قال: (**خالفوا اليهود ، فإنهم لا يصلون في نعالهم ، ولا خفافهم**) وكذلك أمر النبي ﷺ بمخالفة المشركين والمجوس، كما ثبت عند مسلم في صحيحه (**جزّوا الشوارب وارخوا اللحى، خالفوا المجوس**) وفي حديث آخر (**خالفوا المشركين، حفوا الشوارب واعفوا اللحى**) ولكن ما نشاهده اليوم في واقع المسلمين ، يخالف هذه الأحاديث ويناقضها ، بل تجد كثيراً من المسلمين، ومن الذين فيهم الخير الكثير ، بل قد يكون أولئك من أهل الصفوف الأولى في المساجد، ومع ذلك يتساهلون في هذه السنة الآكدة ، التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: (**حفوا الشوارب ، واعفوا اللحى**) ولكن بتأثير من اليهود والنصارى والحاقدين على الإسلام، أصبح بعض المسلمين المغفلين ، يعتقدون أن اللّحى والمساجد ، يمكن أن تصبح رمزاً للإرهاب والتطرف، بينما هي سمة للصالحين والعُبّاد ، وعليه ؛ فلا يجوز للمسلمين المقصرين بهذه السنن الآكدة ، أن يستهزؤا بها ، أو بأولئك المحافظين عليها، لأن ذلك يقودهم إلى النفاق والاستهزاء بالدين، والله تعالى يقول في شأن المنافقين:﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾(التوبة:٦٥- ٦٦).

وكذلك من التشبه الذي نهى الله عنه في ديننا: التبتل ، فقد كان أهل الكتاب يترهبنون وينقطعون عن الزواج تعبداً لله ، أمّا اليوم ، فقد أصبحوا يُشبعون رغباتهم وشهواتهم الحيوانية ، مع كل خليلة أو عشيقة ، وتبعهم في ذلك كثير من المسلمين اليوم ، فأصبحوا لا يفرقون بين الحلال والحرام، وأصبحت جريمة الزنا تمارس في بلاد المسلمين ، في البارات والحارات ، وفي الفنادق السياحية ، ويعطى لها التراخيص الرسمية ، في بعض البلدان الإسلامية ، تشبهاً باليهود والنصارى ، الذين أحلّوا الزنا تحت شعار

الحرية ، والحقوق المدنية والإنسانية ، وتبعهم في ذلك المسلمين استناداً إلى قوله عليه الصلاة والسلام (**حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**) وكذلك من التشبه المنهي عنه ، قصّات الشعر الواردة إلينا من بلاد الكفار ، مثل حلق القفا، ويوجد من شبابنا اليوم ، من فعلوا فعل المجوس ، وتشبهوا بهم ، وحلقوا رؤوسهم كأنها رؤوس الشياطين ، بل ترى أطفالاً صغاراً ، وقد تشبهوا بالتيوس ، فلا تدرى أهم أطفال مسلمين أو مجوس ، اسناداً لقوله عليه الصلاة والسلام (**كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) وكذلك من المنهيات التي فيها مشابهة لليهود والنصارى، تغيير الشيب بالأسود،لقوله-عليه الصلاة والسلام- (**غيّروا الشيب ، ولا تشبهوا بأهل الكتاب**) وفي حديث آخر (**غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود**) لأنهم كانوا يصبغون الشيب بالسواد ، ونهى رسول الله ﷺ عن القيام للآخرين تعظيماً لهم ، لأن ذلك من صفات الأعاجم، لما رواه أبو داود من حديث أبى أمامة رضي الله عنه ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصى ، فقمنا له ، فقال:(لا تقوموا كما يقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضاً) ولكن هناك من المسلمين اليوم ، من لا يرتاح ولا يستريح إلّا إذا تمثل الناس له قياماً ، أو قبلوا ركبته ، وهذا من أشد الكبر والمشابهة لأولئك المعذبين بالنار، ولأن في هذا القيام مُشابهة للكفار ولأصحاب الجاهلية ، الذين كانوا يعظمون الأحياء والأموات على حد سواء ، فكانوا يقومون للجنازة تعظيماً لها ، لما روته عائشة رضي الله عنها موقوفاً، أنها قالت: كان أهل الجاهلية يقومون لها) بينما نحن أمرنا أن نخالفهم ، حتى في كيفية حفرهم لقبورهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه جرير بن عبد الله البجلي، قال -عليه الصلاة والسلام-: (**اللحد لنا ، والشق لغيرنا**) وفي رواية

لأحمد (والشق لأهل الكتاب) وروى الترمذي بسند صحيح قوله -عليه الصلاة والسلام- (ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود : الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى : الإشارة بالأكف) والأولى بالمسلم ، أن يرد السلام الشرعيُّ بصيغته المعروفة ، لا أن يكتفي بالإشارة ، كما يفعل اليهود والنصارى ، ولا أن يشرب بآنيتهم ، أو يتكلم بلغتهم ، فقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن رطانة الأعاجم، وأثر عن محمد بن سعد، أنه سمع بعض المسلمين يتكلمون بالفارسية، فقال: ما بال المجوسية بعد الحنفية ، وكره الإمام أحمد -رحمه الله- ، تسمية الشهور بالأعجمية ،ولكن بعض المسلمين اليوم، أصبحوا يجيدون الإنجليزية أكثر من العربية، وذلك لحبهم وشغفهم بها، وما علموا أن ذلك تشبهاً باليهود والنصارى ، فتجد بعضهم يحييك بالإنجليزية بدلاً من تحية الإسلام ، ويقول لك: جود باي ، وهلو ، ومستر وزعتر ، وينسى أن اللغة العربية هي لغة القرآن ، التي يجب أن يتخاطب بها المسلمون إمتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ (يوسف :٢) .

وعليه ؛ فإن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ، في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) ، يرى أن من تكلم اللغة الأجنبية لغير حاجة ، علامة من علامات النفاق ، وتشبه بالأعاجم والكفار ، ولهذا ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾ (النور :٦٣).



الشباب

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون: إن النبيّ ﷺ حَرص كل الحرص على تكوين الشباب المسلم وإعدادهم لحمل المسؤلية العظيمة وتهيئتهم لأداء الأمانة التبليغية ونشر رسالة الإسلام الخالدة ، ولهذا فإن جيل الشباب، من أفضل المراحل التي يعيشها الإنسان في حياته، وذلك لأن الشباب في كل زمان ومكان ، وفي كل عصر ومِصرْ، فإن الشباب عماد الأمة، وسر نهضتها، ومبعث عزتها وحضارتها ، وحامل لوائها ورايتها، وقائد جحافلها إلى المجد والنصر والتمكين ، الشباب الذي يريده الله سبحانه وتعالى ، ليحمل لا إله إلّا الله ، وليعيش بلا إله إلّا الله ، وليموت من أجل لا إله إلّا الله ، الشباب الذي ربّاه محمد ﷺ ، فكان أكثر كَتَائِبه وكُتَّابه في الإسلام الشباب ، وكان خطباؤه على المنابر الشباب ، وكان أدباؤه في الأسمار واللقاءات الشباب، وكان رسله الذين يبلّغون دعوته هم الشباب ، ولهذا أيها المسلمون ، أتدرون

أن العصبة المؤمنة ، التي آمنت في دار الأرقم بن الأرقم منذ فجر الدعوة الأولى كانوا شباباً ، أتدرون أيها المسلمون أن الإسلام لم يعلو صِيته ، ولم يمتدّ على الأرض سلطانه إلّا بهذه العصبة المؤمنة من الشباب المسلم الذين تربوا في مدرسة محمد ﷺ وتخرجوا من جامعته الشاملة ، أتدرون أيها المسلمون ، أن أولئك الذين قاتلوا في بدر وأحد واليرموك ، وقادوا أعظم إمبراطورية في التاريخ ، هم من جنس الشباب، أتدرون أيها المسلمون أن الذي يقاتل اليهود في فلسطين والعراق هم من شباب محمد ﷺ ، ومن الذين درسوا إياك نعبد وإياك نستعين ، ألم تعلموا أيها المسلمون أن شباب محمد ﷺ وصلوا إلى صحراء أفريقيا ، وخاطبوا الوحوش هناك، وقالوا: أيتها الوحوش ، أيتها الحيّات ، أيتها العقارب ، نحن أصحاب محمد ﷺ ، جئنا لنفتح الدنيا بلا إله إلّا الله ، ألم تعلموا أيها المسلمون أن شباب محمد ﷺ دكّوا الحصون والقلاع ، وفتحوا أرمينيا وطاشكند وخراسان ، فيصل عقبة بن نافع ، وطارق بن زياد، إلى الأندلس ، ويصل قتيبة بن مسلم الباهليّ ، إلى الصين وخراسان ، ويأتي خالد بن الوليد رضي الله عنه ، إلى ماهان ، ويقول له: أسلم ، تُسلم ، وإلّا فإني قد جئتك بقوم يحبون الموت كما أنتم تحبون الحياة ، يقول الإمام الذهبيّ -رحمه الله- في ترجمة خالد: أبو سليمان ، إن الروم في معركة اليرموك ، قالوا له: تزعمون أنكم متوكلون على الله ، فإن كنتم كذلك ، فاشرب هذه القارورة المملؤة سماً ، فقال خالد: بسم الله ، توكلت على الله، ثم شربها ولم يُصْبهُ شئ بإذن الله ، ثم سحقهم في المعركة سحقاً شديداً ، وفي أحد يستشير النبي ﷺ معشر الشباب ، فيقول لهم: ما رأيكم أن نقاتل أبا سفيان داخل المدينة ، فيقتلُ هو وجيشه في أزقّتها وشوارعها وطرقها، فيصوّت كبار الصحابة على هذا الرأي السديد ، لكن

الشباب، أولئك الذين كانوا يمتلؤن قوة وحماساً ، أرادوا أن يخرجوا إلى أحد، فيدخل أحد الشباب واسمه عمرو بن سالم الأنصاري ، والنبي ﷺ يخطب من على المنبر ، فيقول: يا رسول الله ، لا تحرمني من دخول الجنة، فو الله لأدخلنّ الجنة ، أخرج بنا إلى أحد ، فيتبسم النبي ﷺ من هذه الحرارات، وهذه التوقّدات الشبابية ، ويقول له: بماذا تدخل الجنة؟ قال: بخصلتين، الأولى: أني أحب الله ورسوله ، والثانية: إني لا أفر يوم الزحف ثم خرج ﷺ إلى أحد ، نزولاً عند رغبة هؤلاء الشباب المتحمسين ، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يحترم رأي الشباب ، ويقدّر لهم حماستهم الزائدة في خدمة الإسلام، ولما انتهت المعركة ، قتل ذلك الشاب الأنصاري الذي كان يشتعل قوة وحرارة ، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن وجهه ويقول: أحبَّ لقاء الله فأحب الله لقائه ، ذهب هؤلاء الشباب ، وأولئك الذين قتلوا في جبال الهمندوس ، وفي أرض الشيشان والتركستان ، ذهبوا ولم يأخذوا شيئاً من حطام الدنيا وزينتها ، بل وجدوا: أن ملاذ الدنيا ، وسمن الدنيا ، وعسل الدنيا ، ولحم الدنيا ، لا يساوي عند الله شيئاً ، كما جاء في الحديث (**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافر شربة ماء**) ولذلك يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نريد وجهه الله ، فوقع أجرنا على الله ، ولكن منّا من ذهب ولم يأخذ من أجره شيئًا ، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ، قتل يوم أحد ، فترك نمرة، فكنّا إذا غطّينا به رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطّينا رجلاه بدأ رأسه ، فجعلنا على رجليه من الأذخر كان مصعب بن عمير قبل إسلامه ، شاب مدلل مدلّع ، يلبس أجمل الثياب ، ويأكل أحسن الطعام ، ولكن بعد إسلامه أصبح في قلة وفاقة ، قال علي بن أبى طالب رضي الله عنه : بينما نحن جلوس في

المسجد ، إذ دخل علينا مصعب بن عمير ، وما عليه إلّا بردة مرقوعة، فلمّا رآه النبي ﷺ بكى ، لشدة ما رأى من حاله وفقره ، بعد ذلك النعيم والثراء في مكة قبل إسلامه.

شبابنا اليوم :

إن أولئك شباب محمد ﷺ كانوا فقراء ، أما هؤلاء الشباب المترفون ، والكسالى والبطالون ، فقد جرّبوا حياة الدنيا ، جرّبوا حياة الخناء ، جرّبوا حياة اللهو والمجون ، وسكنوا القصور ، ولبسوا أجمل الثياب ، وغاصوا في أعماق البحار ، فما وجدوا إلّا حياة السعداء ، عند رب الأرض والسماء، قال تعالى:﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (آل عمران:١٧٠) شبابنا اليوم ، أبناء الإسلام ، أبناء لا إله إلّا الله ، أبناء خالد وعمار وبلال، يعشقون الهواية والرياضة والسباحة . هؤلاء الشباب ، لا فرق بينهم وبين أولئك الذين يعيشون في باريس وموسكو ولندن ، أمّا ذلك الطفل المسلم، الذي رَضَعَ من أمه المسلمة ، ونشأ في بلاد الإسلام ، له رسالة أخرى، له هواية أخرى ، رسالته وهوايته أن يرسل في الأرض لا إله إلّا الله، رسالته:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(المائدة :٦٧)رسالته:كرسالة مصعب بن عمير رضي الله عنه ، أول سفير في الإسلام إلى المدينة ، أو كرسالة معاذ بن جبل الذي أرسله النبي ﷺ إلى اليمن ، فقال: (**يا معاذ ، إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمد رسول الله**) هؤلاء شباب الإسلام ، أمّا شبابكم ، فهم مشغولون بالرياضة والسباحة، والمراسلة في الحب والغرام ، وقد أنشئت لهم الملاعب الزراعية الضخمة ، ليمارسوا هواياتهم

وغرائزهم الشهوانية .

إذًا أيها المسلمون، بالله عليكم، ماذا تنتظرون من شباب هوايتهم الرياضة والسباحة والمراسلة ، ولعب الكرة والشطرنج ، ماذا تنتظرون من شاب في الثلاثين من عمره ، يجمع مائة شريط في الحب والغرام ، ماذا تنتظرون من شاب لا يراود نفسه على حفظ شئ من القرآن، بل وُجد من شبابنا اليوم، من الذين تخرّجوا من المدارس والجامعات ، ويحملون شهادات عالية ولكنهم مع ذلك لا يجيدون قراءة القرآن ، ولا يتقنون مخارج حروفه وأحكامه ، بينما نزل القرآن بلغة عربية فصيحة ، كما قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر :٢٨) ولكن إذا سألت هؤلاء الشباب المضيعين لكتاب الله ، أن يقرؤا لك جريدة الصباح، حبّروها لك تحبيراً ، وبعضهم يستطيع أن يقرأ الصحف والمجلات يومياً ولا يستطيع أن يقرأ آية من كتاب الله، وبعضهم يقف أمام شاشات التلفاز سبع ساعات ولا يستطيع أن يقف أمام آية واحدة ، يعلم مستقرها ومستودعها ، وبعضهم يرتاح لسماع الأغاني ولا يرتاح لسماع القرآن ، والنبي ﷺ يقول : (**والقرآن حجة لك أو عليك**) ولهذا مع الأسف الشديد، فبعضهم يعيش على ذلك حتى يبلغ العشرين أو الثلاثين من عمره، وابن عباس رضي الله عنهما في العاشرة من عمره يفتي الأمة ، ويحفظ لنا حديث (**يا غلام، إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**) ومحمد بن القاسم ، يقود معركة في بلاد السند والهند ، وعمره سبعة عشر سنة ، ويخرج منتصراً بإذن الله، أمّا شبابنا اليوم، فيصل عمره إلى الثلاثين أو الأربعين من عمره، وهو ما يزال مغنياً أو مطبّلاً ، أو راقصاً، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، فأين شبابكم أنتم

يامسلمون ، أخرجوا لنا مثل صلاح الدين ، أو خالد بن الوليد رضي الله عنه ، أو هارون الرشيد ، كلا ، لن تستطيعوا أن تخرجوا لنا إلّا مغنين أو مطبلين أو مهرجين ، شبابنا اليوم ، في الشوارع والحارات ، وفي المقاهي والبارات ، شبابنا اليوم ، قد ضيّعوا حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، شبابنا اليوم ، لا يعرفون إلّا أكل البطيخ والدجاج ، وصيد الحمام ، دخل شاعر البنجاب (محمد إقبال) إلى البيت الحرام ، وتذكر أولئك الشباب الذين رفعوا معالم الإسلام ، وغيّروا مجرى التاريخ ، وقدّموا أرواحهم ثمناً لمرضاة الله ، ثم نظر إلى حال شبابنا اليوم ، أولئك الذين يطوفون معه ، وقد ضيّعوا معالم الإسلام وآثار الصحابة الكرام ، فبكى طويلاً ، وسجّل قصيدته في مكة التي نثرها من دمه ، وهو يخاطب أمة المليار ، فيقول:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع ∴ اسمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالاً في الجبال وربما سرنا ∴ على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا ∴ قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تَنْسَ إفريقيا ولا صحراؤها ∴ سجداتنا والأرض تقذف نارا

إلى أن يقول:

كنا نرى الأصنام من ذهب ∴ فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لصاغها كنزاً ∴ وصاغ الحلي والدينارا

يقول: يا رب ، أين الشباب الذين عمروا الدنيا بلا إله إلّا الله ، وأين الشباب الذين امتطوا البحار،حتى بلّغوا لا إله إلّا الله،أين طارق وسعد، وأين صلاح الدين وخالد، وأين ابن تيمية وابن عباس،وأين

أبو تمام وحسان ، لقد ذهبوا بعزة وإباء، وسجّلوا صفحات المجد والعزة والفداء.

فنسأل الله -عز وجل- أن يحشرنا في زمرتهم،إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مسؤلية الشباب:

أيها المسلمون: إن جيلكم هذا جيل الشباب يمر بفترة حرجة ، ومُطالب بأداء الأمانة ، وإنقاذ البشرية من ظلمات المادة والإلحاد ، إلى نور الهداية والإيمان ، وعليه تقع المسؤلية في إظهار هذا الدين ، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة ، من يجدد لها دينها**) ولذلك بيَّن -عليه الصلاة والسلام- أن مرحلة الشباب ، من أهم المراحل التي يسأل عنها يوم القيامة ، فالشباب سوف يُسألون عن هذه المراحل الشبابية التي يعيشونها، وكذلك الإنسان الكبير،سوف يسأل عن شبابه فيما أبلاه ، والعاجز سوف يسأل عن شبابه، والمرأة سوف تسأل عن شبابها ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ (النحل :١١١) وعليه فإن مرحلة الشباب ، من أهم المراحل التي يعيشها الإنسان ، ولذا يجب أن نقف مع الشباب ، وأن نحترم رأي الشباب ، فنحن الآن في فترة ، أصبح رصيد الإسلام هو الشباب، أصبح جمال الإسلام في الشباب ، وهيبة الإسلام في الشباب ، وأصبحت قوة المسلمين في الشباب، وأصبح الآن أغلب الذين يحضرون الجمعة والجماعات ، هم من الشباب، والذين تتشرف بهم اللقاءات والندوات ، هم من الشباب، ومن هذا المنطلق ، قد رأينا شباباً من دول غنيّة ، ومن أسر مرموقة ومعروفة ، لكنهم مع ذلك ، عزفوا عن الدنيا وشهواتها وملذاتها ، وتركوا في بلادهم

ألذ المأكولات والمشروبات ، وأجمل النساء والسيارات والمكيفات ، ثم خرجوا يبحثون عن الموت والشهادة في سبيل الله ، علّمهم أن يدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (آل عمران :١٦٩) ولهذه الغاية ، وهذه النتيجة ، يدخل ابن تيمية وعمره عشرون سنة على أحد الأمراء ، فيقول له ذلك الأمير: يا ابن تيمية ، نسمع أنك تريد ملكنا، فيضحك ابن تيمية ، ويقول له: ملكك ؟!، قال: نعم ، قال: والله ما ملكك وملك آباءك وأجدادك لا يساوي عندي فلساً واحداً ، وكذلك يقول وهو يدخل إلى السجن ، ويلتفت إلى البواب ويبتسم ، ثم يقول: ماذا يفعل أعدائي بي ، أنا جنّتي وبستاني في صدري ، أنَّى سرت فهي معي، أنا قتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة ، وسجني خلوة ، إذًا أيها الشباب: الإسلام يناديكم ، وأمة المليار تناديكم ، فلا تخيّبوا رجائنا فيكم ، أقول يا شباب: فما عليكم إلّا أن تشمّروا عن سواعد الجد والاجتهاد ، وأن تنفضوا عنكم وعن أمتكم غبار الذلة والهوان ، فعسى الله سبحانه وتعالى أن يحول مجرى التاريخ على أيديكم ، فأنتم روح الأمة المتجدد ، وقلبها النابض ، وعزمها الأكيد ، وإرادتها القوية ، إن جهاد الشباب في الأمة ، قوة فعالة ، تصنع المعجزات، وتحقق الأهداف ، لأن الشباب كما ألمحنا سابقاً ، طاقة جبارة، وقوة لا يستهان بها ، ونتمنى أن يكونوا من الصنف الذي عناه الشاعر بقوله :

شباب ذللوا سبل المعالي ∴ وما عرفوا سوى الإسلام دينا

إذا شهدوا الوغى كانوا كماة ∴ يدكّون المعاقل والحصونا

وإذا جنّ المساء فلا تراهم ∴ من الإشفاق إلّا ساجدينا

وهكذا أخرج الإسلام قومي ∴ شباباً مخلصاً حراً أمينا
وعلّمه الكرامة كيف تبنى ∴ فيأبى أن يذل أو يهونا

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم اهدي شباب المسلمين، وخذ بأيدينا وأيديهم، إلى ما تحبه وترضاه.

نموذج مقدمة:

أما بعد أيها المسلمون:

فإن مهمة الشباب المسلم اليوم مهمة صعبة وشاقة، مهمته أن ينقل قيادة الأمة من أيدي الجاهلية وأفكارها وتشريعاتها إلى كنف الإسلام وتشريعاته وأفكاره وأخلاقه، لتكون كلمة الله هي العُليا وكلمة الذين كفروا السفلى،ومن هنا كان سِنُّ الشباب في مفهوم الإسلام ذا مسؤلية عظيمة وقيمة عالية، ولذلك حرص النبي ﷺ على تنبيه الشباب بدورهم ومسؤلياتهم في الحياة، حيث قال -عليه الصلاة والسلام-:(اغتنم خمساً **قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك**) ومن هنا كان الحرص على الاستفادة من الشباب في تحقيق المهمات الصعبة، وتذليل العقبات الكؤودة، ومواجهة التحديات التي تحيط بالأمة، لازماً وواجباً، وعليه فإن كل الثورات والانقلابات التي قامت، وتقوم في أنحاء المعمورة، اعتمدت بالأساس على الشباب.

إذًا: ما هو حظّ الإسلام من هؤلاء الشباب؟وما هو دور الشباب في

التغيير الإسلامي المنشود؟ ولماذا التركيز دائماً على الشباب؟ ولماذا الاعتماد دائماً على الشباب ؟، في الحقيقة أن الشباب هو سن الهمم المتوثبة ، والدماء الفائرة ، والآمال العريضة ، سنّ البذل والعطاء والفداء، سنّ التأثر والتأثير والإنفعال ، ولذلك اهتمّ الرسول ﷺ في تربيتهم واعدادهم ، وكان يحثهم دائماً إلى تزكية أنفسهم ، ويذكرهم بقوله ﷺ: (**إن الله ليعجب من الشابّ الذي ليست له صبوة**) أي شذوذ وانحراف، وحفاظاً عليهم من الميوعة والانحلال ، وإحصان أنفسهم بالزواج ، يقول -عليه الصلاة والسلام- كما في الحديث الذي رواه الجماعة :(**يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج**) ولمعرفة منسوب الإيمان عند الشباب ، وتشجيعهم على ذلك ، يقول -عليه الصلاة والسلام- كما رواه الشيخان (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلّا ظله**) وذكر منهم: (**شاب نشأ في عبادة الله**) إذًا يجب الاهتمام بالشباب وتربيتهم تربية إسلامية ، ويجب الإهتمام بقضايا الشباب .

وأنا أقول: إن أول مشكلة تواجه الشباب هي :

١ -التفريط في الصلوات، وفي صلاة الجماعة: التي تركها كثير من الناس اليوم -إلّا من رحم ربك- صلاة الجماعة التي ما تركها رسول الله ﷺ حتى وهو في مرض الموت ، فكان يقول (**الله، الله في الصلاة**) إذًا كيف يصلح حال المسلمين ومساجدنا خالية من الشباب والعُبَّاد، كيف يصلح حال الشباب ، وهم لا يعرفون الجُمُعَ والجماعات ولا كثيراً من العبادات ، كيف يَسْلَمُ الشابُّ المسلم من الفواحش والآثام ، ومن المنكرات والمخدرات ، وما علَّمه أبوه ولا أمه الطريق إلى المسجد ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ

ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم : ٦).

وجلجة الأذان بكل حي ∴ ولكن أين صوت من بلال
منائركم علت في كل ساح ∴ ومسجدكم من العبّاد خالي

وكذلك من المشكلات التي تواجه الشباب :

٢-جلساء السوء ،وأثرهم على الشباب: فهؤلاء السيئين من الجلساء ، شبابٌ ما أفلحوا في دين ولا دنيا ، رسبوا في الامتحان ، وفشلوا في الدراسة والوظيفة، جلسوا على الأرصفة يصدون عن ذكر الله وعن الصلاة ، لا يعرفون إلّا الغيبة والنميمة ، ولعب الورق والأغاني والموسيقى ، يتلقفون شباب الإسلام في كل واد ، ليجعلوا مصيرهم إلى الهاوية ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

وكذلك من المشكلات التي تواجه الشباب:

٣-ضياع الوقت: الذي هو أغلى ما يملكه الإنسان ، فهناك من الشباب، من استغلوا أوقاتهم في مرضاة الله ، وعلموا أن هذه الأوقات جزء من أعمارهم ، وليس جزءً من دمارهم ، وأنهم محاسبون عليها بين يدي الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾(المؤمنون :١١٥، ١١٦) ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام- في محاسبة الشباب لأنفسهم أمام ربهم: (**لا تزولا قدما عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به**) ولكن أيضاً: هناك من الشباب من ضيع عمره في لهو ولعب ، فهذه عادته ، وهذا برنامجه ، من الصباح إلى الليل ، يخرج من صلاة العصر إلى آخر الليل ، بلا عمل ولا وظيفة ، ولا تحصيل ولا طاعة،

ثم يعود كالجثة الهامدة ، يرمى بنفسه على الفراش ، بلا ذكر ولا تسبيح ، ولا صلاة ولا عبادة ، فأي حياة هذه ؟ وأي عيشة تلك؟ فيا أيها الشابّ، ما خُلقت لتأكل وتشرب وتنام ، وإنما خلقت لأمر عظيم لو فطنت له ، فاربأ لنفسك أن تعيش مع الهمل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨) فيا أيها الشباب ، ويا حملة العقيدة، من يرفع راية لا إله إلّا الله إذا توليتم أنتم ، ومن ينصر هذا الدين إذا أعرضتم أنتم ، ومن يقف بجانب المستضعفين إذا تخليتم أنتم ، ومن يجالد الكفار ، ويحمي أعراض المسلمين إذا تخاذلتم أنتم ، فهؤلاء الشباب ، من إخوانكم الذين سبقوكم بالإيمان ، كعبد الله بن رواحة ، وجعفر بن أبى طالب ، وأسامة بن زيد ، ومصعب بن عمير ، وغيرهم من شباب الصحابة ، الذين قدّموا لهذه الأمة ، أمثلةً رائعةً في التضحية والفداء .

عبّاد ليل إذا جن الظلام بهم ∴ كم عابد دمعه في الخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم ∴ هبّوا إلى الموت يستجدون رؤياه

عقبة بن نافع ، شابّ في الخامسة والعشرين من عمره ، يقف على المحيط الأطلسي ، مصلياً وموحداً ، يرفع سيفه إلى السماء ويقول: والله لو أعلم أن وراء هذا الماء يابساً ، لخضته بفرسي هذا رافعاً راية لا إله إلّاالله ، عبد الله بن رواحة ، كان شاباً في الثلاثين من عمره ، حمل سيفاً ولبس أكفانه ، وذهب إلى معركة مؤتة في بلاد الأردن ، وهو يقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنّه ، لتنزلنّ أو لتكرهنّه ، ثم قال:

يا نفس إلّا تقتلي تموتي ، هذا حمام الموت ليس عنك اليوم ببعيدى

وما تمنّيتِ فقد أعطيتِ ، إن تفعلي فعلهما فقد هُديت

جعفر الطيار رضي الله عنه ، قطعت يداه في معركة مؤتة ، وتكسّرت الرماح في صدره، وهو يتبسم ويقول :

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد شرابها *

والروم روم قد دنى عذابها

كافرة بعيدة أنسابها * * عليّ إن لقيتها ظرابها

أتى أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ يريدون منه فقيهاً ومعلماً ، فينظر ﷺ إلى أصحابه ، وفيهم كبار الصحابة ، لكنه يرى ذلك الشابّ الأنصاري: معاذ بن جبل ، وهو في الثامنة عشر من عمره ، يقول الإمام الذهبي –رحمه الله – في «سير أعلام النبلاء» ، في ترجمة معاذ ، لمّا ودّعه رسول الهدى ﷺ بكى معاذ بكاءً عظيماً ، فقال الرسول ﷺ : مالك يا معاذ ؟ ، قال: والله يارسول الله ، ما أبكي على الحياة ولا على الدنيا ، ولكن أبكي خوفاً ألاّ أراك بعد هذا اليوم ، ثم ودّعه ﷺ وأرسله إلى اليمن معلماً وهادياً ، وقد كان في عنفوان شبابه ، فذهب رضي الله عنه وأرضاه ، وأصبح سراجاً وهّاجاً، ينشر لا إله إلاّ الله في أرض اليمن ، وفي بلاد اليمن ، وفي جبال اليمن ، حبيب بن زيد رضي الله عنه شاب في الثامنة والعشرين من عمره ، انتدبه الرسول ﷺ إلى مسيلمة الكذاب ، واستودعه الله في نفسه ، بمعنى أنه لن يعود إلى الحياة مرة أخرى ، معناها القتل ، معناها الإبادة ، فقال: حبيب بن زيد رضي الله عنه : أنا يا رسول الله ، ثم مرّ بأمه وأخبرها بأمر رسول الله ﷺ فقالت له: اذهب إلى سبيلك ، فوالله إنك رضيعي ووحيدي ، ولكن ما لنا من أمر رسول الله ﷺ بدٌّ .

جيل الضياع :

إن أولئك الشباب الأوائل الذين صنعوا لنا مجداً ، تخرجوا من مدرسة محمد ﷺ ، وعاشوا حياتاً كريمة ، أما شبابنا اليوم ، فإنهم يعيشون حياة البؤس والشقاء ، بل وجد منهم من بلغ من العمر عتيّاً ، وهو لا يفهم معنى لا إله إلّا الله ، وهو لا يحسن أن يتوضأ ، ولا يعرف أن الإسلام عقيدة ومنهج ، يستحق من أجله الولاء والبراء ، ولذلك كانت تربيتنا للشباب ، تربية سلبية دنيوية ، يعيش الإنسان من أجل المادّة ، ويموت من أجلها ، وكأن المستقبليّة عند هؤلاء الشباب ، أن يحصل أحدهم على وظيفة كبيرة ، أو يبني له قصراً واسعاً ، أو فلّة واسعة ، أو يشتري له سيارة فارهة ، فإذا حصل على ذلك كله ، كأنه خاض بدراً وأحدًا واليرموك ، وأنا أقول: إن المستقبلية يجب أن تكون للإسلام ، وأن تسود في الأرض لا إله إلّا الله ، وأن يُحكم بشرع الله ، وعليه فلا يظن هؤلاء الشباب أنهم فائزون بامتلاكهم المال والجاه والسلطان ، والشهادات العالية ، الرسول ﷺ لم يربّي أصحابه وشبابه على هذا ، ولم يعدهم بشئ من الدنيا وشهواتها، وما كان في القرآن وعد بملك ، أو وعد بمال ، أو وعد بجاه أو سلطان ، إنما كان الوعد هو الجنة ، يأتي إليه شباب الأنصار في بيعة العقبة ويقولون: يا رسول الله ، ما لنا إذا آويناك ونصرناك ؟ أي ماذا تعطينا ، فيقول: لكم الجنة ، ما عنده شئ ، عنده خبز من الشعير ، وبيت من الطين :

كفاك عن كل قصر شاهق عمد — بيت من الطين أو كهف من العلم
تبني الفضائل أبراجاً مشيّدةً — نصب الخيام التي من أروع الخيم
إذ الملوك صفوا موائدهم — على شهيّ من الطعام والإدم

صففت مائدة للروح مطعمها عذب   من الوحي أو هدى من الكلم

إذاً: فالحياة ليست مادة ، أو عبوديّة للمادة ، والحياة ليست مستقبل ، أو تأمين المستقبل ، يقولون للشاب في الثلاثين من عمره ، أمّن مستقبلك وحياتك ، فإذا مستقبله: زوجة وسيارة وفلّه ، يموت من أجل الفلة ، ويحي من أجل الفلة ، والصحيح أن هذا ليس بمستقبل ، لأن المستقبل أن تعيش حراً أبياً ، وأن تكون مؤمناً بالله ، واثقاً به ، وأن تهيء لك مكاناً في جنة عرضها السموات والأرض ، حتى لو لم يكن عندك بيت وسيارة وفلّة، المهم أن تكون مع الله ، والله معك، فهذا ابن تيمية -رحمه الله- يدخل علي بن قطلوبة ، أميرٌ سلجوقي لا يعرف الفاتحة فيقول ذلك الأمير: يا ابن تيمية ، يزعم الناس أنك تريد مُلكنا ، فضحك ابن تيمية -رحمه الله- ، وقال: ملكك؟ قال: نعم ، قال: والله ملكك وملك آبائك وأجدادك ، لا يساوي عندي فلساً واحداً ، إني أريد جنة عرضها السموات والأرض، هذه التربية التي نريدها لشباب الأمة ، أمّا تلكُم التربية الغربية ، التي عليها شبابنا اليوم ، فهي ليست بتربية ، ولا نريدها، فقد ربَّوهُ على الحب والغرام ، والعشق والهيام ، ما يعرف إلّا الرياضة والغواية والسباحة ، وأكل البطيخ والدجاج ، وصيد الحمام ، ثم بعد ذلك سموه نجماً ، وهو ليس بنجم ، بل هو أجهل من حمار أهله ، ثم سألوه: كيف شققت طريقك في الحياة؟ ، فيقول: صابرت وثابرت ، وبدأت من الصفر ، وهو ما يزال تحت الصفر ، أو أسفل منه بقليل ، إن هذا المسكين، ضيّع عمره مع التافهين، وسهر الليالي مع الضائعين والمائعين، فيا أيها المسكين، هل سهرت الليل بطه والأنفال، أمْ بهود وأخواتها ، أمْ سهرت الليل ، في صحيح البخاري ومسلم ، أمْ سهرت مع أم كلثوم وعبد الحليم حافظ، هل رأى الحب سكارى مثلنا ،

بينما رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يقول: (**شيّبتني هود وأخواتها**) وهناك من ضيّع عمره وشبابه ، باسم الفكر والأدب، منهم امرئ القيس ، ضيّع شبابه في المعصية، ما عَرَفَ إلّا الخمر والنساء، فضيعه الله ، ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: (**قائد الشعراء إلى النار ، امرئ القيس**) ومعه ابن هاني الأندلسي ، أحد الشعراء الفَجَرَةَ، ضيّع شبابه ، فضيعه الله ، دخل على خليفة من الخلفاء ، وأخذ يمدحه ، ويقول:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ∴ فاحكم فأنت الواحد القهار

فعلّمه الله من هو الواحد القهار ، فكان يعوي على فراشه كما يعوي الكلب ، ويقول: أنت الواحد القهار ، وأخذ يبكي وهو يقول :

أبعين مفتقر إليك نظرت لي ∴ فأهنتني وقذفتني
لست الملومَ أنا الملومُ لأنني ∴ علّقت آمالي بغير الخالق

أين هؤلاء الشّباب الضائعين المائعين ، من حنظلة الغسيل رضي الله عنه الذي سمع مناد الجهاد ينادي ، فترك زوجته في أول ليلة من عرسه ، وذهب يقاتل حتى قتل في سبيل الله،فيقول النبي ﷺ وهو يلتفت إلى السماء:(**والذي نفسي بيده، إني لأرى الملائكة تغسّل حنظلة بين السماء والأرض**) وأنس بن النضر رضي الله عنه يقول: إليك عنّي يا سعد ، فو الذي نفسي بيده ، إني لأجد ريح الجنة من دون أحد:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ∴ إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ (مريم :٥٩) خلف من بعدهم شبابٌ ضائعون مائعون ، لاهون غافلون،

في كل واد يهيمون ، لذلك قال أحد العلماء ، لشاب أسرف على نفسه في المعصية ، قال له: إذا أردت أن تعصي الله ، فاعصه في مكان لا يراك أحد ، أو أُخرج من داره ، أو كُلْ من غير رزقه ، فتنبه ذلك الشاب ، وبكى ، ثم تاب وأناب ، ودخل شاب آخر إلى بستان كثير الأشجار ، فقال في نفسه: لو فعلت الفاحشة هنا ، من يعلم ذلك ، فسمع هاتفاً يقول لك :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك : ١٤).

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا ∴ تقل خلوت ولكن قُلْ عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ∴ ولا أنما تُخفي عليه يغيب

جيل الأمل:

أيها الناس: إن المجتمعات البشرية اليوم مليئة بالشباب ، ولكنه شبابٌ فارغ تائه ضائع ، شبابٌ انعدمت فيه شخصيته الإسلامية ، شبابٌ انعدمت فيه أخلاقه ورجولته الإنسانية ، شبابٌ جنّدته قوى الشر والطغيان ، ونظمته أحزاب الكفر والشيطان ، ولذلك لا نستغرب أن نرى شباباً قد انسلخوا من دينهم وعقيدتهم ، وتشبهوا بغيرهم من اليهود والنصارى ومن حالفهم ، ولكن مع هذا الإخفاق ، وهذه الانتكاسات التي يمر بها شبابنا اليوم ، إلّا أن هناك أمل كبير ، وتفائل عظيم ، أن يوجد في الأمة شبابٌ صالحون ، قد سجلوا أنفسهم في سجل التائبين العابدين ،أحد هؤلاء الشباب الذين عادوا إلى الله ، ذهب يدرس الشيوعية في أزبيكان، إحدى الولايات الروسية سابقاً ، فدخل مسجدًا هناك ،ثم قرأ من المصحف سورة (ق) فانهالت عليه سورة (ق) فملئت صدره وقلبه إيماناً وثباتاً ومحبة لله ، وشاب آخر من الجزيرة العربية ، جزيرة التوحيد ، سافر

إلى بريطانيا ليدرس هناك ، فأُدخل على أسرة بريطانية ليعيش معها ، وكان إذا سمع النداء ، يقوم لصلاة الفجر ، ويضع فراشه على الأرض ، ثم يذهب إلى الصنبور ، يتوضأ في الماء البارد ، فتقول له عجوز بريطانية: لماذا تصلي في هذه الساعة ، وفي هذا الجو البارد ، فلو أخرتها حتى يصحو الجو، فقال لها: لو أخرتها ما قبلها الله ، فهزت رأسها هذه العجوز ، وقالت: هذه إرادة تُكسر الحديد ، وكذلك من شبابنا اليوم ، الذين نعتز بهم في هذا الزمان ، ذلك الشابُّ الإنجليزي الذي اعتنق الإسلام ، ودخل في دين الله، وبعد شهرين من إسلامه ، سمع عن وظيفة شاغرة في إحدى الشركات الإنجليزية ، فتقدم إليها ، وكان الراغبين في هذه الوظيفة كثير ، وعند المقابلة الشخصية ، ذكر لهم أنه قد غيّر دينه من النصرانية إلى الإسلام، وغيّر إسمه ، فكان إسمه (رود) وأصبح الآن (عمر) ثم طلب منهم أن يعطوه وقتاً لأداء الصلاة أثناء سير العمل ، فما كان من هذه الشركة إلّا أن وافقوا عليه ، واختاروه من بين المتقدمين جميعاً ، وقالوا له: نحن نريد في هذه الوظيفة رجل مثلك ، عنده القدرة على اتخاذ القرارات ، وأنت عندك القدرة على ذلك ، لأنك غيّرت دينك وغيّرت اسمك، الله أكبر، اعتزّ بدينه فأعزه الله .

إذاً هؤلاء الشباب ، هم رصيدنا ، ورصيد الإسلام من بعدنا، أولئك الشباب هم الذين قدموا التضحيات في سبيل الإسلام ، وأعادوا العزة والكرامة لهذه الأمة ، ونتيجة لذلك فإن أعداء الإسلام يعملون على تخويف الرأي العالمي من هؤلاء الشباب الخيرين ، وإلصاق التهم الشنيعة بهم، زعيمة ذلك في العالم اليوم، أمريكا ومن ورائها إسرائيل، التي تصف هؤلاء الشباب بأنهم متطرفون وإرهابيون، ومتزمتون ، ويخوّفون

الآباء والأمهات على أولادهم من الدين ، وأنه سبب التطرف والتخلف والتزمت ، فيأتي بعض الآباء المساكين - هدانا الله وإياهم -ويصدّقون مثل هذه الأكاذيب ، وهذا في الحقيقة إن دلّ على شئ ، إنما يدل على مدى بعد الناس من دينهم ، واستجابتهم لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى، ومنافقين وعلمانيين ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : (**قبل الساعة ، سنوات خدّاعة ، يكذّب فيها الصادق ، ويصدّق فيها الكاذب ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة**) وهذا ما نشاهده اليوم ، يخوّفون الرأي العام من الالتزام بالدين، ويخوفونه من شباب الصحوة، الذين هم وقودها وطليعتها الأولى، كأمثال:سيد قطب،وأبو الأعلى المودودي، يقولون لسيد قطب -رحمه الله-في الساعات الأخيرة من حياته:أكتب مذكرة اعتراف فقال: ماذا أعترف ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، ثم قيل له: أكتب إدانة على نفسك ، ونخلي سبيلك ونفكّ أسرك ، فقال: أبداً، إن أصبعي التي تشهد بالوحدانية كل يوم خمس مرات ، تأبى أن تكتب زوراً، ثم قال له أحد الناس وهو على المشنقة: يا سيد، قل لا إله إلّا الله ، فقال: عجباً لك ، وهل أُقتل إلّا من أجل لا إله إلّا الله ، الله أكبر ، إن هذه العزة التي يجب أن يعيشها شبابنا اليوم ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾

(النساء :١٣٩).



الظلم

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت، ويخرج الميت من الحيّ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ الميامين، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون:

عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى أنه قال: (**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلّا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلّا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلّا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**) إلى آخر الحديث، والحديث طويل، رواه مسلم في صحيحة، والإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه.

يقول الإمام النووي -رحمه الله- إن هذا الحديث تميز به أهل دمشق على غيرهم، وذلك لأن جميع رواته دمشقيُّون، ولذلك تميّزوا به، وقد كان التابعيُّون إذا حدّثوا بهذا الحديث، جثوا على ركبهم، لما فيه من

العظة والعبرة والعظمة، وأكبر قضية تناولها هذا الحديث ، قضية الظلم والظالمين، استهلها بقوله : (يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا).

أقسام الظلم :

ولهذا عرَّف العلماء الظلم: على أنه وضع الشئ في غير موضعه ، وذكروا له ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ظلم بين العبد وربه :

بأن يجحد الإنسان ربه الذي خلقه وأعطاه ، ثم رزقه وهداه ، ثم بعد ذلك يشرك معه آلهة أخرى ، كما قال تعالى على لسان لقمان ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان الآية:١٣) ولهذا لمّا نزل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ (الأنعام :٨٢) شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ، وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال: ليس الذي تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ فتبين من هذا ، أن الشرك من أشد أنواع الظلم ، بأن تجعل لله نداً وشريكاً ، وهو الذي خلقك وأصبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، ثم تشكر سواه ، ولذلك جاء في الحديث (عجباً لك يا ابن آدم ، ما أنصفتني ، خلقتك وتعبد غيري ، ورزقتك وتشكر سواي ، أتحببُ إليك بالنعم وأنا غني عنك ، وتتبغض إلىّ بالمعاصي وأنت فقير إلىّ ، خيري إليك نازل ، وشرّك إلىّ صاعد) وهذا هو الحاصل الآن، فكم من الناس اليوم من ينكر نعم الله عليه ، وينسب تلك النعم إلى نفسه الضعيفة الفقيرة ، ويقول : هذا حصلت عليه بخبرتي وذكائي وعبقريتي ،

وهذا أظلم الظالمين ، عندما يَنْسُبُ تلك النعم إلى نفسه الظلومة الجحودة، بينما ربنا -سبحانه وتعالى - لا يريد أن يظلم أحدًا من عباده ، رغم قدرته عليهم، كما قال تعالى في آيات كثيرة : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (فصلت :٤٦) ،﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ (الكهف :٤٩) ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨ ﴾(آل عمران : ١٠٨).

ثانيا : القسم الثاني : ظلم الإنسان لنفسه:

بأن يرتكب في حقها ما تنوءُ بحمله الجبال ، كما قال تعالى : ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (فاطر :٣٢) ولذلك لمّا عبد بنو إسرائيل العجل ، سمى الله عز وجل ذلك الشرك ظلماً لأنفسهم ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾(البقرة:٥٤) ولهذا اعترفت بلقيس ، بأنها ظلمت نفسها وأنها عبدت الشمس من دون الله ، فقالت: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ ﴾ (النمل :٤٤) وليس هذا فحسب ، بل الإنسان الذي يرتكب المحرمات بأنواعها ، يُعتبر ظالم لنفسه ، والذي يأكل الربا ويشرب الخمر فهو ظالم لنفسه ، وكذلك الراشي والمرتشي والسارق والزاني ، والذي يأكل أموال الناس بالباطل ، فهو ظالم لنفسه ، لأنه لم يقِ نفسه من النار ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ ﴾ (آل عمران :١١٧) .

القسم الثالث :ظلم الناس بعضهم لبعض:

استناداً للحديث السابق (وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) وهذا النوع من أنواع الظلم سائد ومنتشر بين الناس، فلا تجد موضع قَدم على

هذه البسيطة إلّا وفيه مظلوم يتأوه ، ظلم يمارسه أصحاب الوجاهات والمحسوبيّات على عامة الناس ، وظلم في الهيئات والإدارات ، يمارسه أولئك المتنفذين على هذه المؤسسات ، وظلم في الأسواق يمارسه التُجارُ على المشترين الكادحين والفقراء المسحوقين ، بل هناك ظلم بين الجيران وعلى مستوى الحارات ، والعجيب من ذلك أن يتغلغل هذا الظلم ، إلى داخل الأسر والبيوتات ، أخٌ يظلم أخاه ، وأب يظلم أبنائه ، وزوج يظلم زوجته ، وهكذا دواليك ، بينما رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يقول: **(المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه).**

آثار الظلم:

وعليه يجب أن تعلموا - أيها المسلمون- : أن الله سبحانه وتعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (هود:١٠٢) .

ولاشك أن أبرز العقوبات التي تنال الظالم في الدنيا:

١-أن يسلط الله عليه ظالم مثله: فيأخذ حقه ، ويهتك عرضه ، ويسلب نعمته ، ويفعلُ به كما فعل بالآخرين ، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ (الأنعام :١٢٩) فهذا أبو مسلم الخراساني، كان ظالماً سفاحاً، يسفك الدماء من أجل أن يوطّد الحكم لبني العباس ، ولقد نال عربُ خراسان من بلاءه وشره وظلمه الكثير والكثير، وقَتَلَ منهم الآلاف، إرضاءً وتثبيتاً وتقرُّباً لأسياده بني العباس ، ولكن الله عز وجل بسبب ظلمه سلّط عليه ذلك السيف الذي كان يخدمه ،

وذلك الأمير الذي كان يعمل لصالحه ، فأخذه أبو جعفر المنصور ، خليفة المسلمين آنذاك ، وأدخله إلى قصره ، وأمر جنوده بقتله ، فَتَنَاوَفَتْهُ السيوف، وهو يقول: العفو يا أمير المؤمنين ، العفو يا أمير المؤمنين ، فقال له: العفو يا ابن الفاعلة ، اقتلوه ومزقوه ، قطعة ، قطعة ، إنه ظالم ابتلاه الله بظالم مثله، وعليه فإن كل ظالم لا بد أن يسلّط الله عليه ظالماً مثله ، فيأخذ حقه كما أخذ حقوق الناس ، ويهتك عرضه كما هتك أعراض الناس ، ويسفك دمه كما سفك دماء الناس ، حتى لو كان ذلك في أولاده من بعده ، فقد ينالهم أذيً كثير ، بعد وفاته ، والله المستعان ، وتشمل هذه العقوبة جميع الناس ، الذين يسعدون بالظلم والظالمين ، فإن الله -عز وجل- يسلّط عليهم حاكماً ظالماً يستبدّ بهم .

يُذكر أن عجوزاً أرادت أن تنصح الحجاج في ظلمه ، فذهبت إليه وقالت له: لِمَهْ ، فردّ عليها: كَمَهْ ، ولمّا رجعت إلى قومها قالوا لها: ما صنعت شيئاً ، فقالت: كلا ، بل سألته وأجابني ، فقلت له: لما تظلمنا ، فقال: كما تكونوا يولّى عليكم ، أي أنكم يا أهل العراق بأعمالكم هذه ، تستحقون أن يتولى عليكم أظلم الظالمين ، ألا وهو الحجاج .

إذًا أيها الناس ، أيها الشعوب الظالمة ، لا تسألوا عن الظلم الذي يُمارس عليكم ، من قبل حكّامكم المتسلطين عليكم، وعلى رقابكم ، ولكن قبل ذلك يجب أن تسألوا أنفسكم، وأن تنظروا في أعمالكم السوداء ، التي كانت سبباً في تسلط الظالمين عليكم ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران :١٦٥).

كذلك يجب أن تعلموا أن الظلم :

٢-سبب في هلاك الأمم والشعوب وخراب الديار ، كما قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ (يونس :١٣) وفي آية أخرى ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ (النمل:٥٢) أيُّ ذنب ، هذا الذي يحصل بسببه هلاك الأمم وخراب الديار ، إنه ذنب عظيم ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ -عليه الصلاة والسلام- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود :١٠٢)الله -عز وجل-قد ينزل عذابه على الأمة جمعاء، بسبب ظلم الظالمين ، لما ثبت عند أحمد أن الرسولﷺ قال : (**إذا ظهرت المعاصي في أمّتي ، عمّهم الله عز وجل بعذاب من عنده ، فقيل: يا رسول الله ، أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلى ، ولكن يصيبهم ما أصاب الناس**) وفي رواية أخرى (**ولكن يبعثون على نيّاتهم**) .

إذًا لا نستغرب أن يكون الظالمون والفاسدون والفاسقون سبب في هلاك الأمم والشعوب ، لما رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجّارُها أبرارَها ، وساد القبيلة منافقوها ، وقد حدث أن تزلزلت الأرض على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: (أيها الناس، ما هذا؟ وما أسرع ما أحدثتم ، فوالذي نفسي بيده ، لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً) الله أكبر، حتى الأرض تحزن وتشتكي من الظالمين والمجرمين الذين يعيشون عليها ، وتأبى أن تحملهم بين جنباتها ، حقاً إنها لحياة تعيسة لأولئك الظالمين والمجرمين، أن يشقى بهم العباد والبلاد ، والأرض والشجر والدواب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(النحل : ٣٣).

دعوة المظلوم :

فحذاري أيها الناس: إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا

دعوة المظلوم ، فإن سهام الليل لا تخطئ أبداً ، قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ∴ فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيناك والمظلوم منتبهٌ ∴ يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، قال:(**ثلاثة لا تردّ دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول لها: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**) رواه الترمذي وصححه الألباني ، والظلم حرام ليس على المسلمين فحسب ، بل حتى على الفجار والكفار ، كما جاء في مسند الإمام أحمد ، أن النبي ﷺ قال:(**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه**) وقد يعجل الله العقوبة للظالم في الدنيا ، تلبية لدعوة المظلوم ، فقد استجاب الله دعوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، كما جاء في السير، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أرسل رسولاً إلى الكوفة ، يسأل عن واليه سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ، فأثنى الناس عليه خيراً ، إلّا رجلاً منهم، قَدَحَ في سعد وتكلم عليه ظلماً وزوراً، وقال: أما وقد سألتموني عن سعد ، فإنه لا يحكم بالسوية ، ولا يعدل بين الرعية، ولا يسمع للقضية ، فدعا عليه سعد رضي الله عنه وقال: اللهم إن قام هذا عبدك رياءً وسمعة ، فأعم بصره ، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فطال عمر هذا الرجل حتى سقط حاجباه على عينيه ، وكان يتعرض للجواري ويغمزهن في شوارع الكوفة ، ويقول: شيخ مفتون ، أصابتني دعوة سعد، وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، أن أروى بنت عميس ، خاصمته وادّعت عليه أنه أخذ شيئاً من أرضها ، فقال: ما كنت لآخذ شيئاً من أرضها ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه ، طوقه الله بسبع أرضين**) ثم دعا على تلك المرأة وهو يشعر

بمرارة الظلم عليه ، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها ، واجعل قبرها في دارها ، فقيل أنها أصبحت عمياء ، تتلمس الجُدُرْ ، وكانت تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد ، وبينما هي تمشي يوماً في دارها وقعت في بئر فماتت، هكذا مصير الظالمين دوماً وأبداً ، يتعرضون للانتقام ، لأن الله -عز وجل- يدافع عن أوليائه المظلومين، كما قال ﷺ في الحديث القدسي : (من عادى لي ولياً ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مّما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه).

إنصاف المظلومين:

إذًا فالله سبحانه وتعالى ولي المتقين ، أمّا أولئك الظالمين والمجرمين ، فإنهم سيعرضون على الله ويحاسبون عن كل ما فعلوه وارتكبوه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾(إبراهيم :٤٢) وجاء في الأثر: أن الله عز وجل إذا جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، وتجردوا للحساب حُفاة عُراة غرلا، تجلى الله -سبحانه وتعالى- على عرشه ، يحمله ثمانية ، فنادى بصوت يسمعه القريب والبعيد ، ويقول: أنا الملك أين الملوك؟ أنا الملك أين الملوك؟ أنا الملك أين الملوك؟ ثم يقول: لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل، فيجيب نفسه بنفسه ، ويقول: لله الواحد القهار ، ثم يقول: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فعزتي وجلالي لا تنصرفون اليوم ولأحد عند أحد مظلمة ، فتنصب الموازين ، وترفع الصحف ، وتحضر

الملائكة ، ويأتي الظلمة ، يعض كل واحد على يده حتى يأكلها ، فيقتص كل مظلوم ممّن ظلمه بحُكمه العدل ، وميزانه القسط ، حتى يؤتى بالبهائم والعجماوات ، فتحشر كالجبال ، ثم يقتص الله لها من بعضها ، فإذا انتهى من الحكم بينها تبارك وتعالى ، قال لها: كوني تراباً ، فتكون تراباً ، فيقول الكفار عندها: يا ليتني كنت تراباً) .

إذًا لا يحسبنّ الظالم أنه سينجوُ من عذاب الله ، مهما طال عمره وتأخر حسابه ، فعند الله تجتمع الخصوم ، ولا يحسبنّ المظلوم كذلك ، أن حقه في ضياع ، وأنه ذهب أدراج الرياح ، كلا ورب الكعبة ، بل هناك يوم لا ريب فيه ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الزمر :٧٠) وإن من عدل الله في ذلك اليوم ، أن يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأن يعيد الحقوق إلى أهلها ،قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾(الزمر:٦٩) في ذلك الموقف العصيب ، أول المظالم التي يُفصَلُ فيها بأحكام إلاهية سماوية، تكون في الدماء التي أسيلت والأنفس التي أزهقت ، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: (يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة ، وناصيته ورأسه بيده ، وأوداجه تشخب دماً ، وهو يقول: يا رب ، سل هذا فيما قتلني؟ حتى يدنيه الرب عزوجل من العرش) كذلك الإنسان الذي ضُرب أو لُطم بغير حق ، يأخذ حقه يوم القيامة ، لحديث عمار عند الطبراني وغيره ، قال: قال رسول الله ﷺ (من ضَرَبَ مملوكه ظالماً ، أُقيد منه يوم القيامة) حتى الحيوان المظلوم لا بد أن يأخذ حقه في ذلك اليوم العصيب ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ قال: (لتؤدنّ الحقوق لأهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) وفي المسند كذلك (أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنطحان، فقال يا أبي ذر : هل تدري فيما تنطحان؟ قال أبا ذر : لا يا رسول الله ، قال: ولكن الله يدري وسيقضي بينهما) أورده الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن ظلم الإنسان والحيوان على حد سواء ، إذاً فلا يستهين الإنسان بالحيوان ويظلمه ، لأنه بهيمة لا تعقل ، فقد كان النبي ﷺ يحمي حقوق الإنسان والحيوان ، كما جاء في الحديث الصحيح، (أن جملاً لأحد الأنصار رأى رسول الله ﷺ فدمعت عيناه ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: من صاحب هذا الجمل؟ ، فقال: أحد الأنصار ، أنا يا رسول الله ، فقال: إنه يشتكي إليّ ، أنك تظلمه وتشق عليه) فحسبنا إذًا أيها الأخوة ، أن نعلم أن القاضي والحكم في ذلك اليوم ، هو الله رب العالمين، الذي لا يظلم عنده أحد ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة :٢٨١) وفي آية أخرى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾(النساء :٤٠) إذًا: فنصيحتي لكل الظالمين ، أن يعيدوا الحقوق إلى أهلها، لأن اليوم عمل ولا حساب، وغد حساب ولا عمل،ولذلك يقول-عليه الصلاة والسلام -: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شئ فليتحلل منه اليوم ، قبل ألّا يكون دينار ولا درهم) فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: يجب أن تعلموا أن حياة الظلم التي يعيشها كثير من المسلمين اليوم واقع مرير، يعيشون آثاره ويكابدون مرارته في عالم لا يرحم المظلومين، ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام- في الحديث القدسي: (**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**) ولهذا كان الوعيد شديد، واللعنة أكيد، كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (غافر:٥٢) سوء المرجع، وسوء المصير، وفي يوم القيامة يأتي الظالم نادماً متحسّراً، يأكل يده أكلاً، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الفرقان :٢٧) وبهذه العاقبة السيئة، توعد الله بها الظالمين، حيث قال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف :٢٩) إن الظالم يخسر في الدنيا، ويأتي في الآخرة مفلساً، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: بل المفلس من أمتي، من يأتي يوم القيامة: بصيام، وصلاة، وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته، أخذ من سيآتهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**).

إذا أيها المسلمون:

إن ظلم الناس، وأكل حقوق الناس، وانتهاك أعراض الناس، لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الزكاة، لأن فيها حق ثابت متعلق بالآدميين، ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام- : (**من كانت عنده مظلمة**

لأخيه ، من عرض أو من شئ ، فليتحلل منه اليوم ، قبل ألاّ يكون دينار ولا درهم) حتى ذلك الجزء اليسير الذي يستهين به كثير من الناس ، فقد حذّر منه النبي ﷺ بقوله : (من أخذ بيمينه حق امرئ مسلم ، فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟، قال: وإن كان قضيباً من أراك).

مصارع الظالمين :

انظروا أيها الإخوة ، وإن كان قضيباً من أراك ، يُدخل صاحبه تحت مسمى الظالمين ، ويحرمه من دخول الجنة ، فما بالكم بمن يأخذ الأشياء الثمينة التي يملكها الناس، أو ينتهك أعراضهم، أو يسفك دمائهم، ماذا نسميه؟ظالمًا وسفاحًا من الدرجة الأولى، ويستحق أن نضع اسمه مع أولئك الظالمين والمجرمين الذين ذكروا في القرآن الكريم،منهم إبليس اللعين ، وفرعون اللئيم ، الذي نادى بأنه رب العالمين، وهو أظلم الظالمين، وأكذب الكاذبين ، ولذلك فقد أخذه الله أخذ القادرين ، فأصبح عبرة للمعتبرين ، وذكرى للذاكرين ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(القصص : ٤٠) .

يقول سيد قطب -رحمه الله-: لقد سقط من فرعون الباغي العادي المتجبر، كل أرديته التي كانت تنفخ فيه ، وضاعت عزة فرعون واقتداره على البغي والظلم والعدوان ، فكان جزاؤه جزاء الظالمين ﴿ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (القصص : ٤٢) ويقول الله له: يا ظالم : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ

عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس :٩٢) كذلك النمرود ، واحد من هؤلاء الظالمين ، ادّعى أنه يحي ويميت ، وأنه رب العالمين ، لكن إبراهيم عليه السلام ، فضحه بين الناس أجمعين، وأقام عليه الحجة بالدليل والبرهان ، كما جاء في الآية الكريمة ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) فأنكر ذلك الوغد الاعتراف والإقرار ، وركب عقله الهوى والاستكبار، وقال : ﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ فتحداه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) إعجاز ما بعده إعجاز: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنعام :٨٣) وأنى له أن يفعل ذلك ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (البقرة :٢٥٨)أصيب بذهول واستغراب، ولم يستطعْ أن يرد لخصمه ، أو يدافع عن نفسه ، فألقمه إبراهيم عليه السلام الحجر ، لكنه مع ذلك أدبر واستكبر ، فحلّ به ما نزل للظالمين في سقر ، أرسل الله عليه جنوداً من عنده ، وفتح عليه وعلى قومه الظالمين باباً من البعوض ، فأكلت لحومهم وشربت من دمائهم ، ثم بعث الله عليه بعوضةً واحدة ، فدخلت في منخره ومكثت فيه أربعمائة سنة، وهو يضرب رأسه بالمطارق والحديد ، حتى أهلكه الله ، وأصبح عبرة للمعتبرين ، وذكرى لذاكرين ، كذلك يَروى لنا التاريخ المعاصر، قصة أحد الظالمين في هذا الزمان ، ألا وهو مصطفى كمال أتاتورك ، الذي ظلم الأمة بأسرها ، وكان سبباً في زوال الخلافة من المسلمين ، وهو الذي أجبر الأتراك على ارتداء القبعة الغربية، وألغى الوزارات الشرعية، وأراد أن يحول لغة الصلاة إلى اللغة التركية الفارسية ، أمّا فحشه وبذاءته ، فقد كان رجلاً سكّيراً عربيداً ، يشرب الخمر إلى الثمالة ، وكان يستعمل وزير خارجيته آنذاك، توفيق رشدي ،

سمساراً لشهواته وغرائزه البهيمية، وفي يوم الخميس العاشر من أكتوبر، يرحل ذلك المجرم إلى مزبلة التاريخ ، وقد شهد الناس بظلمه وفساده ، ومن عقوبة الله له ، أن إبتلاه في قصره بحشرات صغيرة حمراء، لا ترى بالعين المجردة ، فكان يحك حكّاً شديداً ، حتى أمام زواره، وقد ظهرت تلك العلامات في وجهه ، مما جعله يستدعي مستشارين ومتخصصين من وزارة الصحة ، لمكافحة الإرهاب الذي يقوم به النمل والبعوض في قصره ، وما كان يعلم ذلك المغفل أن هذا حرب من الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ (المدثر :٣١) ثم أصيب أيضاً بمرض الكبد ، الذي سبّب له الاستسقاء بصورة دائمة، فاحتاج الأطباء أن يسحبوا المياه الزائدة في بطنه ، وما ذلك إلّا جزاءً لأعماله وأفعاله الظالمة التي ظلم بها الأمة ، وأخيراً بعد وفاته ، دار خلاف حول الصلاة عليه ، هل يصلى عليه كما يصلى على المسلمين ، أم غير ذلك ، والله المستعان.

واجب الأمة نحو الظلم والظالمين:

إذا أيها المسلمون: إن الظالمين في هذه الأمة ، قد سادوا وعربدوا ، وعليه نسأل: كيف تتقي الأمة الظلم والظالمين؟ كيف يمكن للأمة أن تأخذ على يدي الظالم؟ ولهذا السبب يجب أولاً على الأمة:

١-أن تنكر على الظالم ، وأن تأخذ على يديه ، مهما كانت سطوته وقوته وبطشه

أمّا إن تركت الظالم يتمادى في ظلمه وبغيه على الناس ، أو يفعل ما يريد ، فإنها واقعة حتماً ، تحت لعنة الرسول ﷺ كما جاء في الحديث (**والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدي الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم**) وذلك لأن ترك

الظالم يفعل ما يشاء ، ترك لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما بين ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: أيها الناس ، إنكم تقرؤن هذه الآية وتنزلونها غير منزلها ، قال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة :١٠٥) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الناس إذا رأو ظالماً فلم يأخذوا على يديه ، أوشك الله تعالى أن يعمهم بعقاب من عنده)** رواه أبو داود في سُننه.

كذلك يجب على الأمة:

٢ - أن لا تستكين للظالم ، وتريهُ من نفسها قوة وإباء: فالأمة بعقيدتها ومبدئها تستطيع أن تقهر كل الظالمين والمعتدين عليها وعلى أفرادها ، ولهذا وصف الله -عز وجل- عباده المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الشورى:٣٩) ، أي لا يتركون حقوقهم لظلم الظالمين ، أو عبث العابثين ، بل يأخذون حقوقهم وهم أعزاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (آل عمران ١٣٩)، فالمؤمن دائماً يأبى الضيم على نفسه وعلى أمته ، ولا يرضى أن يُذل أو يُهان، فهذا الشاعر الجاهلي عنترة الذي كان يفتخر برجولته وشجاعته، ويقول لمعشوقته:

أَثـنِـي عـلـيَّ بـما علمت فإني ∴ سمحٌ العشيرة إذا لم أظلمِ

فـإذا ظلمت فإن ظلمي باسلٌ ∴ مـرّ مـذاقـتـه كطعم العلقمِ

يقول: إني رجل طيب ولطيف ، أحمل صفات عالية ، ولكني إذا ظُلمت ألقى غيري بما لم يكن يعلم ، وما لم يكن في حسبانه ، وهكذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- من أفكه الناس وأطيبهم ، وأحسنهم أخلاقاً ، فإذا

بُغيَ عليهم ، أثبتوا رجولتهم في الميدان ، وكأنهم الأسود تزئر .

كذلك يجب على المسلمين :

٣ - ألاّ يركنوا إلى الظالمين ، وألاّ يقفوا معهم وفي صفهم: امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾(هود :١١٣) ، وجاء في مسند الإمام أحمد -رحمه الله- أن النبي ﷺ قال: (ستكون أمراء في أمتي ، من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم ، أو صدّقهم بكذبهم ، فليس مني ولست منه ، ولن يرد عليّ الحوض) فمن يجالس الظالمين ، أو يأكل من مأكلهم ، أو يشرب من مشاربهم ، أو يقبل من أموالهم التي أخذوها من حرام ، أو يداهنهم فيما عندهم من المنكرات ، فهذا لا شك أنه يُحشر معهم وفي زمرتهم ، ويحلّ به ما حلَّ بهم ، وإذا كان هذا حال من يساعد الظالمين ، أو يقف معهم ، فما بالكم بحال الظالمين أنفسهم ، الذين يسفكون دماء الناس ، ويأكلون أموالهم بالباطل ، وينشرون الفساد في الأرض ، فهؤلاء قد توعدهم الله -عز وجل- بعذاب أليم ، حيث قال تعالى :﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾(البقرة :١٦٥-١٦٦).

كل يتبرأ من صاحبه في ذلك اليوم ، الظالم يقول: يا رب ، أنا ما أمرتهم أن يظلموا أحداً ، وما أمرتهم أن يقفوا حرساً على بابي ، بل كنت جالساً في بيتي ، وهم يأتون إليّ مسرعين فرحين مستبشرين ، أما أولئك المجرمين الذين ركنوا إلى الظالمين ، والذين كانوا يجلسون على أبوابهم ، ويأتمرون بأمرهم ، فإنهم يقولون: يا رب ، نحن كنّا أعواناً لهم ، وخدماً لهم ، فلا نفعل شيئاً إلّا بأمرهم ، فإذا قَتلُوا قَتلْنَا معهم ، وإذا سَرقوا نَسْرقُ معهم،

وإذا سَكِرُوا نَسْكَرُ معهم ، فيقول الله عنهم : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

(الأنعام : ٩٤) .

كذلك يجب على الأمة:

٤ - **أن تنصر المظلوم:** وأن تقف معه وفي صفه ، وألاّ تتخلى عنه ، أو تتركه لوحده يواجه مصيره المحتوم ، مع أولئك الظالمين والمجرمين ، كلا ، إن الأمة بأجمعها ، تأثم إذا تركت الظالم يفعل ما يشاء ، ويقتل من يشاء ، ويسرق من يشاء ، ويضرب من يشاء ، وليس للمسلمين أن يسكتوا أو يقفوا متفرجين ، عن تلك المظالم التي يمارسها فراعنة هذا العصر ، بل يجب الوقوف لهم بالمرصاد ، والضرب على أيديهم من حديد ، ورحم الله خليفة المسلمين أبا بكر الصديق ﷺ ، عندما حدَّدَ العلاقة التي يجب أن تكون بين الظالم والمظلوم في خطبته الشهيرة، التي يقول فيها: (اعلموا أيها الناس، ألا إن الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، وإن القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه) بعد هذا أيها المسلمون: لا يسعكم السكوت عن الآهآت والزفرات التي تخرج حريَّ من صدور إخوانكم المستضعفين ،الذي تعرضوا النزوات الظالمين وغرائزهم البهيميّة، بل يجب أن تقفوا مع المظلوم كونه مظلوم ، وأن تقفوا مع الظالم كونه ظالم ، لأن الرسول ﷺ يقول : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل: يا رسول الله ، أنصره مظلوماً ، فكيف أنصره إن كان ظالماً؟ فقال: تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصرٌ له) أي لا تتركه يمارس الظلم على غيره ، إن استطعت إلى ذلك

سبيلاً ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

قصص الظالمين المعاصرة :

ولهذا يجب على إخواننا الرحماء أن يقفوا دائماً مع إخوانهم الفقراء والمستضعفين ، أما أولئك الظالمين والمجرمين ، الذين سجلهم التاريخ في مزبلته ، كفرعون وهامان وقارون ، وأبو جهل وأمية بن خلف ، فقد رأينا وسمعنا ماذا فُعِلَ بهم ، ونتيجة لذلك يجب أن نأخذ الدروس والعبر، فنقف مع جزء يسير من قصص الظالمين في هذا الزمان ، التي ذكرها بعض الكتاب المعاصرين : **القصة الأولى:** كان رجلٌ يعمل صياداً ، فاصطاد يوماً سمكة كبيرة ، فجاء إليه أحد الظالمين ، وأراد أن يأخذ تلك السمكة التي اصطادها من كسب يده ، فأبى ذلك المسكين أن يعطيه السمكة ، لكنه أخذها منه بالقوة والجبروت ، وضربه كذلك ، ولما أخذها وعاد بها إلى منزله ، عضّته تلك السمكة في يده عضّةً شديدة ، وما هي إلّا أيام أو ساعات ، حتى تورمت يده ، ممّا جعله يذهب إلى الأطباء ، فنصحه الأطباء أن يقطع كفه ، لأنها أصيبت بالآكلة ، ولما قطع كفّه الأطباء ، انتقل الألم إلى كامل يده ، فنصحوه أن يقطعها من المرفق ، ثم من الكتف ، ثم بعد ذلك نصحه أحد الناس الطيبين ، بعد أن علم بقصته مع السمكة ، وكيف أخذها ظلماً وزوراً من صاحبها المسكين ، نصحه أن يذهب إليه ويتسامح منه ، أو يرضيه ، لعلَّ الله أن يخفف عنه ما هو فيه ، ولم يزل يطلبه في البلد حتى وجده في قرية نائية ، فذهب إليه ، وما إن رآه حتى جعل يقبل رجليه وهو يبكي ويقول: يا أخي ، سألتك بالله إلّا عفوت عني ، فقال له: ومن أنت؟ قال: أنا الذي أخذت منك السمكة في يوم كذا وكذا ، وهذا حالي الآن كما ترى ، ثم قال له: أسألك بالله ، هل دعوت عليَّ لمَّا أخذتها منك؟

قال: نعم ، قلت: اللهم إن هذا عبدك تقوى عليّ ، وأنا إنسان ضعيف ، اللهم أرني قدرتك فيه) عند ذلك سامحه ، وقال: أحللتك إياها ، فتوقف ذلك المرض عند كتفه ولم يسري إلى جسده ، هذه سمكة فعلت بصاحبها الظالم ما فعلت ، فما بالكم بمن يغتصب ترابًا أمثال الجبال ، أو يغتصب دجاجة ، أو سيارة ، أو عمارة ، وما أكثرها اليوم في حياة المسلمين ، ولو نظرت لرأيت أكثر الناس ظالمين أو سارقين أو مغتصبين ، ولهذا فالظلم مرتعه وخيم ، وعاقبته سيئة ، وهو منبع الشرور والأثام ، وما هذا الغلاء والبلاء والوباء والاحتكار ، إلّا بسبب ظلم الظالمين ، وفساد الفاسدين .

قصة أخرى مع الظالمين ، يرويها لنا أحد المشهورين في دفن الموتى ، وهو الشيخ القحطاني ، يقول: كنت يوماً في المقبرة ، إذ دخلت علينا جنازة يتبعها خمسون رجلاً ، فطلبوا مني أن أساعدهم في دفنها ، ولما نزلت إلى القبر ودلّيته إليّ ، كان ثقيلاً ، فوضعت رأسه نحو القبلة ، ثم أخذت لبنة ووضعتها تحت رأسه ، نظرت إليه ، فإذا هو قد تحوّل برأسه عياذاً بالله عن القبلة ، فأعدت رأسه مرة أخرى إلى القبلة ، ثم أخذت اللبنة الثانية، فإذا بي أرى عيناه مفتوحتان ، وأرى أنفه وفمه يصبان دماً أحمر ، عند ذلك انتابني خوف شديد ، حتى أنّي لم أستطع أن أقف على رجليّ من شدة الخوف والفزع ، ثم أخذت اللبنة الأخيرة ، فوجدت أن رأسه تحوّل للمرة الثالثة ، فخرجت من القبر فزعاً وهربت منه ، فقام أولئك الحاضرين معي، يحثون عليه التراب حثياً دون تلحيد ، ثم صرت أرى هذا الرجل في منامي سبع مرات في كل ليلة ، ولم يذهب عنّي ما أنا فيه ، إلّا عندما ما ذهبت إلى مكة وأدّيت العمرة ، وبقيت هناك أياماً حتى سكن قلبي ، ولهذا السبب أيها الإخوة : ندعو كل الظالمين ، أن يراجعوا حساباتهم مع الله ومع الناس ،

وأن يستعينوا بقوله تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وأن يعلقوا آمالهم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:١٣٥).

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: إن الظلم أنواع وأشكال ، ويأخذ مسارات مختلفة ، وهناك من الناس من بلغ درجة عالية في ظلم الآخرين ، والتفنن في إيذائهم وتعذيبهم ، بل هناك من الظالمين من أصبح يمارس الظلم كهواية أو وظيفة ، حتى وصل بعضهم إلى درجة الاحتراف في هذا السبيل ، وعليه يمكن أن نقول: أن أولئك الظالمين يتشكلون حسب أهوائهم ومصالحهم، ويتسترون تحت أقنعة زائفة ، وشعارات كاذبة ، يظلمون الناس باسم الأدب والواجب والحرية ، ولهم في ذلك أساليب مختلفة ، وصور متعددة.

أنواع الظلم:

وشرّ هذه الأنواع ، وهذه الصور:

١ ـ **ظلم الحكام لشعوبها ورعيتها:** وهذا سائد ومنتشر في بلاد المسلمين ، الشعوب الآن تئن وترزح تحت ظلم حكامها ، يمارسون عليها أبشع الجرائم والاضطهاد ، ويسلبون كرامتها ، وينهبون ثرواتها ، تحت حجج واهية أوهى من بيوت العنكبوت ، بينما خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اشتهر بعدله ، وكان يسمى العادل ، لكنه مع ذلك ، كان يخشى أن يظلم أحداً من رعيته ، فيقول: لو أن بغلة في العراق تعثّرت لخشيت الله أن يسألني: لِمَ لَمْ تسوي لها الطريق يا عمر ، وخرج ليلة من الليالي في

آخر الليل يتفقد أحوال رعيته ، هل هناك جائع؟ هل هناك مريض؟ هل هناك مظلوم؟ وإذ به يرى من مكان بعيد ، ضوء أو نار ، يرتفعُ لهَبُهَا في السماء ، فيقترب من ذلك ، فإذا به يجد امرأة مسكينة ، عندها أطفال صغار يتضاغون من الجوع ، وهي تضع لهم أحجاراً على تلكم النار، فإذا سمعوا طنينها وصريرها ، يظنون ذلك طعاماً ، فيسكتون وينامون ، ولما اقترب منها عمر ، قال لها: وما الذي جاء بك في هذه الساعة، وفي هذا المكان الوحيد؟ قالت: ما ترى من شدة حالنا ، قال لها: وأين الخليفة عمر من حالكم؟ قالت: قاتل الله عمر ، تولّى أمرنا واحتجب عن خلّتنا ، عند ذلك ارتعدت فرائص عمر رضي الله عنه ، وقال لها: يرحمك الله ، وما يدري عمر عن حاجتكم؟ فقالت: كيف يتولى أمرنا ولا يعلم عن حالنا، فبكى عمر رضي الله عنه عند ذلك بكاءً شديداً ، وعلم أنه سيحاسب عن أمة محمد ﷺ، وأن هؤلاء جميعاً سوف يتعلقون برقبته يوم القيامة ، فذهب مسرعاً إلى بيت مال المسلمين ، وأخذ كيساً من الدقيق ، ثم وضعه على عاتقه ، فأراد خادمه ميسرة أن يحمله عنه ، فقال: عنك يا أمير المؤمنين، فقال عمر : إليك عنّي، فإنك لن تحمله عنّي يوم القيامة ، ثم ذهب به إلى تلك المرأة، وأصلح لها الطعام ولأولادها ، ولم يذهب من عندهما إلّا وقد شبعوا جميعاً ، عند ذلك أرادت المرأة أن تشكر هذا الرجل الذي قدم لها معروفاً ، فقالت له: إذًا أنت خيرٌ من عمر ، وهي لا تعلم أنه عمر ، فقال لها: قولي خيراً يا امرأة، يغفر الله لعمر ، يكفيه ما حلّ به ، ثم انصرف من عندها وهو يخشى أن تقدم شكواها إلى الله ، فيسأله عنها: لماذا في رعيتك امرأة جائعة يا عمر، لماذا في رعيتك أطفال صغار يتضاغون من الجوع ، أما اليوم ، فشعوبٌ بأكملها تُبَادُ وتموت من الجوع ، لماذا؟ لأنها شعوب فقيرة، أفقرها وظلمها

حكّامها والمتنفذين عليها ، فأخذوا حقوقها ، وسلبوا كرامتها ، يفعل الحاكم المسلم في رعيّته ما يريد ، يقتل من يريد ، ويحبس من يريد ، وينهب من يريد ، ولا أحد يستطيع أن يسأل أو يجيب ، لكن أحد الصحابة يقول لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو من على المنبر : لا سمع لك ولا طاعة ، حتى تبين لنا من أين لك القطيفة الزائدة ، التي تفضّلت بها علينا .

ويأتي رسول كسرى وقيصر إلى المدينة يسأل عنه ، فيقولون له: خَرَجَ إلى شعابها ، فيخرج إليه ، فإذا هو نائم تحت شجرة ، يلتحف السماء ويفترش الأرض ، فيعجب ذلك الرسول لمَا رأى ، ويسأل نفسه: أَيُعْقَلُ أن يكون هذا عمر ، خليفة المسلمين ، أَيُعْقَلُ أن يكون هذا عمر ، الذي بلغ اسمه الآفاق ، ويهتزُّ لذكره كسرى وقيصر ، ثم ينام تحت شجرة بلا فراش ولا وسادة ، ولا خدم ولا حشم ولا حراسة ، ولا مراسيم ملكيّة أو رئاسيّة، فيعجب ذلك الرسول أشد العجب ، ويقول كلمة المشهورة: عدلت فأمنت فنمت ، الله أكبر ، هذه الأمة كانت تملك حكّاماً يسمعون لنصيحة الناصحين ، ينصرون المظلومين والمستضعفين، أما اليوم، فلا يستطيع أحدٌ أن يقول: كلمة الحق لحاكمه ، أو مسئوله الصغير ، أو يقول له: اتق الله في شعبك وأمتك يا ظالم ، أتوقع إن فعلِ ذلك ، أن يأمر بحبسه أو قتله ، أو أخذه وسجنه ، أو تَقْطِيعه: إرباً ، إرباً ، ليكون عبرة لغيره ، ولمن تسول له نفسه أن يقول كلمة الحق أمام أولئك الظالمين والمجرمين ، كذلك لا يستطيع أحدٌ من المسلمين ، أن يعبّرَ عن خلجات نفسه ويقول: بأنه مظلوم أمام حاكمه ، أو زبانيته المقربين ، لأن مصيره حتماً إلى المجهول ، بينما كان المسلمون آنذاك ، يسألون عن المظالم التي يرتكبها الحكّام والعمال والولاة ، بل وقف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أمام قاضيه شريح، في

قضيّة درع مع يهوديٍّ في الكوفة ، ادّعى عليه ظلماً وزوراً ، فيحكم شريح بالدرع لذلك اليهودي ، لأن الإمام عليّ رضي الله عنه ، لم يستطع أن يأتي بالبينة، فبالله عليكم: هل رأيتم أو قرأتم في التاريخ أن حاكم دولة ، أو زعيم طائفة ، أو حتى عاقل حارة، يتنازل أن يقف مع خصمه سواء بسواء ، مجرد الجلوس فقط ، لا أن يحكم عليه ، كما هو الحال ، بالنسبة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو أمير المؤمنين يملك دولة من المحيط إلى الخليج ، وعليه لا نريد من حكّام المسلمين اليوم ، وزعمائهم ، أن يقفوا أمام العدالة كما وقف الإمام علي رضي الله عنه أمام قاضيه شريح ، في مسألة يهوديّ متطفل ولا نريد منهم أن يُسألوا عن أموال الأمة التي أخذوها من حلال أو من حرام ، وإنما نريد منهم أن يحكموا بما أنزل الله ، وأن يردّوا المظالم إلى أهلها ، نريد منهم ، أن يقفوا مع المظلومين الذين لا يجدون ناصراً إلّا الله ، نريد منهم ، أن يقتصّوا للدماء التي أسيلت ، والأنفس التي أزهقت ، والأموال التي نهبت ، وإلّا فإن الظُلْمَ قد بلغ ذروته في بلاد المسلمين وديارهم ، من قبل حكّامهم وقضاتهم ، فحذاري ، حذاري ، أن يتمادى أهل السيادة والسلطان ، على ظلم شعوبهم ، فإن هذه الشعوب مهما ضعفت واستكانت ، فلابد أن تأخذ يوماً بحقها ، وتستعيد كرامتها المسلوبة ، أما أولئك الظالمين لشعوبهم ، فإن مصيرهم إلى الهاوية في الدنيا والآخرة ، وإليكم مثلاً رواه الإمام القرطبي -رحمه الله - في «التذكرة» ، أن حاكماً ظالماً، كان مشهوراً بظلمه وجبروته وجرئته على الله وعلى عباده، ولمّا توفاه الله بعد أن أذلّه وأخزاه ، حفروا له قبراً ، وأرادوا أن يلحّدوه، فإذا بحيّة سوداء تخرج في ذلك القبر، فحفروا له آخر، وإذا بها تخرجُ مرة أخرى ، ثم حفروا له نحواً من ثلاثين قبراً ، وإذا بتلك الحيّة تتعرض هم

في كل مرة يحفرون له ، ولمّا أعياهم هذا الأمر ، اضطروا آسفين أن يدفنوه مع تلك الحيّة ، لتكون جليسته وأنيسته في قبره ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

(إبراهيم: ٤٢) .

ثانياً : من أنواع الظلم :

٢-ذلك الظلم الذي يمارسه أصحاب النفوذ والوجاهات: والذين يملكون زمام الأمور على عامة الناس من المسلمين ، فيمارس أولئك الأقوياء، أنواعاً شتى من الظلم ، تحت غطاء وظائفهم ومواقعهم الحساسة في كيان الأمة ، فيستغلون هذه الوظائف الإدارية والعسكرية ، في ظلم الآخرين والاستبداد بهم ، ولذا لا نستغرب أن نشاهد أولئك الظَلَمَةَ ، وهم يسرقون ويبطشون بإخوانهم الفقراء والمساكين ، مستندين في ذلك إلى وظائفهم ومراكزهم القياديّة في الأمة ، وحسبنا أن نشير إليهم بقول الرسول ﷺ **(صنفان من أهل النار ، لم أرهما قط ، صنف معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس)** فيأتي مثلاً: مسئولٌ كبير ، أو شيخٌ كبير ، والكبير هو الله ، فيأمر بحبس فلان أو علاّن من الناس ظلماً وزوراً ،وينسى أن الله سينتقم له، وسينتقم لأولئك المظلومين والمستضعفين ، الذين حُبسوا ، أو قُتلوا ، أو أخرجوا من ديارهم وأوطانهم بغير حق ، وسينتقم الله لتلك الدماء التي أسيلت ، ولتلك الأسر التي دمعت على أبنائها ، وفلذات أكبادها ، أما أولئك السفاحون والسفاكون ، الذين استغلوا وظائفهم ومناصبهم في ظلم الآخرين فإن مصيرهم: كفرعون وهامان وقارون ، وإليكم من التاريخ عبراً ، فهذا الإمام أحمد -رحمه الله - لمّا أُهينَ وعُذّبَ من قبل ابن أبي داؤد ، فقد كان هذا ، ابن أبي داؤد ، وزيراً للمأمون ،

فاستغل وظيفته الوزارية ، ومكانته من الخليفة المأمون ، فظلم الناس ، وظلم الإمام أحمد، وكان يعذّبه في السجن، فما كان من الإمام أحمد ، إلّا أن رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم إنه ظلمني ، وما لي من ناصر إلّا إياك ، اللهم خذه واحبسه في جلده ، قيل: فما مات هذا ابن أبي داؤد ، حتى أصابه مرض الفالج ، فكان يخور كما يخور الثور ، ويقول: أصابتني دعوة الإمام أحمد، أصابتني دعوة الإمام أحمد ، ما لي وللإمام أحمد ، ما لي وللإمام أحمد ، ثم يقول: والله لو وقع ذباب على نصف جسمي، لكأنما وقعت عليه جبال الدنيا، أما النصف الآخر، فلو قُرّض بالمقاريض ما أحسست به، الله أكبر﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾(إبراهيم:٤٢) .

وهذا ظالم آخر، استغل منصبه ووظيفته في ظلم الآخرين،حمزة البسيوني، الذي كان يعذّب المسلمين في مصر ، وهم يستغيثون الله ، فيقول لهم: أين إلهكم الذي تستغيثون ، والله لأضعنّه في الحديد، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وما هي إلّا أيام ، وإذ به يخرج في سيارته فرحاً مسروراً، مغروراً بقوته وجبروته ، ونسي أن الله له بالمرصاد ، وسينتقم لعباده المستضعفين ، الذين عذّبوا في سبيله ، وسينتقم لتلك الآهات والتنهدات التي خرجت وتخرج حرّى من صدورهم ، وإذا بسيارته ترتطم بشاحنة محمّلة بالحديد، فيدخل الحديد في جسمه وأحشائه ، فما يخرجونه منه إلّا قطعة ، قطعة ، فالله أكبر، إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾(هود :١٠٢) .

كذلك من أنواع الظلم:

٣ - أن يظلم الأغنياء الفقراء: باستغلال حاجتهم وفقرهم ، وقد رأينا بعض الظالمين من يأخذ حقوق إخوانه المساكين بالقوة والإكراه ، لأنه ذو مال أو جاه أو سلطان ، ومن الظالمين من يستغل أجْرَ الفقراء العاملين عنده ، فلا يعطي الأجير حقه قبل أن يجفّ عرقه ، ومن الأغنياء الظالمين من يعتدي على الفقراء والمساكين ، بضربهم أو سبهم أو إهانتهم ، لأنهم فقراء لا يجدون ناصراً إلّا الله ، ومنهم من يستغل حاجة الفقراء ، ويطلب منهم أن يكونوا خدماً وحشماً وعبيداً له ، استغلالاً لحاجتهم وفقرهم ، واستخفافاً بعقولهم ، وكم سمعنا أن غنياً ظالماً ، فعل الفاحشة مع امرأة فقيرة ، استغلالاً لحاجتها وفقرها ، ثم أعطاها شيئاً زهيداً من المال .

كل هذه الوسائل الظالمة التي يستخدمها بعض الأغنياء في ظلم الفقراء، محرمة شرعاً في كتاب الله ، وفي سنة رسوله ﷺ ، والحقيقة أن الذي يتجرأ على ظلم الفقراء والمساكين هو إنسان حقير ، يحمل صفات دنيئة ، والواجب على الإنسان الذي يحمل صفات عالية ويحمل شهامة ومروءة ، فإنه يستحي أن يظلم فقيراً ، أو مسكيناً ، ولذلك كان الأعراب في الجاهلية، يتفاخرون بحماية الفقراء والمساكين ، وكان الرسول ﷺ يقول: شهدت في الجاهلية حلف الفضول ، ما أحب أن يكون لي به مثل حمر النعم، وذلك لأن هذا الحلف كان ينص على نصرة المظلوم ، وحماية المستجير ، وإيواء الغريب ، وإغاثة اللهفان ، أما اليوم ، فقد ضاعت كل هذه المبادئ والقيم، التي كان يتمتع بها أصحاب الجاهلية في جزيرة العرب ، وصار كثير من المسلمين اليوم ، كالوحوش الضارية في غابة سوداء ، نسأل الله لنا ولكم العافية ولجميع المسلمين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وكذلك ينبغي على جميع المسلمين أن يقفوا صفاً واحداً في وجه الظلم والظالمين ، وأن يزيلوا عن أنفسهم وإخوانهم ، تلك الصور المأساوية ، التي نراها في واقع كثير من المسلمين اليوم ، حيث نرى :

٤-أخ يظلم أخاه ، وجار يظلم جاره: بأن يأخذ حقه ، أو يغتصب داره وأرضه ، أو ينتهك عرضه ، بأن يعتدي عليه وعلى أولاده ، وهذا للأسف الشديد ، ما نراه **الآن** يحصل بين المسلمين ، والجيرانُ على سبيل الخصوص ، وفي كثير من الأحيان نرى ونسمع أن جاراً قتل جاره ، أو سفك دمه ، أو انتهك عرضه ، بينما رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يقول : **(والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل: من يا رسول؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه)** أي شروره ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: **(من كان يؤمن بالله [illegible] فلا يؤذي جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)** وذكروا للنبي ﷺ أن امرأة تصلي الكثير ، وتصوم الكثير ، ولكنها تؤذي جيرانها ، فقال: **هي في النار)** رواه أحمد والبزار و ابن حبان .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ سُئِلَ: أي الذنب أعظم؟ **قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قيل: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قيل: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)** وفي مسند الإمام أحمد ، قوله -عليه الصلاة والسلام- : **(لأن يزنِ الرجل بعشْر نسوة ، أيسر عليه من أن يزنِ بحليلة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات ، أَيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره)** ولهذا بلغت منزلة الجار في نظر الإسلام إلى درجة عالية ، حتى قال النبي ﷺ : **(ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورّثه)** إذًا: بعد هذا كله، وبعد هذه الوصايا ، كيف يجوز لمسلم أن يظلم جاره ، أو يأخذ ماله ، أو

يغتصب أرضه ، وقد توعده الرسول ﷺ بالنار ، ونفى عنه كمال الإيمان ، حين قال : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل: من يا رسول؟ ، قال: من لا يأمن جاره بوائقه) أي شروره .

كذلك من صور الظلم في هذا الزمان الغريب:

٥-ظلم الوارثين من إرثهم ونصيبهم: الذي كُتِبَ لهم من الله ، كما قال تعالى ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء:١٢) ، ولكن بعض المتنفذين من الوارثين ، كالأخ الأكبر ، أو الابن الأكبر ، أو صاحب النصيب الأكبر، فإنهم قد يستأثرون لأنفسهم بنصيب الأسد ، ويتركون لغيرهم ما أكلته الذئاب ، ولهذا يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(النساء:١٩) .

وعلى هذا الأساس نجد أن التشريعات العمليّة ، تستند إلى هذه الركيزة في تحقيق البناء الاجتماعي وتنظيم الأسرة ، وفي حماية الإناث من النساء الضعيفات ، وعليه فإن سورة النساء استهلت بآيات عظيمة تؤكد على هذه الحقوق ، وتخص الأيتام بالذكر على وجه الخصوص ، استناداً إلى قوله تعالى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (النساء:٢). بمعنى: إنه كان ذنباً عظيماً ، وذلك لأن بعض الورثة الظالمين قد يأخذون حقوق إخوانهم الأيتام ، بحجة أنهم صغار، أو أنه وصياً عليهم ، ولهذا كان الوعيد من الله شديدًا ، لهؤلاء الظالمين الآكلين لأموال اليتامى ، كما قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

(النساء:١٠) ، هذه الصورة المفزعة ، صورة النار ، وهي تشوي البطون ، ستكون للظالمين الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ، ولهذا يأمر الله سبحانه وتعالى الأوصياء على اليتامى أن يتقوا الله في أنفسهم ، وأن يردّوا إليهم أموالهم إذا بلغوا سن الرشد ، كما قال تعالى :﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾(النساء:٦) . بمعنى: لا يتجاوز أحداً في أكل حقوقهم ، بل يجب أن تُرَدَّ إليهم سالمة كاملة ، وأن يسأل الوصيُّ رزقه من الله ، عسى الله أن يغنيه من فضله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: إن الحديث عن الظلم حديث ذو شجون ، يحرك آمال المظلومين وعواطفهم ، رغم ما يجدون من لوعة وأسى ، وقهر واستبداد، ولكنهم مع ذلك يملكون أملاً كبيراً ، ووعداً أكيداً ، بأن الله فعال لما يريد، وأنه سينتقم لهم من أولئك الظالمين ولو بعد حين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (إبراهيم:٤٢) .

وعليه نقول: إن لله في خلقه شئون ، وله سُنن تجرى في المكر والماكرين ، وسُنن تجري في العدل والعادلين ، وسنن تجري في الظلم والظالمين ، ولذلك قيل: إن الظلم أصعب شيء يتحمله الإنسان ، وأسوء صفة يكتسبها هذا الإنسان ، ولو قُدّر لإنسان أن يحمل شيئاً من الجبال ، لكان بالإمكان ، أما الظلم ، فلا وربك لا يتعامل به إلا إنسان قد انسلخ من صفة الإنسان،

إلى صفة الحيوان بل هناك من الظالمين اليوم يفعلون ما لا تفعله كثير من البهائم والحيوان من الظلم والبغي والعدوان ، وأشنع الظلم أن يظلم الكبيرُ الصغيرَ ، والمسؤول الفقير ، الكبير الذي قد أمسك سلطةً أو قوةً أو جاهاً ، فيظلم من لا يملك سلطةً ولا جاهاً ولا قوةً ، ولهذا كان الخليفة العادل ، معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يقول: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرًا إلّا الله ، و مما يُذكر أن هارون الرشيد سجن أبا العتاهية ، فأرسل له رسالة من السجن يقول :

أما والله إن الظلم شؤمٌ ∴ وما زال المسيُ هو الظلوم
إلى الدّيان يوم الحشر نمضي ∴ وعند الله تجتمع الخصوم

فبكى هارون الرشيد ، حتى فحص برجله على الأرض ، ثم أمر بإخراجه من السجن .

وعليه يجب أن تعلموا أيها المسلمون: أن الظلم لا يفرق بين ديانة وديانة، ولا بين جماعة وجماعة، ولا بين مسلم وكافر، فهو محرم على كل أحد من الناس ، محرم على الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والذكر والأنثى، حتى الكافر محرم عليه الظلم،استجابة لأمر الله القائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

(المائدة :٨) .

إذًا: فلا يترخص أحد من المسلمين في ظلم الآخرين ، سواء كانوا مؤمنين أو كافرين ، لأن الله -عز وجل- حرّم ذلك على العباد جميعاً ،

دون تمييز بين دياناتهم وعقائدهم ، وناداهم باسم العبودية العامة ، التي يقوم فيها﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (مريم: ٩٣-٩٥) ولهذا جاء النداء في الحديث (يا عبادي) باسم هذه العبودية العامة (ياعبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) .

عاقبة الظالمين في مكة :

ولذا أيها المسلمون: يجب أن تكونوا على ثقة كاملة بأن الظالم مهما تمادى في ظلمه وبغيه على الناس ، فإن مصيره حتماً إلى الزوال والانتقام ، ولكن قد تشاهدون بعض الظالمين يُمْهَلُونَ إلى أجل مسمى ، أو إلى قدر معلوم، وإن حصل هذا ، فإن ذلك استدراجاً لهم من حيث لا يعلمون ، كما قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾(القلم : ٤٤-٤٥) وجاء في الحديث (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ -عليه الصلاة والسلام- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾(هود : ١٠٢) المعنى: قد يمهله ولكن إلى حين ، قد يمهله سنة أو سنتين ، أو ثلاثاً ، أو أكثر، ولكن في النهاية يقول الله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(الأنفال:٣٠) وعليه فإن مصارع الظالمين تبقى عالقة في الأذهان ، ولا ينساها كثير من الناس ، حتى لو سجلها التاريخ في زمن الغابرين ، فما زلنا نذكر فرعون وهامان وقارون ،ونذكر أبا جهل ، فرعون هذه الأمة ، الذي كان أشد عداوة للإسلام والمسلمين في مكة ، لقد كان أبو جهل ظالماً جباراً ، وكان سبباً في ظلم كثير من الصحابة الكرام ، منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، الذي ناله

من ظلمه وشره أذىً كثيرًا ، حتى أنه ذات مرة وكزه في صدره ، وأسال الدم من جسده ، ولما أراد الله له أن ينتصر من بعد ظلمه ، ظفر به صريعاً في بدر، فانتقم عبد الله رضي الله عنه لنفسه ، وركب على صدره ، فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم ، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : هل أخزاك الله يا عدو الله ، ثم احتزّ رأسه من مكانه ، ليرمي به في مزبلة التاريخ مع إخوانه الظالمين والمجرمين ، وثبت في السُنن، أن رسول الله ﷺ لما سمع بمقتله صلى ركعتين ، وقال : (هذا فرعون هذه الأمة أخزاه الله) وهكذا ينبغي للإنسان إذا سمع بهلاك الظالمين ، أن يخر ساجداً شكراً لله ، لأن الكافر والظالم والفاجر يستريح منه العباد والبلاد ، والشجر والدواب، ولهذا لما علم إبراهيم النخعي -رحمه الله- بموت الحجاج بن يوسف الثقفي سجد لله شكراً ، وبكى من شدة الفرح ، فأي مجرم هذا الذي يبكي الناس فرحاً بموته ، وأي تقي لله ومن أولياء الله يبكي الناس حزناً على موته وفراقه، شتان بين الفريقين ، شتان بين الرجلين ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (القلم: ٣٥-٣٦) ومن أولئك الظالمين الذين أسِرُوا وقُتِلُوا في بدر أمية بن خلف ، الذي كان يعذب بلالاً رضي الله عنه في مكة، فأراد الله -سبحانه وتعالى- لعباده المستضعفين ، الذين أوذوا وعُذبوا في سبيله، أن يقتصوا لأنفسهم من أولئك الظالمين والمجرمين ، فمكّن لهم من رقابهم يوم بدر ، ولذلك لما شاهد بلال بن رباح رضي الله عنه ، ذلك المجرم الطاغية أميّة بن خلف، الذي كان يعذبه في مكة، صرخ بأعلى صوته:رأس الكفر أميّة بن خلف لا نجوت إن نجا ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : إنه أجيري يا بلال، وإني أمّنته فلا تمسه بسوء قال: كلا ، بل أقتله ، لا نجوت إن نجا، لا نجوت إن نجا ، عند ذلك أيقن عبد الرحمن بن عوف

ﷺ ، أن أجيره في خطر ، وأنه لا مفر من حمايته ، فألقى بنفسه عليه، يريد سلامته ، لكن السيوف تناوشته من تحته ، حتى خرجت روحه إلى أسفل السافلين مع إخوانه الظالمين والمجرمين، أما أخوه أُبَيٌّ بن خلف ، ذلك المجرم الهالك ، الذي كان يقسم بالله أنه سيقتل محمداً بيده ، وكان يَلْقَى رسول الله ﷺ في مكة ، ويقول: يا محمد ، إن عندي (العوذ) فرساً أعلفه في كل يوم أقتلك عليه ، فقال ﷺ : (بل أنا أقتلك إن شاء الله) ، ولما كان يوم أحد أخذ النبي ﷺ حربة وطعنه بها حتى وقع على الأرض مغشياً عليه ، فلحق بزمرة الظالمين والمجرمين ، وإنه الوحيد الذي قتله رسول ﷺ بيده الكريمة ، أما ذلك الشقي المجرم ، عقبة بن أبي مُعيط ، الذي تفنن في إيذاء رسول الله ﷺ وكان يضع سلا الجزور على عنقه الشريفة وهو ساجد خلف المقام ، أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وفي بدر أُخِذَ أسيراً مكبلاً بقوده، وأمر النبي ﷺ بقتله ، فقال: يا محمد، أتقتلني من بين قريش ، قال: نعم ، قال: ومن للصبية ، قال: لهم النار ، ثم قتلوه وذهبوا به إلى مزبلة التاريخ ، مع إخوانه الظالمين والمجرمين ، جزاءً لكفره وعناده ، وعداوته لرسول الله ﷺ .

وفي أُحد برز إلى الساحة أشقى الظالمين عبد الله بن قمئة، الذي رمى رسول الله ﷺ في وجهه وهو يقول: خذها مني وأنا ابن قمئة ، فقال عليه الصلاة والسلام ، وهو يمسح الدم عن وجهه: (أقمأك الله) ولما عاد إلى قومه وأهله ، خرج يتبع غنماً له ، فنطحه تيس من تيوسه الأذكياء ، ولم يزل ينطحه حتى أرداه قتيلاً، وقطَّعه: قطعة ، قطعة ، فأخزاه الله بظلمه، واستجاب دعوة رسوله ﷺ ، ونتيجة لذلك ضاع دمه هدراً بين التيوس ، ولهذا ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (القصص: ٤٠) .

قصص الظالمين المعاصرة :

وأخيراً: لابد أن نستذكر معكم ، بعض قصص الظالمين التي ذكرها بعض الكتاب المعاصرين في هذا الزمان ، والتي منها : قصة ذلك الرجل، الذي كان يعمل صياداً ، فاصطاد يوماً سمكة ....الخ ، ويمكن الرجوع الى الموضوع السابق ، لمعرفة المزيد من القصص المعاصرة ، ونحن بدورنا لم نذكرها في هذا المقام ، خشية الإطالة أو التكرار . وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.



ظالم مشهور

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون: لطالما يتحدث الناس عن الظلم والظالمين ، ويستذكرون من قصصهم في زمن الغابرين ، فيذكرون عتاولة الشر والظلم في العالمين ، كفرعون وهامان وقارون ، وأبي جهل وأميّة بن خلف ومن سار على نهجهم وطريقتهم إلى يوم الدين ، أما اليوم ، فسأحدثكم عن ظالم مشهور بظلمه ، حتى قيل: إنه وحيد عصره ، وفريد زمانه ، وذلك لشدة ظلمه وبغيه على الناس ، بل أصبح اسمه رمزاً للظلم والظالمين ، ذكره الذهبي في السير ، وقال عنه: نبغضه ولا نحبه ، ونعتقد أن بغضه من أوثق عرى الإيمان ، ثم استدرك قائلاً:له حسنات أمثال الجبال ، ولكنها مغمورة في بحار سيئاته، وذكره ابن كثير ، فقال عنه: فلان ابن فلان ، قبحه الله ، هكذا يحكي الناس سيرته وسلوكه ، ولا يتورعون عن ذمه وسبه ، لأنه جنى على نفسه ، بما سلب من أموال ، وبما سفك من دماء، حتى قيل: أنه

كان يظلم الناس ويذبحهم كما يذبح الدجاج ، ولكن ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (إبراهيم:٤٢) لقد أخطأ هذا الظالم درب السالكين ، وظلم نفسه وأمته وإخوانه ، ولكنه لا يستطيع أن يظلم ربه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (البقرة:٥٧)، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾(النحل: ٣٣) سفك هذا الظالم الدماءالزكية، والأنفس البرية ، حجر على العالم علمه ، وعلى المفكر فكره، وعلى الأديب أدبه ، وعلى المبدع إبداعه ، إن الظلمة قد لا يقتلون الأنفس ، وإنما يقتلون المبادئ والطموحات والإبداعات والمواهب ، ولذلك يستحقون أن يعذبهم الله كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾(آل عمران : ٢١) .

قال بعض أهل العلم: يدخل في ذلك ، في العذاب الأليم كل الظالمين، وكل من قتل: رسالة الناس، ودعوة الناس ، وعلم الناس ، وإبداع الناس، وحجر عليهم رسالتهم ، ودعوتهم ، وإبداعهم ، وأفكارهم ، إن هذا الظالم الذي نتحدث عنه اليوم ، قتل كل الأصوات ، إلّا صوتاً واحداً يمدحه ويمجده ويثني عليه ، وقطع الأيادي كلها ، إلّا يداً واحدة تصفق له وتسبح بحمده ليل نهار ، هذه الأمة لم تعرف ظالم مثله ، لأنه قتل العلماء، وعادى الأولياء ، وصاحب السفهاء والأراذل ، مشكلة هذا الظالم ، أنه لا يستمع إلى نصيحة الناصحين ، ولا يقبل دعوة الداعين ، إذًا من هو هذا الظالم الأثيم؟ لعلكم عرفتموه ، أو سمعتم به بين العالَمين، يقول عن نفسه قبل موته بشهر واحد: رأيت في المنام أن الله عذبني بكل نفس قتلتها مرة واحدة، إلّا سعيد بن

جبير ، فقد عذبني به على الصراط سبعين مرة، أتدرون أيها المسلمون ، ماذا فعل هذا الرجل بأمة محمد ﷺ ، قتل منها الآلاف ، وسجن الآلاف، وظلم منها الآلاف ، وأظلمت الدنيا في عهده واسودّت ، يأتيه الشيخ الكبير فلا يوقره، ويأتيه الناصح الأمين فلا يسمع له، إنه الحجاج بن يوسف الثقفي ، أكبر ظالم في الأمة، أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يؤدب هذه الأمة بأمثال هؤلاء الظالمين والمجرمين، بسبب ظلمها وعتوها عن أمر ربها ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾(سبأ :١٧) كان الحجاج يقرأ القرآن، ويتحدث عن العدل والعادلين ، ولكنه مع ذلك ، كان سيفه مُشرعاً في وجه المخالفين له والمعارضين ، كان لا يتورع عن قتل الناس وأخذ حقوقهم، أتى إلى الحرم يوماً يؤدي العمرة ، وكثير من الظلمة اليوم ، يفعلون ما يفعلون، ويرتكبون أبشع الجرائم والمنكرات ، ثم يذهبون إلى مكة ، فيطوفون بالبيت سبعاً ، ويظنون بذلك أنهم رجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم ، أو أن سيئاتهم قد بدّلت إلى حسنات ، كلا ورب الكعبة ، إن هذا لعب بمفهوم الإسلام ، وتصور ساذج رخيص ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المائدة:٢٧) ذهب ذلك الطاغية المجرم ، الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مكة ليؤدي العمرة ، وأخذ معه حراسته الخاصة ، التي تحرسه في الدنيا ولا تحرسه يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾(النحل:١١١) وشاءت إرادة الله أن يلتقي الحجاج مع رجل فقير زاهد من أهل اليمن ، كان يطوف حول البيت الحرام ، وبينما هو كذلك في طوافه ، إذ نشبت حربة من حراب جند الحجاج ، بثوب ذلك الرجل اليماني الفقير ، ثم وقعت على الحجاج ، عند ذلك فزع الحجاج ، وثارت ثائرته ، وبدأ يمارس شيئاً من ظلمه الذي تعود

عليه في حرم الله، فأمسك بذلك الرجل المسكين ، وقال له: من أنت؟ قال: أنا مسلم من أهل اليمن، فقال الحجاج: وكيف تركت أخي عندكم ، وقد كان أخوه محمد بن يوسف الثقفي والياً في بلاد اليمن، وكان غشوماً ظلوماً مثل أخيه الحجاج ، فقال له: كيف تركت أخي عندكم، قال: تركته سميناً بطيناً، يأكل كثيراً ، قال الحجاج: ما أسألك عن صحته ، وإنما أسألك عن عدله ، فقال ذلك الرجل: تركته غشوماً ظلوماً، لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة ، قال الحجاج: أما تدري أنه أخي ، فقال: ومن أنت؟ قال: أنا الحجاج قال ذلك الرجل اليماني الفقير: بئس أنت وبئس أخوك ، يا إلهي هذه كلمة خطيرة بالنسبة للحجاج ، ولكن الله سلّم ذلك الرجل ، وأفلته الحجاج من دون عقاب ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٦٤) وكذلك من ظلمه وجبروته ، أنه كان لا يستطيع أن يسمع لأحد يعارضه أو ينتقده في ظلمه ، لكن الحسن البصري رحمه الله، استطاع أن يعارضه ويُشهّرَ به ، فقال عنه: ذلك الغشوم الظلوم ، يبطش بطش الجبارين ، ويعظ وعظ الأبرار ، ويلبس لباس الفسقة ، حتى خشي عليه أحد السامعين فقال له: حسبك يا أبا سعيد ، فقال: لا ، لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، ولمّا علم الحجاج بذلك، غضب غضباً شديداً ، وأخذته العزة بالإثم ، وأقسم بالله ليقتلنه ، لأنه لا يريد أن يسمع صوتاً غير صوته ، ولا يريد أن يسمع رأياً غير رأيه ، لذلك أرسل إليه يريد أن يقتله أو يتخلص منه ، ولما جاء إليه الحسن ، ووصل إلى قصره ، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اجعل غضب الحجاج عليّ برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، ثم دخل عليه ، فلما رآه الحجاج ، قذف الله الرعب في قلبه ، ولذلك استقبله استقبالاً حسناً ، وأكرمه وطيب لحيته،

ثم خرج من عنده بحفظ الله ورعايته ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٦٤) الحجاج بظلمه وجبروته كان لا يتورع عن قتل العلماء ، وسفك الدماء، ولذلك قتل سعيد بن جبير، ذلك الصوّام القوّام، محدث الإسلام ، وفقيه الأمة، كان الإمام أحمد -رحمه الله- إذا ذكر سعيد بن جبير، بكى وقال: سعيد بن جبير ، قتله الحجاج وما أحد في المسلمين على الدنيا، إلّا وهو بحاجة إلى علمه، لكن الحجاج ، قتله لأنه عارض رأيه ، وقال له: أخطأت وظلمت ، وأسأت ، يا حجاج، فأمر جنوده أن يذهبوا إلى بيته ويأتون به حياً أو ميتاً ، فأخذوه من بيته وقد لبس أكفانه ، وتحنّط بثيابه، ولمّا وصل إلى أظلم رجل في التاريخ ، قال سعيد بن جبير: السلام على من اتبع الهدى، وهي تحية موسى لفرعون، فقال الحجاج: ما اسمك؟ قال: اسمي سعيد بن جبير، قال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير ، قال سعيد: أمي أعلم إذ سمتني سعيد ، فقال الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك ، ثم قال له: ما رأيك فيّ، قال سعيد: ظالم تلقى الله بدماء المسلمين، فقال الحجاج: لماذا لا تضحك كما نضحك؟ قال سعيد: كلما تذكرت يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ذهب الضحك عني، قال الحجاج: لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من الناس فاختر لنفسك، قال سعيد: بل اختر لنفسك أنت ، أيُّ قتلة تشاءها ، فوالله لا تقتلني قتلة، إلا قتلك الله بمثلها يوم القيامة ، فقال الحجاج: أقتلوه ومزقوه ، قال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً ، وما أنا من المشركين ، قال الحجاج: وجهوه إلى غير القبلة ، فقال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله ، قال الحجاج: إطرحوه أرضاً، فقال سعيد : ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ۝٥٥ ﴾ (طه : ٥٥) ثم تبسم سعيد ، فقال

الحجاج: أتضحك؟ ، قال: نعم ، أضحك من حلم الله عليك وجرأتك على الله ، ثم قتله الحجاج وهو يدعوا عليه ، اللهم لا تسلطه على أحد بعدي، فاستجاب الله دعوة عبده المظلوم ، سعيد بن جبير ، وما هي إلّا أيام أو شهور، حتى ظهرت في جسم الحجاج بثرة صغيرة ، فكان يخور منها كما يخور الثور ، ويقول: ما لي وسعيد ، ما لي وسعيد ، ثم يقول: والله ما نمت ليلة إلّا ورأيت كأني أسبح في أنهار من الدماء ، والله لقد رأيت أن الله عذبني بكل نفس قتلتها مرة واحدة ، إلّا سعيد بن جبير، فقد عذبني به سبعين مرة) لقد مات الحجاج ، وذهب أدراج الرياح ، وسوف يجتمعون عليه يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ (النحل: ١١١) يوم أن يقف الحجاج وحيداً فريداً ذليلاً، لا يملك جنوداً ، ولا حرساً، ولا خدماً ، ولا جواسيس ، يوم ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾(البقرة:٢٨١).

إذًا: فليعتبر أولئك الظالمون الذين أمسكوا بزمام الأمور في هذه الأمة، فإنهم والله مسئولون عن تلكم المظالم والجرائم ، التي يرتكبونها في حق شعوبهم وأمتهم ، ولهذا فإن الرسول ﷺ دعى لهم وعليهم ، بقوله: **(اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً ، فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم فارفق به)** وقد بيَّن النبي ﷺ أن من احتجب عن الناس في الدنيا، احتجب الله عنه يوم القيامة ، كما قال ﷺ : **(من ولي شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب عنهم دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله عنه دون حاجته وخلّته وفقره)** .

دروس وعبر من ظلم الحجاج :

ولهذا يجب على هذه الأمة أن تأخذ من سير الظالمين دروسًا وعبر ، لقد كان في قصصهم عبرة وآية ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(يوسف:١١١) ولهذا أبداً ، لم يكن حديثنا عن الظلم والظالمين حديثاً يفترى ، أو حديثًا للتسلية والترفيه ، بل كان حديثاً نافعاً ، وذكرى للبشر ، إن هذا الحديث عن الظلم والظالمين ، يحمل بين طياته كثيراً من الدروس والعبر ، والدرر والحكم ، ولذلك أول درس نستفيده من هذه العبر:

حقيقة الدنيا: وأن فيها غالب ومغلوب ، وظالم ومظلوم ، وكم عاش فيها أولئك الظالمون ، الذين سقطوا فيها ، وماتوا وهم خاسرون ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾(آل عمران :١١٧) لقد رأينا أيها الناس، كثيرًا من الظالمين عاشوا فيها ، لكنهم رسبوا في أول امتحان يمتحنون فيه ، فأحدهم يقول : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ﴾ (المؤمنون:٩٩-١٠٠) ، والآخر ينادي: يا فلان ، إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً ، فأكلت أموال الناس ، وأخذت حقوقهم ، انظروا إلى فرعون، أكبر ظالم في التاريخ ، عندما لعبت به الأمواج ، أخذ يبكي وينادي: من ينقذني بعد قوتي وجبروتي؟ ، فكان الجواب من الله رب العالمين ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

(يونس : ٩٢) .

كذلك من الدروس والعبر التي رويناها لكم في قصص الظالمين:

٢-إن أحدهم في آخر حياته يبكي ويقول: أصابتني دعوة الإمام أحمد ، مالي وللإمام أحمد ، مالي وللإمام أحمد ، ثم يقول: والله لو أن ذباباً وقع على نصف جسمي ، لكأنما وقعت عليه جبال الدنيا ، أما النصف الآخر ، فلو قُرّض بالمقاريض ما أحسست به ، وسمعنا عن ظالم آخر : كان يتعرض للجواري والفتيات في شوارع الكوفة ، ويغمزهن ويقول: شيخ مفتون، أصابتني دعوة سعد ، ولهذا يجب أن ندرس هذه الأمثلة ، بإخراج ما فيها من الفوائد والعبر، لأن الظلم قد انتشر في بلاد المسلمين وديارهم ، واستفحل أمره في واقع الأمة ، وعليه نأمل أن يتدارك المنصفون والعقلاء، هذه الأوضاع المأساوية التي يعيشها المسلمون اليوم من الظلم والبغي والعدوان ، لأن الله عز وجل إذا أخذ العباد بظلمهم فإن أخذه أليم شديد، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (هود : ١٠٢)

كذلك من الدروس والعبر التي تخص حياة الظالمين:

٣- إن ظلم الحكام اليوم أشد من ظلم الحجاج في عصره ، فلو أن الحجاج قتل من العلماء سعيد بن جبير ، فالآن لا يتورعون عن قتلهم وتعذيبهم في سجونهم ، وكم يا لله في سجون الطغاة من مظلومين ، أخذوا من ديارهم وأوطانهم ، ومن بين أطفالهم عنوة ، فلا ندري بأي ذنب أخذوا، إلّا أنهم قالوا: نحن مسلمين ، كان الحجاج ، يقتل الناس ، لكنه كان أميناً على ديارهم وأعراضهم ومقدساتهم ، ولم يتنازل يوماً ما عن شبر واحد من أرض المسلمين ، وقد بلغت الفتوحات في عصره الآفاق ، أما اليوم

فذلة وهوان وحرب على الإسلام ، يستعرضون عضلاتهم وقواتهم في داخل شعوبهم وأمتهم ، وفي المعارك يدسّون أنوفهم في التراب ، أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ، يا ليت شعري: بماذا ينطق الوجه الكئيب ، مقدساتي اليوم في العراق وفي فلسطين ، قد ألغي كرامتها الغريب ، لقد كان الحجاج سفاك سفاح ، لكنه أبداً لم يكن عميلاً أو خائناً لدينه وأمته أو وطنه ، بل كان يحافظ على بلاد المسلمين وأعراضهم ومقدساتهم ، لقد كان الحجاج يسفك الدماء ، لكنه مع ذلك ، لم يكن بينه وبين أعدائه ولاءات أو علاقات مشبوهة ، ولم يشترك معهم في معاهدات أو استسلامات ، بل أعلن ولائه للإسلام ، ديناً وعقيدة ومنهجاً ، فليس بيننا وبينهم ولاءات أو علاقات أو مودات ، لأن المسألة في صميمها مسألة دين وعقيدة ، ولذلك جاء الأمر واضحاً من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ، حيث قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (المائدة: ٥٧).



المؤامرة على الإسلام

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميتِ من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون:

إن دينكم هذا ، دين الإسلام ، الذي أرسى قواعده محمد ﷺ ، يتعرض اليوم لهجمة شرسة من قبل أعداء الإسلام ، وأعداء السلام في العالم الحيران، يريدون أن يذبحوا الإسلام ، ويتعرضوا لأحكامه وآدابه وشبابه ومعتقداته ، ويحملون في نفوسهم حقداً دفيناً على الإسلام وأهله ، ولهذا نسمع منهم تصريحات جوفاء حاقدة على الإسلام ، فيقول ابن غوريون ، رئيس الوزراء الأسبق الإسرائيلي: نحن لا نخشى الثوريّات ولا القوميات، ولا الديمقراطيات ، ولكن نخشى الإسلام ، هذا المارد الذي نام طويلاً ، وبدأ يتململ الآن من جديد ، ويقول شمعون بيريز ، رئيس وزراء أسبق أيضاً لإسرائيل ، يقول: إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في العالم ، ما دام الإسلام شاهراً سيفه ، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه

وإلى الأبد ، ولهذا لمّا عاد الرئيس الأمريكي الأسبق ، نكسون من زيارته لأفغانستان ، سأله الصحفيون: ما هي أخطر المشكلات التي نواجهها الآن؟ فقال: هي الإسلام ، ويقول أحد المستشرقين الذين أعماهم الحقد الأسود: أعتقد أن من الواجب إبادة الخمس من المسلمين، والحكم على الباقين بالأعمال الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع محمد وجثته في متحف اللوفر.

إذاً اليهود والنصارى لم ينسوا ما فعله صلاح الدين بآبائهم وأجدادهم في معركة حطين ، ولهذا لما دخل الجنرال الفرنسي غورو ، إلى دمشق ذهب فوراً إلى قبر صلاح الدين ، وركله بقدمه وقال: ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين ، وكذلك اليهود ، لم ينسوا ما فعله الرسول ﷺ مع آبائهم وأجدادهم في المدينة وخيبر ، ولهذا لمّا دخل اليهود القدس في حرب (٦٧) توجه موشي ديال ، وزير دفاعهم آنذاك ، إلى حائط المبكي ، وأخذ يردد مع اليهود: هذا يوم بيوم خيبر ، وهتفوا بقولهم: حطّوا المشمش على التفاح ، دين محمد قد ولى وراح ، وخلف من بعده البنات ، وكتب أحد العنصريين الغربيين ، مقالاً له في صحيفة شيكاغوا اليومية ، يقول فيه: إن الشيوعية أفضل من الإسلام لأنها في أصلها فكرة غربية يمكن الإلتقاء معها ، أما الإسلام فلا يمكن الإلتقاء معه ولا التفاهم معه إلّا بلغة الحديد والنار .

نتائج الحرب على الإسلام :

ولذلك استخدموا هذا الأسلوب المشين في حربهم مع الإسلام ، واستخدموا الحديد والنار مع المسلمين في كثير من الأحيان ، فقتلوا المئات، وذبحوا المئات ، وانتهكوا أعراض المئات ، ففي الجزائر لوحدها ، يسقط

مليون شهيد ، وفي أفغانستان: قتلوا مليوناً ونصف المليون ، بالإضافة إلى المشردين واللاجئين ، الذين وصلوا إلى أكثر من خمسة ملايين نسمة، وقتلوا في روسيا: ما يقارب عشرون مليوناً ، أما الهندوس: فقتلوا ربع مليون من المسلمين الهنود ، وأجبروا المسلمات في كشمير خلع ثيابهن ، واغتصابهن بالقوة والإكراه .

وفي فلسطين ، ذلك الجرح النازف في جسد الأمة، ما تزال حتى الآن، المجازر الوحشية والبربرية يرتكبها اليهود في أرض الإسراء والمعراج ، أما العراق: فحدث ولا حرج ، يسقط فيه الآلاف من الضحايا ، ويُقاد بعضهم إلى السجون والمعتقلات ، وهناك في الفلبين أكثر من خمسة ملايين مسلم ، يواجهون حرب إبادة في الجنوب ، إذاً الإسلام الآن ، يذبح في كل مكان ، يذبح في فلسطين وفي العراق ، وفي أفغانستان والشيشان ، فأينما نظرت إلى الإسلام في بلد وجدته كالطير مقصوص جناحيه ، الإسلام الآن ، يذبح في مجالات كثيرة وواسعة ، يذبح في مجال الإعلام والتربية والاقتصاد ، ويذبح في مجال السياسة والحكم والاستدلال، يذبح الإسلام بسكين المسلمين وخنجرهم، وهم الذين يتولون ذباحته بأنفسهم وأيديهم، تلبيةً لرغبات أعدائهم من اليهود والنصارى، ومن سار على نهجهم وطريقهم، والحقيقة أني لا أكون مبالغاً إذا قلت: إنه ما من يوم يمر على المسلمين ، إلّا وتسفك فيه دماء ، وتمزق فيه أشلاء ، وتحرق فيه بيوت ومصانع ومدارس ومساجد يذكر فيها اسم الله ، فيا أسفي على المسلمين ، جراح تنزف في كل مكان، وأمهات ثكالى تبكي ليلِ نهار ، ولا مجيب لتلك الآهات والزفرات، التي تخرج من صدورهم حـراً ، أحرُ من الجمـر ، في وقت الشمس اللهيبِ .

حقيقة الصراع :

إذا أيها المسلمون: إن إسلامكم هذا ويتعرض لمؤامرات كثيرة ، ولذلك لم يكتف أعداونا وأعداء الإسلام بهذه المذابح التي ارتكبوها ويرتكبونها ليل نهار ، ولكنهم مع ذلك ، أرادوا أن يزيلوا حقيقة إسلامنا وهويتنا ، وأن يزيلوا علاقتنا بالإسلام ، كما يقول أحد المنصرين ، واسمه ماكس ، يقول: لن تتوقف جهودنا وسعينا في حرب المسلمين وتنصيرهم ، حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ، ويُقامُ قدّاس الأحد في المدينة ، وقد استخدموا في ذلك وسائل شتى ، فمرة بالغزو الفكري ، ومرة بالغزو المباشر إلى بلاد المسلمين ، كما رأينا وسمعنا عن الحملات الصليبية ، التي تمثّلت بالاستعمار والاحتلال لبلاد المسلمين ، كان آخرها الحرب على أفغانستان والعراق ، وانتهاك الأعراض والمقدسات فيها،وما يزال إخوانكم في العراق يموتون من الجوع والقتل والتشريد، وما تزال فلسطين حتى الآن تنتظر صلاح الدين لكي يحررها من اليهود الغاصبين، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد أصبح المسلمون اليوم يعيشون مرحلة تشبه المرحلة المكيّة، نتيجة لما يُمارسُ عليهم من الظلم والقهر والاستبداد ، وسلب الحقوق والأعراض والمقدسات ، ولقد أدرك أعداؤنا ، أعداء الإسلام ، أن قوة المسلمين تكمن في تمسُّكهم بدينهم وإسلاميتهم ، ولهذا عملوا دائماً على إبعادهم عن هذا الدين القويم ، كما يقول أحد كُتَّابهم: لو أن المسلمين عرفوا قيمة الإسلام، لحكموا العالم به إلى أن تقوم الساعة ، وكذلك اليهود يعترفون بهذه الحقيقة ، فيقول أحدهم: يجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة التي بيننا وبينهم ، بمعنى: أنهم لا يريدون أن يقاتلوا المسلمين ، وهم يحملون أفكاراً إسلامية ، أو ينتسبون للإسلام ، ولكنهم يريدون أن

يقاتلوا المسلمين ، وهم يحملون أفكاراً غربية أو علمانية ، لأنهم يعلمون يقيناً أن حربهم مع الإسلام ستكون خاسرة ، ولذلك يحرصون في حروبهم مع الإسلام أن يتركوه بعيداً عن المعركة الفاصلة ، وليس ذلك فحسب ، فهم يقومون بحرب إعلامية على الإسلام ، ويسعون إلى:

١ - **تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم:** فيستهزؤن بالحدود الشرعية ، ويصفونها بأنها بربرية ووحشية ، ويصفون الحجاب الإسلامي بأنه كبتٌ للحقوق والحريات ، ولذلك شنّوا في بلادهم على الحجاب حرباً شعواء، في المدارس والمؤسسات، مستغلين في ذلك وجود المسلمين في بلادهم، وتحت إدارتهم ، وكذلك يعملون على تشويه صورة العلماء والدعاة المسلمين ، وغمزهم بالسخرية والاستهزاء، في كثير من الأحيان، والأفلام والمسلسلات ، ثم بعد ذلك ، يتهمونهم بالتطرف والإرهاب ، وينسبون إليهم كل المصائب والمشاكل التي تحدث في هذا العالم الحيران ، وما ذلك إلّا تشويهاً لسمعتهم ، حتى ينفّروا الناس عنهم وعن علمهم الذي يدينون به ، أيها الإخوة الكرام: إن هناك مؤامرة كبيرة على الإسلام في هدم مبادئه وأخلاقه وأفكاره ومعتقداته التي يستند عليها ، فقد حاولوا أن يضعوا الشبهات في كتاب الله -عز وجل- من ذلك قولهم : (أن القرآن ليس كلام الله،وليس مُنَزّلاً من عند الله ،وإنما جاء به محمد، بأسلوب أدبيّ رفيع) وزعم المستشرقون كما في دائرة المعارف البريطانية: أن القرآن الكريم ، أُلّف بطريقة عشوائية ، وهكذا ينسبون التهم والأكاذيب لكتاب الله عز وجل، يريدون أن ينالوا من القرآن الكريم من خلال الطعن في آياته وأحكامه ، ومن المؤسف جداً ، أن هذه الشبهات ، انطلت على كثير من المسلمين ، ويتلقفها بعض أدعياء الإسلام من المفكرين والمثقفين

والأدباء، الذين صاروا أبواقاً للكفار،والذين انبهروا بحضارتهم، وأخذوا يرددون أقوالهم في كل وقت وحين ، وكذلك من الأساليب الماكرة التي يستخدمها أعداء الإسلام ويروجون لها ، الدعوة إلى وحدة الأديان ، دين الإسلام، ودين اليهود والنصارى ، وغيرها من الأديان ، وكذلك الدعوة إلى بناء المساجد والمعابد والكنائس ، في مجمع واحد ، في رحاب الجامعات والمطارات والحدائق العامة ، والدعوة أيضاً إلى طباعة المصحف الشريف مع التوراة والإنجيل ، في غلاف واحد، والحقيقة أن هذه دعوة ماديّة خطيرة ، يُراد من خلالها ، تشويه صورة الإسلام وجماله، وتفتيتٌ لمبادئه وأخلاقه ، وهدمٌ لأساسه من القواعد، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة ، كما قال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ (النساء:٨٩) ولهذا لمّا طلب كفار قريش ، من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدون إلهه سنة ، أنزل الله هذه السورة ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾(الكافرون) هم يريدون بذلك أن يزعزعوا الإيمان في نفوس المؤمنين ، ولا يريدون حقاً ، أن يتّحدوا مع المسلمين ، ولكنها الحرب والمكيدة ، ولذلك يسعون ليل نهار ، إلى:

٢ـ نشر الفساد والرذيلة بين المسلمين : كما يقول أحدهم: كأس وغانية تفعلان بالأمة المحمدية ما لم يفعله ألف مدفع ودبابة ، ولهذا يعملون على تشجيع وسائل الفساد بين شباب المسلمين ، فيرسلون العاهرات والراقصات إلى بلاد المسلمين ، ويقيمون الحفلات التي يجتمع فيها الرجال والنساء على حد سواء ، وقد تم إرسال مجموعة كبيرة من العاهرات اليهوديات لنشر الفساد والرذيلة ، والدعارة بين المسلمين ، ولنشر الأمراض الجنسية بين

شباب المسلمين، وما هذه الأفلام والمسلسلات، والمناظر المخزية التي تُعرضُ في القنوات، إلّا جزءٌ يسيراً من ذلك المخطط الرهيب، الذي يسعى إليه أولئك المجرمون في حربهم على الإسلام، ولقد تغيّرت الأمور وتغيرت الأحوال نتيجة لذلك الغزو الفكري الذي وجَّهَ ضربةً عنيفةً للإسلام والمسلمين في بلادهم وفي عقر دارهم، ففي نصف قرن من الزمان تغيّرت الأمور وتخرجت أجيال انسلخت من دينها وعقيدتها، كما تنسلخ الشاة من جلدها، وصار التعري في بلاد المسلمين شيئاً عاديّاً ومألوفاً، وصارت العلاقات الحميمة بين الجنسين، أمراً طبيعياً، في العائلات والمجتمعات، وتفككت الأسر ، ولم يعد لربها سلطان عليها، وصار للأولاد والبنات شأنهم الخاص ، الذي لا يمكن للوالدين أن يتدخلا فيه ، وأصبح الدين عموماً جامداً في حياة الناس ، لا دخل له في شؤونهم ، وتصريف أمورهم، والحقيقة أن هذه الأمراض التي أصابت هذه الأمة ، هي ذلك السلاح الأقوى ، الذي استخدمه أعداء الإسلام في غزوهم لبلاد المسلمين ، وتغيير أفكارهم ومعتقداتهم ، والله المستعان .

تاريخ الحرب على الإسلام :

ولقد تعرض المسلمون على مر التاريخ لكثير من الحروب والحملات الصليبية الماكرة ، بل قامت تلك المؤامرات على الإسلام منذ الوهلة الأولى، لبزوغ فجره ، وإشراق شمسه ، في الجزيرة وما حولها ، والذي تولى كبره آنذاك ، وحمل مسئوليتها في أول الأمر ، هي قريش نفسُهَا ومن لحق بها ، من قبائل العرب وبطونها ، فأرادوا أن يسحقوا الإسلام من جذوره ، في بدر وأحد ، ولكن الله -عز وجل - سلَّمَ ، وردَّ كيدهم إلى نحورهم ، ثم تولى بعد ذلك اليهود معالم تلك الحرب الجائرة على الإسلام والمسلمين،

في المدينة وما حولها ، حقداً وحسداً من عند أنفسهم، فاستخدموا لذلك الأساليب الماكرة ، التي عرفوا بها ، وزرعوا الفتن والقلاقل بين المسلمين، ثم أرادوا أن يصيبوا الإسلام بمقتل ، وأن يباغتوا المسلمين بفاجعة أليمة، عندما وضعوا مؤامرة لقتل الرسول ﷺ في بني قريظة ، لكن الله عز وجل حفظ دينه ورسوله ﷺ بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٤) ثم توالت بعد ذلك الحروب والأحقاد على الإسلام والمسلمين ، فغزا التتار بلاد العراق والشام وقتلوا من قتلوا فيها ، من الأطفال والشيوخ والنساء ، حتى قيل: إن سكك بغداد ، جرت بالدماء ، وأسر من بيت الخلافة ما يقارب ألف امرأة من الأبكار ، ثم توالت الحروب على الإسلام ، وأتى من بعدهم الصليبيون بحملاتهم ، وقتلوا آلآفاً من المسلمين في فلسطين، واستحلوا المسجد الأقصى ما يقارب تسعين عاماً ، وجعلوه اسطبلاً لخيولهم ، ومربضاً لدوابهم وبهائمهم ، وهكذا ما تزال الحروب حتى الآن تتوالى على الإسلام والمسلمين في شتى البقاع ومختلف الأصقاع ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: متى يعي المسلمون هذه المخططات والمؤامرات؟ ويعودون إلى دينهم وإسلاميّتهم، فإن اليهود والصليبيين يحيطون بهم من كل مكان ، ومتى يدرك حكام المسلمين أن اليهود والنصارى لن يرحموا شيخاً كبيراً ، ولا طفلاً صغيراً، ولا حاكماً ولا محكوماً ، لأنهم لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة ، ولهذا ندعو المسلمين وحكامهم ، أن يتحرروا من هذه القيود ، وهذه التبعيّة لأعدائهم، ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ (النساء:١٣٩) اليوم ، إذا سألناهم: لماذا هذا التساقط ، وهذا الانبطاح أمام الكفار ، بهذه الصورة الرخيصة الدنيئة؟ سيقولون: ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ (المائدة:٥٢)

نخشى ونخاف من الكفار ، نخشى ونخاف من الأمريكان وحلفائهم ، لذلك يقول الله عنهم: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾(المائدة:٥٢) .

لقد أثبت هؤلاء المنبطحين لأعدائهم ، أنهم سبباً في ذل المسلمين وهوانهم، مع أن الله -عز وجل- قد حذرهم من ذلك في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(المائدة:٥١) لقد أذلوا المسلمين بهذه العمالات وهذه الخيانات ، ولكن نحن على ثقة كاملة بأن الله -سبحانه وتعالى- سينصر عباده المؤمنين والمستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها ، تحقيقاً لوعد الله القائل﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾(القصص:٥)وعليه يجب قبل ذلك أن تعلموا أيها المؤمنون أن الإسلام قادم ، وأن النصر الموعود آت بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(الحج :٤٠- ٤١) .



أمة الإسلام

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى قد اختار هذه الأمة من بين سائر الأمم ، وجعل فيها الخير والرحمة إلى يوم الدين ، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٤) ، فهذه الأمة تحمل رسالة ذو شقين :

الشق الأول: موجه للذين آمنوا واتبعوا النور الذي جاء به محمد ﷺ .

أما الشق الثاني: فهو موجه لأولئك الكافرين والمعرضين ، والذين اتخذوا المواقف السلبية من هذه الدعوة المباركة، لقد أقام النبي ﷺ للإسلام دولته في المدينة ، في وسط جاهلية عمياء ، وطبع آلآف النسخ لتربية الأجيال ، تربية منهجيّة عقائديّة ، ولم يطبعها بحبر على ورق ، وإنما طبعها بمداد من

نور ودماء تفور، ولكن ويا للأسف فإن هذه الأمة اليوم ، تمر بظروف شديدة وصعبة، وربما لم تصل إليها من قبل، ولذلك فإن المهمة اليوم على هذه الأمة، مهمة أكبر وأخطر بكثير من مهمتها في الظروف السابقة ، لأن المسألة في صميمها لم تعدْ مجرد التذكير بهذا الواقع الأليم ، ولكنها أوشكت: أن يكون فيها إعادة البناء من الأساس الذي تهاوت دعائمه، وانهارت قواعده ، في الوقت الذي تداعت علينا الأمم من كل حدب وصوب ، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ بقوله: (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**) وإذا درسنا أحوال أمتنا اليوم كما ينبغي ويجب، فسنجد أنها وقعت في مأزق كبير، حيث وقع فيها انحرافات كثيرة خلال الأربعة عشر قرناً الماضية ، فظلت هذه الأحوال السيئة ، تُبْعِدُ الناس رويداً رويداً عن حقيقة الإسلام،حتى صرنا إلى غربة الإسلام الثانية التي أخبرنا عنها الرسول ﷺ بقوله:(**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**) ففي نصف قرن واحد من الزمان ، تغيرت الأمور تغيراً مريعاً ، حتى لكأنما ذهبت أمة وجاءت من بعدها أمة أخرى لا صلة بينها وبين ماضيها إلّا تشابه الأسماء، ولذلك سرى الفساد في هذه الأمة، كسريان السم في البدن الملدوغ ، ثم بعد ذلك عملت مناهج التعليم ووسائل الإعلام على تعميق ذلك الانحراف في بلاد المسلمين وترسيخه في حياتهم، لقد أثرت عواملَ كثيرةٍ على هذه الأمة، أولها: الفكر الإرجائي الذي عرَّف الإيمان: بأنه قول بلا عمل،وزعم أن الإيمان في القلب وحده،وأن من قال:لا إله إلّا الله ، فهو مؤمن ، ولو لم يعمل عملاً واحداً في الإسلام، وكذلك الفكر المتصوف والمتشيّع، الذي حول الإسلام إلى سبحات روحانية، وأوراد وأذكار بدعيّة وهيام وخيال لا صلة له بواقع الأمة، وكان الاستبداد السياسي منذ بني

أمية حتى اليوم قد صرف الناس عن الاشتغال بالأمور العامة للأمة ، ووجههم إلى الاهتمام ، بشؤونهم الخاصة ، وتحوّل التوكل إلى تواكل دون الأخذ بالأسباب ، وتحولت عقيدة القضاء والقدر إلى تخاذل وتقاعس، بعد أن كانت عقيدة جرأة وإقدام ، حتى أن مفهوم: لا إله إلّا الله أصابه إنحسار شديد وتهميش كبير ، فقد أصبحت هذه الكلمة مجرد كلمة تقال أو علامة أو شعار ، بل صارت حقيقتها مجهولة عند كثير من المسلمين ، إنها الأوضاع السيئة التي تمر بها أمتنا اليوم في مشارق الأرض ومغاربها ، فإذا نظرت إلى السلوك والأخلاق وجدت هذه الأمة ، قد انخرطت في سلوك غيرها من الأمم الكافرة ، وعليه فلا ترى إلّا عجباً ، وقد تمثل أبناؤها بأبناء اليهود والصليب ، كما جاء في الحديث ، قوله -عليه الصلاة والسلام-: **(لتتبعن سُنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)** كذلك أيها المؤمنون: لو نظرتم إلى التشريع والحاكميّة في هذه الأمة لوجدتم بوناً شاسعاً ، وفرقاً واسعاً ، فقد أصبحو الآن يتحاكمون إلى الجاهلية العمياء المعاصرة ، ويعبدون آلهة شتى ، فالمصلحة أصبحت إله ، والتقدم إله ، والعمل آله ، والعلمانية إله ، والحرية إله ، والديمقراطية إله ،وآلهة تعبد من دون الله ، والله عز وجل يقول: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(المائدة : ٥٠) لقد كان الإنسان في الجاهلية الأولى ، أفضل حالاً وأحسن أخلاقاً من الجاهليّة المعاصرة ، لأن الإنسان اليوم ، فَقَدَ كل شيء من القيم والأخلاق والمبادئ ، التي كانت سائدة يوم ذاك ، وأصبح الآن يركض وراء الشهوة والمادة ، ويقترف كل المنكرات ، باسم الحضارة والحرية ، وما علموا أنها الحياة الدنيّة التي فتن بها أصحاب الجاهليّات السابقة والحديثة ، كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الروم:٧) ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى، قد حمّل هذه الأمة أمانة لم تحملها أمة سابقة من الأمم حين كرّمها بأن جعلها تحمل الخيريّة إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(آل عمران:١١٠) وقال تعالى في آية أخرى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(البقرة:١٤٣) ولكن هذه الأمة غفلت حيناً من الدهر عن هذه الغاية التي خلقت لها، ونسيتْ رسالتها العالمية إلى كل العالمين، وأنها يجب: أن تخاطب الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾(الأنبياء:١٠٧) وكذلك يجب على هذه الأمة أن تقضي على كل الأعراف والتقاليد الجاهلية، وأن تتغلغل في أوساط المجتمعات والقوميّات والعرقيّات التي تنبذ الإسلام أو تعاديه، ولكن أقول: بصراحة ومرارة، أن هذه الأمة، أصبحت الآن عاجزة عن حماية نفسها، فضلاً عن تهديد غيرها من الأمم الكافرة، وذلك لأن الذين سادوا فيها واستأثروا بقيادتها، هم السبَبْ في ذلها وانتكاساتها، وهم السبَبْ في تلك المؤامرات التي تحاك ضدّها، إن المصيبة الكبرى لأمتنا أن يتولى فيها أولئك الرعاع والملوثين من أبنائها، الذين وصفهم الرسول ﷺ بقوله (وينطق فيها الرويبضة، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: السفية يتكلم في أمر العامة) والحقيقة أن الأمة اليوم تعاني من هؤلاء الروابض، الذي مَسَخوا هويّتها، والذين ينخرون في جسدها، تحت شعارات كاذبة، ومسمّيات وانتصارات واهية أوهى من بيوت العنكبوت، ولهذا لا نستغرب عندما نشاهد أولئك السفهاء والروابض الذين لا خلاق لهم عند الله، يخرجون في وسائل الإعلام ويتحدثون عن قضايا الأمة المصيريّة،

وقد يكون أولئك المتحدثون عن هذه القضايا ، من أجهل الناس، وأجهل من حمار أهله ، ولكن وسائل الإعلام اليوم أصبحت تُلَمِّعهمْ ، وترفع من قدر التافهين والضائعين والمائعين ، وتصل بهم إلى عنان السماء ، بينما تَخْفض من قدر العلماء والعظماء ، الذين قدّموا التضحيات في سبيل الله، وعُرفوا بولائهم لدينهم وأمتهم ، أما أولئك الروابض الذين يحاربون الإسلام فليس لهم تاريخاً بيننا وبين أمتنا ، حتى لو وصلت مناخيرهم إلى السماء ، أو وُضعت عليهم كل مساحيق التجميل في العالم ، لذلك لا نستغرب عندما نشاهد أولئك الروابض ، يتعالون بأصواتهم ويكابرون ، فيخرج أحدهم في وسائل الإعلام ، ويقولون له: كيف شققت طريقك في الحياة؟ فيقول: بدأت من الصفر ، وهو ما يزال تحت الصفر ، أو أسفل منه بقليل ، أو في أسفل السافلين ، ولكنها الحماقة والخيانة للأمة، وعلينا أن نسأل: ماذا قدم هؤلاء المذبذبين لدينهم وأمتهم؟ ألم يكونوا أذناباً وأذيالاً لأعدائهم من اليهود والنصارى ألم يتنازلوا عن حقوق إخوانهم في فلسطين وفي العراق وفي سائر بقاع المسلمين ، ألم نشاهدهم يركعون أمام البيت الأبيض والأسود ويتسابقون إليه في ذلة وهوان وخسّة وعار، ألم يتنازلوا عن دينهم وأمتهم ، من أجل ثمن رخيص، وفتات يسير وعرض من الدنيا قليل، ألم يسمعوا صرخات إخوانهم في فلسطين، ونداءتهم في أرض الرافدين، ألم يسمعوا تلك الأمهات الثكالى، اللاتي يبكين دماً ودموعاً؟! ، ألم يسمعوا تلك الاستغاثات من النساء المغتصبات؟! أقول : كلا ، إنهم يسمعون ويشاهدون ما يحدث لإخوانهم وأمتهم ، ولكنهم يتخاذلون عن واجبهم، ولا شك ولا ريب أنهم بذلك يظلمون أنفسهم قبل غيرهم ويظلمون الأمة بأسرها ، بل كانوا سبباً في

ذل المسلمين وتركيعهم وإذلالهم ، وقد أثبتوا دائماً أنهم يقفون صفاً واحداً مع أعدائهم من اليهود والنصارى،والله -عز وجل-قد حذر من ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(المائدة: ٥١) لقد أذلونا بهذه العمالات وهذه الخيانات ، وأذلوا الأمة بأسرها ، لقد أصيبت هذه الأمة في دينها وعقيدتها، وسُلبت كرامتها ، واحتُلّتْ أرضها ، وسُفكت دماؤها، ونحن مع ذلك ، ما زلنا نأمل خيراً بأعدائنا ، ونستجيب لهم ولآرائهم ومخططاتهم التي فرضوها علينا وعلى أمتنا ، ونحن مع ذلك نملك قوةً جبارة لا يستهان بها ، نملك الإيمان والعقيدة ، التي حارب بها رسول الله ﷺ في مكة والمدينة ، فيخرج من هذه الأمة الوليدة أبطال الإسلام وحماة الدين والعقيدة فيأتي محمد ﷺ ليخرج لنا من الأمة العربيّة البائسة أمة خالدة ماجدة رائدة ، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾(الجمعة :٢) فنحن أمة لا تعرف الذل والهوان ، ولا تعرف الضيم والخنوع ، يسمع المعتصم بالله، نداء امرأة عجوز احتمت بالإسلام ، فيلبي النداء من بغداد ،عاصمة الشموخ والإباء ومهد التاريخ والحضارات، فيأتي إليه المنجمون، ويقولون له: لا تغزو الروم في هذه الأيام ، لأن برج الذنب لم يستكمل دورته الآن، فيقول لهم: آمنت بالله وكفرت بكم وأعمالكم الباطلة ، والله لأغزونّ الروم هذا اليوم ، وتحرك بتسعين ألفٍ من جيش المسلمين لنصرة امرأة عجوز احتمت بالإسلام أما اليوم فمئات المسلمات من فتياتنا العفيفات في فلسطين وفي العراق ، وفي غيرها من بقاع المسلمين يستغثنَ بحكام المسلمين ، ولا يجدنَ حاكماً

مسلماً أو زعيماً عربياً ، عنده نخوة من العروبة أو الإسلام يستجيب لتلك الآهات والزفرات ، فهناك سبايا ، وهناك ثكالى ، وهناك مغتصبات :

تبيت أخيّتي كريمة وتصحوا ∴ وقد ألغى كرامتها الغريب
تخبئ وجهها يا ليت شعري ∴ بماذا ينطق الوجه الكئيب
يموت الطفل في أحضان أم ∴ تهدهده وقد جفّ الحليب

واه على أمة الإسلام التي أضاعت عزّها ومجدها وكرامتها ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل:١١٢) .

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: إن أمتكم هذه أمة الإسلام أُصيبت بداء الأمم الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله **(يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا: أومن قلّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا ، أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم ، ويصيبكم الوهن ، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)** إنه الوهن الذي أصاب هذه الأمة بالذّلة والمهانة ، فقد أصبحت هذه الأمة، تعيش لشهواتها ونزواتها الرخيصة ، ونسيت قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾(النساء:٧٧) .

وعليه فإن هذه الأمة لن تعود إلى عزّتها وكرامتها ، ما لم تتخلص من شهواتها ونزواتها ، وإلّا فإنها ستعيش حياة الذل والهوان ، وستُضربُ في كل مرة من قبل أعدائها ، كما رأينا ذلك في فلسطين ، يوم أن دخلت هذه الأمة بدون هويتها الإسلامية ، فساقها اليهود كما تساق النعاج في حديقة

الحيوان، وساقوا كتائبها الذليلة الحقيرة ، وأعلنوا إفلاسهم وخسارتهم مع اليهود ، دخلوا إلى فلسطين في حرب سبع وستين ، تحت شعارات جاهلية عمياء، وتصريحات كاذبة جوفاء ، لقد أوصلوا الأمة إلى ذل وهوان لم يشهد التاريخ مثيلاً له ، بعد أن كانت أمة ظاهرة قاهرة، تأبى أن تُذل أو تُهان ، ولكن هؤلاء المذبذبين في دينهم وعقيدتهم قد وضعوا لأنفسهم أن يكونوا في صف أعدائهم ، من اليهود والنصارى، وتحالفوا مع الشيطان في حربهم على أمة الإسلام ، ولهذا لا نستغرب أن نشاهد من أبنائنا وحكامنا من يقف في صف أعدائنا ويتنازل عن حقوق أمتنا المسلوبة، فتراهم يركضون ويتسابقون إليهم وإلى طاعتهم وإلى تحقيق مطالبهم، والله -عز وجل- يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة: ٥١).

إذاً أيها المؤمنون: إن هذه الأمة ، تمر بويلات ومؤامرات ، ولكن مع ذلك، كلنا ثقة أن البناء سيعود بإذن الله ، وسيعود شامخاً كما كان ، والمبشرات كلها تشير إلى جولة جديدة للإسلام ، ممكّنة في الأرض على الرغم من كل الحروب التي تشنها الجاهلية في الأرض على إسلامنا وهويتنا، ولكنها مهمة شاقة في الغربة الثانية التي بينها الرسول ﷺ بقوله: **(بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء)** إنها مهمة تحتاج إلى جهد فائق وبصيرة نافذة ، وعدم الاستعجال في تحقيق النصر لهذه الأمة ، لأن الرسول ﷺ عندما بدأ دعوته في مكة لم يستعجل ، ولم يطلب تحقيق النصر المباشر دون الأخذ بالأسباب ، وإنما استمر في دعوته في مكة ثلاثة عشر عاماً ، وعمل:

أولاً: على تربية جيله الأول ، وتصحيح مفهوم لا إله إلّا الله ، وعمل.

ثانياً: على تأسيس القاعدة الصلبة التي يقوم عليها أساس البناء ، ولو أن الرسول ﷺ استعجل النتيجة ، ودخل في معركة غير متكافئة مع قريش لتأخر الأمر كثيراً ، ولكن الرسول ﷺ جرّد قلبه أولاً من رغبة التمكين ، وجنّد نفسه لمهمة البلاغ ، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾(الرعد :٤٠) فقد كانت الآيات في أول الأمـر تَنْزِل وتحثه على الصبر وعدم الاستعجال ، وتنهاه عن التحرُّش بالكافرين ، كما في قوله تعالى : ﴿ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(النساء:٧٧) أي أن هذه مهمتكم أولاً ، أن تربوا الأجيـال ، وأن توضّحوا للناس حقيقـة لا إله إلّا الله ، ثم بعد ذلك يأتيكم النصر من عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(الحج :٣٩) لقد كانت هذه الآية في مكة﴿ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾هي سرُّ الموقف كله ، وهي التي أتاحت الفرصة لقضية: لا إله إلّا الله أن تتغلغل في القلوب والعقول ، وأن تجدَ أنصاراً وأتباعاً يموتون من أجلها ويضحون في سبيل الله ، ولهذا لمّا علم الله ما في قلوبهم ، وصدقَ نيّاتهم ، وأنهم متجردون لله مكّنَ لهم في الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾(القصص :٥).



عوامل النصر

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أما بعد أيها المسلمون:

إن الدلائل والبشائر من نصوص الكتاب والسُّنَّة ، ومن واقع الأمة تشير إلى أن الإسلام ينتصر ، وأن الإسلام قادم لا محالة ، وأن النصر الموعود آت بإذن الله ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

[الحج: ٤٠-٤١].

وهذا وعد من الله ، والله لا يخلف الميعاد ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج: ٣٩] الله قادرٌ أن ينصرهم على أعدائهم ، قادرٌ أن يمكن لهم في الأرض ، قادرٌ على أن ينكّل بأعدائهم ، ويسقط طائراتهم ، ويغرق سفنهم ، وأن يمكّن لهم كما

مكّن لبني إسرائيل من فرعون، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص:٥ - ٦] إن الذي أرسل موسى هو الذي أرسل محمدًا ﷺ، والذي نصر بني إسرائيل هو الذي سينصر هذه الأمة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم:٤٧] وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[محمد:٧] والذي يجب أن يترسخ في عقول المسلمين وأذهانهم أن أولياء الرحمن هم المنصورون دائماً على أولياء الشيطان قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء:٧٦].

ولقد سجل تاريخ الإسلام الكثير من الانتصارات التي حققها المسلمون على أعدائهم من اليهود والنصارى والصليبيين و الباطنيين، الذين دنسوا أرض الإسلام بغزواتهم وهجماتهم العدائية ضد الإسلام، ولكن هذا النصر لن يأتي للمسلمين إلّا بعد استفراغ الجهد وبذل التضحيات، فالنصر الرخيص لا يحقق شيئاً، وإن جاء لا يدوم، ولكن هناك سؤال آخر يسري في نفوس كثير من المسلمين: كيف ينتصر الإسلام والقوة والمال والسلاح بأيدي الكافرين المتربصين ؟، وكيف ينتصر المسلمون وقد انهزموا في معركتهم أمام حفنة قليلة من اليهود؟ ومن يتأمل أحوال المسلمين اليوم يجد أن أصحاب النفوس الضعيفة والإيمان الضعيف يشاهدون أن ما وعد الله به المؤمنين في الدنيا غير متحقق لهم، وما ذلك إلّا لضعف إيمانهم وهشاشته، والحقيقة أن هذا منطق المنهزمين الذين غاب عن وعيهم روح

الإيمان وروح الجهاد في سبيل الله، ويجهلون النواميس الكونية التي ركّبها الله في حياة البشر، ويجهلون أن الأيام دول، يوم لك ويوم عليك ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٤٠] وهذا الشعور الغريب بالإنهزامية مخالف لما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ومن هنا كان لزاماً علينا أن نخاطب هذه الفئة المتشائمة المنهزمة ونقول لها: إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن المستقبل لهذا الدين﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج :٤٠]

وعود القرآن بالنصر:

الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين في الدنيا بوعود كثيرة ، منها أولاً:

١ـ النصر على أعدائهم:قال تعالى:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم:٤٧].

٢ـ وعدهم بالدفاع عنهم : قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨] .

٣ـ كذلك وعدهم بالولاية لهم : فقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٧].

٤ـ كذلك وعدهم بالهداية لهم : حيث قال سبحانه وتعالى:﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج :٥٤].

٥ـ وعدهم بعدم تسليط الكافرين عليهم:﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [النساء :١٤١] .

٦ـ وعدهم بالرزق الحلال الطيب: حيث قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[الأعراف:٩٦].

٧ـ وعدهم بالعزة والتمكين: حيث قال: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون : ٨].

٨ـ وعدهم بالحياة الطيبة: قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[النحل/ ٩٧] أما الدار الآخرة: فوعدهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف : ١٠٧- ١٠٨]

وعود السُّنَّة بالنصر :

وهكذا ترد الوعود في الكتاب والسُنَّة ، وعلى لسان رسول الأمة ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى ، فيقول وبثقة المؤمن: (**بشر هذه الأمة بالسناء والنصر والتمكين ، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، فماله في الآخرة من نصيب**) أخرجه وصححه الألباني، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سُئِلَ: أي المدينتين تفتح أولاً ، أقسطنطينة، أم رومية ، فقال -عليه الصلاة والسلام - : (**مدينة هرقل تفتح أولاً**) يعني: القسطنطينية ، رواه أحمد والحاكم وحسنه المقدسي ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق ، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافّوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا ، نقاتلهم ، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث المسلمين لا يتوب الله عليهم أبداً ،**

ويُقْتَلُ ثلثهم ، وهم أفضل الشهداء عند الله ، ويَفْتَحُ الثلث الآخر ، فلا يفتنوا أبداً ، ثم يفتحون القسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان ، إن الدجال قد خرج في أهاليكم، فيرجعون إلى الشام ، وبينما هم يعدون العدة لقتال الدجال ، ويُسوون صفوفهم ، إذ تقام فيهم الصلاة، فينزل عيسى بن مريم عليه السلام ، ويؤمهم للصلاة ، فإذا رآه عدو الله الدجال، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فيتبعه ويقتله بيده، حتى يريهم دمه في حربته) أخرجه مسلم.

عوامل النصر:

إن هذه المبشرات لكم أيها المسلمون ،ولكن يجب قبل ذلك أن تعلموا أن النصر لا يأتي لهذه الأمة إلّا بالصبر والتضحيات من أجل لا إله إلّا الله، وأن نموت في سبيل الله،ونَحْسِبُ لهذه الأحداث التي تمر بأمة الإسلام اليوم ، إلّا كما يَحْسِبُ لها الذين آمنوا ولبسوا أكفانهم في بدر وأحد وحطين ، والله يقول: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾[آل عمران:١٤٠] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء:١٠٤] فالمسلم يموت، والكافر يموت ، ولكن المسلم ترتفع روحه إلى الحي القيوم ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

[الفجر:٢٧ - ٣٠] .

نريد أن نخبر الناس في هذه الفترة الحرجة أن أبناء الإسلام،أبناء الذين أتوا إلى معركة بدر وأحد ، وأبناء خالد ، وأبناء عقبة بن نافع،الذي وقف في صحراء أفريقيا في الغابة،وقال:أيتها الوحوش والحشرات، ادخلي جُحُورَكِ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ جاؤوا لفتح الدنيا بلا إله إلّا

الله، فلماذا نخاف الموت ، والله يقول : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [التوبة:٥٢]، ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٩] إذا لماذا الخوف والجبن والخور ؟.

يقول أحد الشجعان المسلمين في إحدي المعارك: لترمي بي المنايا حيث شاءت ، إذا لم ترمي بي في الحفرتين ، يقول: أقدم نفسي وجمجمتي ، ولكن لترتفع لا إله إلا الله ، ويقول الطنماح بن حكيم رضي الله عنه ، وهو أحد الصحابة ، يبتهل إلى الله ، ويقول:

أيا ربي لا تجعل وفاتي إن أتت ∴ على شرجع يعلو بحسن المطارف

ولكن شهيداً زاوياً في ∴ عصابة إذا فارقوا أوطانهم

فارقوا الدنيا وساروا ∴ إلى موعود ما في الصحائف

يقول: يا رب ، لا تجعلني أموت في المستشفى ، في غرفة الباطنية ، ولا في غرفة العمليات ، ولكن اجعلني أموت شهيداً في سبيل الله ، في أرض المعركة ، ففي الأمة اليوم ، من مات من كثرة المأكولات والمشروبات ، وأصبح عندنا شهداء البطون ، وشهداء الفنون ، حتى أن أحدهم يموت وهو على مسرح يغني في ليلة حمراء ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

وبهذه المعوقات ، لا يمكن أن يتحقق النصر لهذه الأمة إلّا بالجهاد والتضحية:

١ـ والشهادة في سبيل الله: وتسليم النفس لمن خلقها وأبدعها، وهي وديعة عندك ، تتحرك لحظة الصفر ، لتقدمها لمن أوجدها ، والله يقول في صك

المعاهدة الذي وقّع عليه أهل بدر وأُحد، وأهل الأحزاب والقادسية واليرموك ، يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة :١١١] وفي صحيح البخاري أن رسول الهدى -عليه الصلاة والسلام- يقول: (**والذي نفسي بيده، لوددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيي ، ثم أقتل ، ثم أحيي ، ثم أقتل ، ثم أحيي ، ثم أقتل**) لذلك قاد أمة -عليه الصلاة والسلام - وفتح مستعمرات وقلاع وحصون ، وخطب أصحابه على منابر الأندلس ، وصلّوا في بلاد السند والهند ، وذهبوا إلى بخارى ، يفرّ أصحابه يوم حُنين ، فيستل سيفه ، وينزل من على بغلته ويقول: «**أنا النبي فلا كذب ، أنا ابن عبد المطلب**» فيحيه أحد شعراء العروبة رغم قوميته ، لكنه هزته شجاعة الرسول ﷺ فيقول:

أنت الشجاع إذا لقيت كتيبة ∴ أدّبت في هول الردى أبطالها
وإذا وعظت وفيّت فيما قلته ∴ لا من يكذب أقوالها أفعالها

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو من أشجع الناس ، يقول: كنا إذا اشتد بنا البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ ، فكان أقربنا من العدو ، أو الحرب ، ولذلك تربّت الأمة على الشجاعة والإقدام ، وعلى البذل والتضحيات ، ووصلت كتائبه إلى نهر دجلة والفرات والنيل ، لتفتح الدنيا بلا إله إلّا الله ، فمتى كانت هذه الأمة ، أمة ساقطة ، ومتى كانت أمة تخاف الموت ، ومتى كانت أمة ترضى الدنيّة في دينها ، إلّا عندما تنازلت عن الموت في سبيل الله ، والاستشهاد من أجل لا إله إلّا الله ،

خرج ابن رواحة رضي الله عنه من مسجده -عليه الصلاة والسلام - يقاتل في مُؤتة ، فقال الصحابة رضي الله عنهم : تعود يا ابن رواحة إلينا بالسلامة ، قال: لا، ما يريد السلامة ، وكأنه ما خلق إلّا ليقتل ، ولكن في سبيل الله ، أبناء شامير وجولد مائير يُقتلون في سيناء المصرية من أجل أن ترتفع رايات اليهود، وأبناء النصارى يقتلون في كل مكان من أجل أن يرتفع الصليب، و البلاشفة الحمر يقتلون في أفغانستان من أجل أن ترتفع رايات لينين واستالين ، وأنتم يا أحفاد صلاح الدين ، وطارق بن زياد ، لا تقاتلون من أجل أن ترتفع لا إله إلّا الله ، أما يقتل الناس عندنا من حوادث السيارات والطائرات أما سمعنا أن بعض الناس أكل عصيدة حارة ، فتفجّرت في بطنه فمات أو نشب عظم في حلقه فمات ، أما سمعنا أن بعض الفاسقين والفاسدين انزلق من المسرح وهو يؤدي أغنية ماجنة تضل الأمة ، فوقع على أم رأسه فمات ؟! .

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ∴ فلا رجعت ولا رجع الحمار

سعد بن الربيع رضي الله عنه ودمه يدفدف في المعركة ، فيقال له: ماذا تريد يا سعد؟ فيقول: أبلغ رسول الهدى مني خير سلامي وقل له: جزاك الله خير ما جُزى نبياً عن أمته ، والذي نفسي بيده لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.

٢- إعداد القوة: إذًا أيها المؤمنون ، النصر لن يأتي بكلام ولا بقرارات ، ولا بمؤتمرات ولا قِمَمْ ، إنما يأتي بأفعال وأعمال ، أولها: الجهاد في سبيل الله ورفع راية الإسلام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ۝٤ ﴾ مِثْل صفوفهم في الصلاة ، يقول إقبال:

نحن الذين إذا دعو لصلاتهم ∴ والحرب تسقي الأرض جاماً أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا ∴ في مسمع الروح الأمين فكبرا

يقول: نحن الذين إذا بدأنا المعركة ، وبدأت الرؤوس تطير ، والدماء تسيل ، وأذن المؤذن للصلاة ، أوقفنا المعركة واستقبلنا الحجاز ، يعني: الكعبة ، وهذه صلاة الخوف التي في البخاري ومسلم ، ولكن الأمة يوم أن خانت حي على الصلاة ، خانت حي على الفلاح ، خانت حي على الكفاح ، حي على الجهاد ، وما استطاعت أن تصمد أمام إسرائيل ، وَمَنْ وراء إسرائيل ، نقول: ليس لنا أطماع في بلاد الكفار ، كيف ذلك وإسرائيل تسكن بيت المقدس ، ويقتلون أبناءنا وإخواننا في فلسطين ، نعم ، لنا أطماع أن نخرجهم من ديارنا تماماً ، وأن نملأ أفواههم تراباً ، فلا بقاء لكافرين في الأرض ، مادام هناك لا إله إلّا الله.

ثالثاً من عوامل النصر :

٣ـ القتال لتكون كلمة الله هي العُليا: نحن حقيقة لا نريد أن نقاتل من أجل وطنية ، ولا من أجل قومية ، فكل أرض يذكر فيها اسم الله ، فهي وطني:

وأينما ذكر اسم الله في بلد عددت ∴ ذاك الحمى من صلب أوطاني

لم يكن لنا حدود يوم ملكنا الدنيا ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة، يحكم اثنتين وعشرين دولة، وكان هارون الرشيد ، يحكم ثلاثة أرباع آسيا، وكان المعتصم بالله ، يهدد حدود بلغاريا الآن ، وكان عمر بن عبد العزيز

يطمح أن يفتح ما وراء سيحون وجيحون ، أما هؤلاء الحشرات فهم يخافون ويرجفون من أمريكا وحليفتها إسرائيل ، ويقولون: دعوا فلسطين للفلسطينيين ، فنحن لا نقاتل من أجل أمتار من الأرض ، ولا من أجل سيارة ، ولا من أجل منصب . إنما نقاتل من أجل المقدسات، ومن أجل لا إله إلّا الله.

وفي الصحيحين أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ، الرجل يقاتل رياءً ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأي ذلك في سبيل الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) قُتل أحد الناس في عهد رسول الله ﷺ ، فقال الصحابة: هنيئاً له الجنة ، قال عليه الصلاة والسلام: كلا والذي نفسي بيده ، إن البردة التي غلَّها ، إنها تتلظى عليه في نار جهنم) لماذا؟ لأنه خرج من أجل بردة ، فكانت حظّه من الجهاد ، ولم يخرج في سبيل الله.

قزمان أحد الأبطال ، قاتل مع رسول الله ﷺ في أُحد قتالاً شديداً ، فأصابه جرح في رأسه ، فلم يصبر ، فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره فمات ، قال الصحابة ﭫ : هنيئاً له الجنة ، فقال عليه الصلاة والسلام: كلا ، والذي نفسي بيده ، إنه من أهل النار ، لأنه لم يقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العُليا ، ومن أجل أن تسود في الأرض إياك نعبد وإياك نستعين.

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: نتحدث معكم اليوم عن الإسلام، وسنظل نحدثكم عن الإسلام حتى يظهره الله على الأديان كلها، أو نهلك دونه، وكنا قد أشرنا في درس ماضٍ إلى بعض دلائل النصر التي ذُكِرَتْ في كتاب ربنا وسُنَّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وقلنا أن النصر الموعود آت بإذن الله، وأن المستقبل لهذا الدين، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١] واستناداً إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] وقلنا كذلك أن الله سبحانه وتعالى، وعد المؤمنين في الدنيا بوعود كثيرة، منها أولاً:

* وعدهم بالنصر على أعدائهم حيث قال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

* وعدهم بالدفاع عنهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨].

* وعدهم بالولاية لهم ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

* وعدهم بالرزق الحلال الطيب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأعراف:٩٦] وغيرها من الوعود الكثيرة في القرآن والسُّنَّة.

إكمال عوامل النصر:

ونحن على ثقة كاملة بأن النصر للإسلام، ولكن قبل ذلك لا بد من هذه العوامل والأسباب، والتي منها:

٤- الشجاعة الإيمانية: هي التضحية في سبيل الله، وهي درب المسلمين إلى النصر والعزة، الرسول ﷺ ربى أصحابه على حالة الاستنفار العام، يصعد المنبر يوم الجمعة ويخطب على السيف في أول أيامه، يعلن حالة الحرب والاستنفار على أبي سفيان، يستشير الصحابة: ما رأيكم أن نقاتل أبا سفيان داخل المدينة؟ حتى يُقتل أبو سفيان وجيشه في أزقة المدينة وطرقها، لأن حرب المدن دائماً المدافع ينتصر بإذن الله، فصوت كبار الصحابة على هذا الرأي، ودخل مالك بن سالم من شباب الأنصار، وقد استل سيفه وقال: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أحد، يا رسول الله، لا تحرمني دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده، لأدخلن الجنة. ذكرها ابن إسحاق، فتبسم ﷺ، من هذه الحرارات، وهذه التوقدات الشبابية، فقال: بِمَ تدخل الجنة؟ قال: بخصلتين، قال: وما هما، قال: أحب الله ورسوله، ولا أفرُّ يوم الزحف، فيخرج ﷺ إلى أُحد، نزولاً عند رغبة الشباب المتحمسين، فالقرارات العسكرية كان يعلنها ﷺ يوم الجمعة من على المنبر، ولم تكن في غرف مغلقة، وحراسات مشددة.

الشجاعة الإيمانية، مثل: ماذا؟! مثل خالد رضي الله عنه، أتعرفون خالد،

وماذا كان يفعل .. خاض مئة معركة في الجاهلية والإسلام ، ما انهزم في معركة واحدة ، ويوم مات ، كان يقول: فلا نامت أعين الجبناء ، صلّى في المسلمين الصبح في اليرموك ، وكان جيشه أقل من ثلاثين ألف ، وجيش الروم ما يقارب ثلاثمائة ألف ، انظروا إلى هذا الفارق الكبير ، ثم قال: إني مصل بكم الفجر ، فإذا كبّرت الأولى ، فليركب الخيّالة ، وهم أصحاب الخيول، الكمندوز الذين رباهم خالد رضي الله عنه ، وإذا كبّرت الثانية ، فلتتجهوا نحو العدو ، فإذا كبّرت الثالثة ، فلتبدؤا المعركة باسم الله .

أتى المنجمون للمعتصم بالله ، يوم أن أراد أن يدخل عمورية ، وقالوا له: برج الذنب الآن لم يستكمل ، فإذا أتى برج العقرب فاغزوا الروم ، المعتصم بالله: يتعامل مع برج الذنب؟ أو العقرب؟ كلا ، نحن أمة لا تتعامل مع النجوم ، نحن أمة تعرف ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران:١٦٠] وتعرف ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[آل عمران:١٢٦] فقال المعتصم بالله: آمنت بالله وكفرت بكم ، والله لأغزون الروم هذا اليوم ، وتحرك بتسعين ألفٍ من جيش المسلمين ، وانتصر عليهم بإذن الله ، وقال له أبو تمام يحييه:

أين الروايةُ والدرايةُ كم صاغوه .·. من زخرف فيها ومن كذب

فالنصر يأتي في شهب الرماح لامعة .·. بين الخميسين لا في السبعة الشهب

النصر في الكتاب والسُّنَّة،النصر في الاعتزاز بالله الواحد الأحد، يخرج ابن المبارك من الحرم المكي، ويذهب إلى الجهاد ، فينقلب العالم الإمام المحدث إلى أسد في الجبهة،وعند خروجه لامَهُ وانتقدهُ الفضيل بن عياض، وقال له: تخرج من الحرم ، وتترك الصلاة الواحدة ، التي هي بمئة ألف

صلاة ، لكنه لم يستجب لأخيه الفضيل ، وخرج إلى المعركة ، وقتل سبعةً في يوم واحد ، ثم أرسل رسالة إلى أخيه الفضيل بن عياض ، يقول فيها:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ∴ لعلمت أنـك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ∴ فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ∴ فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

كذلك من عوامل النصر على الكافرين:

٥- الدعاء: الاتصال بالواحد الأحد ، الرسول ﷺ في بدر نظر إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، ونظر إلى المشركين وهم ألفاً أو يزيدون، فاستقبل القبلة ورفع يديه إلى السماء ، وجعل يهتف بقوله: (**اللهم نصرك الذي وعدتني ، اللهم إن تهلك هذة العصابة فلن تعبد بعد اليوم في الأرض**) فما زال يكررها حتى نزل قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[الأنفال:٩] ومعنى مردفين: أي متتابعين .

ومن آيات الله في هذه المعركة : أن الله سبحانه وتعالى ، أمدّ المسلمين بجنود من الملائكة يقاتلون معهم ، فكانت القوات المشتركة من الملائكة والصحابة تحت لواء الرسول ﷺ ، وتستمد أخبارها وأوامرها من عريشه -عليه الصلاة والسلام - وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان يلتجأ إلى ربه قبل المعركة ، ويقول: (**اللهم مجري السحاب ، منزل الكتاب ، هازم الأحزاب ، اهزمهم ، وانصرنا عليهم**).

فيا أيها الإخوة المسلمون: نحن بحاجة إلى الدعاء والالتجاء قبل السلاح

والعتاد ، قتيبة بن مسلم دخل معركة في الشمال ، فمرّغ وجهه في التراب ورفع يده إلى السماء ، وقال: يا حي يا قيوم ، فانتصر بإذن الله ، أخبروه أن في جيشه محمد بن واسع ، العالم المحدث ، يرفع إصبعه ويدعو ، فقال قتيبة: والله لأصبعُ محمد بن واسع خير عندي من مئة ألف سيف شهير ومن ألف شاب طرير ، فنصره الله .

إذاً: الدعاء والإلتجاء من عوامل النصر .

٦ـ وكذلك التوكل على الله: فالمتوكل على الله يُسَخَّرُ له جنود من السماوات والأرض ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾[المدثر :٣١]. ولهذا يقول ربنا سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ إمام المتوكلين وحامل راية الموحدين ، يقول له في وقت الأزمات ، في مكة: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النمل:٧٩] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[الشعراء :٢١٧-٢١٩] ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] الرسول ﷺ كان معه الصحابة ، ومعه الشجعان ، ومعه الرجال الأبطال ، ولكنه يعتمد على الله ويتوكل عليه ، ولهذا قال الله عز وجل ، ممتناً عليه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الأنفال:٦٤] الله حسبك وحسب المؤمنين معك ، الله معك بنصره وتأييده ، وقوته وجبروته ، فماذا عسى أن تفعل أنت؟ وماذا عسى أن يفعل أصحابك؟ وماذا عسى أن تفعل الدول؟ وماذا عسى أن تفعل القوى البشرية؟ ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنفال:٦٢] جاء عند الترمذي وعند أحمد ، أن النبي ﷺ قال لابن عباس رضي الله عنهما : (**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله،**

واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء إلّا قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) .

وروى مسلم من حديث ثوبان ﷺ أن الرسول ﷺ قال : (إني صلّيت صلاة رغبة ورهبة ، فسألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة ، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة ، فأعطاني إياها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم ، فأعطاني إياها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من أنفسهم ، فمنعني إياها ، وقال: يا محمد ، إني قضيت قضاءً لا يرد ، وإني قد قضيت ، أنه لو اجتمع على أمتك من بأقطارها ، لا يقدرون عليهم ، حتى يُهلكوا بعضهم بعضاً). انظروا أين الخطر ، وأين الشر ، وأين الخلل ، يكون من الداخل ، إذاً: فلا تخافوا من اليهود والنصارى ، ولا تخافوا من إسرائيل ، ولكن خافوا من أنفسكم، أما الإسلام سينتصر وينتصر بكم أو بغيركم ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد : ٣٨] .

العامل السابع من عوامل النصر :

٧. إعداد العدّة وإيقاظ الأمة: استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠] ، ويقول سبحانه وتعالى :﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[التوبة:٤٦] أمة تؤمن بالأسباب، ولا تتخلى ،ولا تتواكل ، وإنما تتوكّل (اعقلها وتوكل) كان -عليه الصلاة والسلام - يحمل سيفه ويعد عدته للحرب ، وكان يبارز بين أصحابه ، ويعطي لهم الأوسمة والنياشين، فكان يقول: صوت أبي طلحة خير من مئة فارس ، وكان يفدي خاله

سعد بن أبي وقاص بأمه ، يقول له يوم أُحد: (ارمي سعد ، فداك أبي و أمي، ارمي سعد، فداك أبي وأمي) ويكفي سعد فخراً ، أنه دمَّر امبراطورية كسرى، ولعب بها ، هو الذي سحقها على التراب ، فإعداد الأمة إعداداً عقدياً ، وإعداداً عسكرياً ، هو الواجب والمطلوب ، لأن الدول الآن أصبحت لا تحترم إلّا صاحب القوة ، ولا تحتكم إلّا لشريعة الغاب ، فالعالم اليوم، عنده هيئة أمم ، وعنده مجلس أمن ، لكنه عالم ظالم، لا يؤمن إلّا بالقوة، ولا يحترم إلّا القوة ، ولهذا وجب على المسلمين أن يعدّوا العدّة ، وأن يبادروا إلى:

٨- التوبة النصوح: فإن أكثر ما يهزمنا في المعارك الذنوب والمعاصي ، الجيش العربي عندما أراد أن يدخل فلسطين (عام ١٩٦٧م) كانوا مشدوهين و مسكورين بأغاني أم كلثوم وعبد الحليم حافظ ، أما اليهود، فقد استطاعوا أن يخترقوا دفاعاتهم الجوية والأرضية ، وأن يحتلوا سيناء المصرية، والجولان السورية، والقدس الشرقية ، و مازال جيش العرب مخموراً مع أم كلثوم، هل رأى الحب سكارى مثلنا ، فيا قوميين ، ويا وطنيين لم يشهد التاريخ مثيلاً لكم ، وفلسطين و(٦٧) وصمة عار عليكم في جبين التاريخ، إذاً أيها المسلمون: الذنوب والمعاصي سبب لسقوط الأمم ، وحصول الهزيمة النكراء ، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لسعد: يا سعد بن أبي وقاص ، لا يغرنك قول الناس: إنك خال رسول الله ﷺ فإن الله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب ، أقربهم إلى الله أتقاهم ، الله ، الله ، يا سعد في المعركة ، أي: إياك والمعاصي في المعركة يا سعد ، لأن المعاصي دائماً تكون سبباً في هزيمة الأمم ، وخراب الديار ، دليل ذلك ما رواه الإمام أحمد ، أن أبا الدرداء رضي الله عنه : لما فُتحت قبرص،

جلس لوحده حزيناً ، فقيل له: يا أبا الدرداء ، لماذا تحزن في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحكم، ما أهون الخلق على الله إذا ضيعوا أمره ، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله ، فانظروا إلى ما صاروا إليه، صاروا في ذلة وهوان ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤] و هذه الأمة بسبب معاصيها وجرائمها وفواحشها تكون الهزيمة ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور: ٣١]

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا ∴ واغفر أيا رب ذنباً قد جنيناه

كم نطلب الله في ضر يحل بنا ∴ فإن تولت بلايانا نسيناه

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا ∴ فإن رجعنا إلى الشاطيء عصيناه

ونركب الجو في أمن وفي دعة ∴ فما سقطنا لأن الحافظ الله

تاسعاً: من عوامل النصر:

٩- تسخير وسائل الإعلام لخدمة الإسلام: بمعنى أننا نريد إعلاماً يتناول قضايا الأمة ، ويشحذ الهمم نحو قتال اليهود ، ومن يقف ورائهم ، فنريد صحيفة الصباح تحدثنا عن عمر وخالد ، سيف الله المسلول ، ونريد كلمة العدد ، تحدثنا عن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، لا نريد صحيفة تتعرض لمبادئنا وقيمنا وأخلاقنا الإسلامية ، ولا نريدها تسخر بديننا وعلمائنا الأفذاذ نريد شاشة تعرض كلمة التوحيد، ولا إله إلّا الله، تعرض لك ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب:٢٣] تعرض لك ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ [آل عمران : ١٦٠] نريدها تعرض لك

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد:٧] .

لا نريد شاشة:

١ ـ تعرض لك التسلية، أو الضحك لمجرد الضحك، ولا نريد شاشة تعرض لك :

٢ ـ الفاحشة والرذيلة، لأن ذلك من الإفساد في الأرض ، والله عز وجل يقول ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ ﴾[الأعراف:٨٥] ولا نريد شاشة تعرض لك :

٣ ـ الكذب والخداع ، على أنه ذكاء وحنكة ، لأن هذا محرم شرعاً ، والرسول ﷺ يقول : (**ما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً**) و لا نريد شاشة تستهزئ :

٤ ـ بالقرآن والسُّنَّة وعلماء الأمة، كالتمثيليات التي تصور الإسلام، بأنه إرهاب ، والمسلمون بأنهم إرهابيون ومتطرفون ، لأن ذلك كفرٌ ومُروقٌ من الإسلام ، استناداً إلى قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ﴾ [التوبة :٦٥، ٦٦] وقوله كذلك ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾ [الأنعام: ٦٨] ولا نريد شاشة :

٥ ـ فيها موالاة لأعداء الله ، ومحبة لهم ، والإشادة بهم ، لأن الله عز وجل حرم ذلك حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

[المائدة:٥١].

العامل العاشر ، من عوامل النصر :

١٠ - إقامة القسط وتوخي العدل: فالذي يتتبع سير الظالمين ونهايتهم يرى ما حلّ بهم من العار والدمار ، قال تعالى ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النمل: ٥١ - ٥٢] فالسعيد من اتعظ بغيره من الأمم الهالكة الظالم : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٧].

فرعون عليه لعائن الله زعيم الظالمين الهالكين كان يدّعي الربوبية ، ويقول : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص : ٣٨-٤٠] .

يقول ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى ، المجلد الثاني : إن الله ينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة ، وإن الله يهزم الأمة الظالمة ولو كانت مسلمة ، ولهذا أمرنا كمسلمين بتوخي العدل ، حتى مع الكفار ، استجابة لقوله تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة :٨] فنحن أمة لا تنصر إلّا بضعفائها وعدلها مع غيرها ، ولنا في الإسلام مجداً وتاريخاً ،

فهذا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينازع يهودياً في قضية درع أمام قاضيه شريح ، فيحكم قاضيه بالدرع إلى ذلك اليهودي ، بعد أن عجز الإمام علي أن يأتي بالبينة ، فما كان من هذا اليهودي إلّا أن قال: أمير المؤمنين يقدم نفسه لقاضيه ليحكم عليه ؟! ، أشهد أن هذه عدالة الإسلام ، الدرع درعه ، والحق ما قاله ، فبالله عليكم ، هل تُهزم أمة يقف رئيسها أمام العدالة مع فرد من أفراد شعبه ، وهل يُهزم جيش مسلح بالقرآن ويعلم أن النصر من عند الله ، وأن الموت في سبيله شهادة ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [التوبة :٥٢] .



عوامـل الهزيمـة

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت، ويخرج الميت من الحيّ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ الميامين، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون: تحدثنا معكم في درس سابق عن النصر، واليوم نحدثكم عن الهزيمة التي يعيشها المسلمون، فالمسلمون اليوم يعيشون مرحلة انهزامية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، يعيشون هزيمة حسية في أرضهم، وهزيمة معنوية في أنفسهم، فاليهود والأمريكان يعبثون بهم ليل نهار، ويستخرجون كنوز ما في أرضهم، من نفط وغاز وخامات، وينتهكون أعراضهم ومقدساتهم، في فلسطين وفي غيرها، وهم صامتون ومُخَدّرون، فالمسلمون رغم أنهم يبلغون المليار أو يزيدون، لكنهم مع ذلك هزموا و أُهينُوا، أمام حفنة قليلة من اليهود وأعوانهم، وذلك لأنهم غثاء كغثاء السيل، كما وصفهم الرسول ﷺ بقوله: (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: **لا، أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ينزع الله المهابة من قلوب**

أعدائكم ، ويصيبكم الوهن ، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ ، قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

وعليه يمكن أن نقول: إن الهزيمة التي يعيشها المسلمون اليوم لم تأتِ من فراغ ، بل كان يسبقها عوامل وأسباب ، أول هذه العوامل:

١ -الظلم وعدم توخي العدل: فالذي يتتبع سير الظالمين ونهايتهم ، يرى ما حل بهم من العار والدمار ، قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النمل : ٥١، ٥٢].

ثانيا: من عوامل الهزيمة

٢ـ النفاق والمنافقون: في الأمة منافقون نفاقاً عملياً واعتقادياً ، فيكفرون برسالة محمد -عليه الصلاة والسلام- ويستهزئون بشعائرالإسلام التعبدية، كالصلاة والطواف والحجر الأسود ، الرسول ﷺ في غزوة الأحزاب ، وهو يَنْزِلُ الخندق ، وقد ربط على بطنه حجراً أو حجرين، في وقت بلغت فيه القلوب الحناجر ، واجتمعت فيه قوات هائلة من المشركين في الخارج، واليهود والمنافقون من الداخل، فضرب ﷺ على الكدية التي عرضت للصحابة، فَلَمَعَ كالبارق، فتبسم ﷺ ثم قال: أُريتُ قصور كسرى، وسوف يفتحها الله علي ، فضحك المنافقون وتغامزوا ، وقالوا: عجباً لهذا الرجل، يريد قصور كسرى وفارس ، ونحن الواحد منا لا يستطيع أن يقضي حاجته من الخوف ، ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى على لسانهم : ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب :١٢] يقولون ذلك ، ولكن إي ورب الكعبة ، لقد دخلت كتائبه مكبّرة مهلّلة ، تدكّ معاقل الكافرين

والملحدين، وفُتحتْ قصور كسرى وفارس،وطوقت بعدلها العالم الحيران، ووصلت كتائبه الى قرطبة والحمراء ، وسبحت بحمد الله على نهر اللواظ ، مصداقاً لرسالته ولعهده مع الله عز وجل ، يجلس ﷺ في غار ثور ، فيقول له أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا، فيتبسم ﷺ ويقول: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما، ويقول لسراقة وهو يلاحقه ويطارده: سوف تسور بسواري كسرى يا سراقة، فيتبسم سراقة ويقول في نفسه: هذا الطريد الشريد ، الذي خرج خائفاً من أهل مكة ، يَعِدُني بسواري كسرى العظيم ، أعظم إمبراطور في العالم ، وبعد سنوات ، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يُسَورُ سراقة بسواري كسرى، فيبكي سراقة ويقول: صدق خليلي ، صدق خليلي ، صدق خليلي) هذا هو الحق﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الطور : ١٥].

العامل الثالث من عوامل الهزيمة:

٣- الإرجاف والتخذيل: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٠] المرجفون: أهل الشائعات دائماً يقولون ، حدث: كذا وكذا ، وسمعنا: كذا وكذا ، وهؤلاء قوم ليس لهم عمل في الدنيا إلّا نقل الشائعات ، ويُسَمونَ وكالة الكذب ، ووكالة يقولون ، والرسول ﷺ في الحديث الصحيح يقول: (بئس مطية الرجل زعموا) فزعموا ، وسمعتُ ، وأخبرني فلان ، مرض خطير ، انتشر في الأمة واستشرى ، وأفسد كثيراً من قلوب الناس ، وجعلهم أمام شبح من الخيال ، يعيشون ليل نهار ، لأن هذه الشائعات أصبحت تنتشر في الأمّة انتشار الهشيم ، وموقفنا منها الأول يجب التثبت ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ

فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الحجرات:٦] ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦].

الأمر الثاني: أن لا نحدث بكل ما سمعنا، استناداً إلى قوله عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم (كفى بالمرء كذباً، أن يحدث بكل ما سمع) هذا موقفنا من المرجفين والإرجاف، وأكثر ما يُدارُ الآن في الساحة إرجاف، ويموت بعض الناس من الإرجافات، ومن الخوف، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، وفي الناس مخذلون، كأن يقولون: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، ولا طاقة لنا اليوم بإسرائيل، فهي تملك السلاح والعتاد، وتملك الدبابات، وسمعنا من بعض هؤلاء المخذلين، يقولون: عندهم المزدوج، الذي يطلقونه من غرف النوم، وعندهم الشعاع، الذي يقسم الدبابة إلى نصفين، وهكذا دواليك من هذه الشائعات، التي ما حدثت ولا صُنعت في العالم حتى اليوم، فإذا سمع الناس هذه الأراجيف وهذه الأساطير يموتون من شدة الخوف، مادام هناك سلاح يقسم الدبابة بالشعاع فكيف ونحن بشر، وهؤلاء المرجفين والمخذّلين دائماً في صفوف المسلمين يتواجدون،حتى كانوا في صفوف الرسول ﷺ، والله -عز وجل- قد حذر منهم حيث قال: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ [التوبة :٤٧] لما خرج ﷺ إلى أحد، بألف مقاتل، انخذل عبد الله بن أبي في وسط الطريق، بثلث الجيش، وقال لمن تبعوه: ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران:١٦٨] يعني الصحابة، يعني: أن الرسول ﷺ كان مخطئاً، وهل كان -عليه الصلاة والسلام- يريد أرضا أو وطناً، وهل كان يريد بحيرة أو مستعمرة، كلا،بل كان يريد أن تُسْلِمَ الكرة الأرضية للا إله إلّا

الله ، وأن يخرجهم من الظلمات إلى النور ، فيقول هذا المنافق: ما ندري برأي الرسول ﷺ ؟، وما نعرف سبب القتال الذي يدعونا اليه كما يقول بعض المخذلين اليوم: الراية لم تتضح بعد ، فيا عدو الله ، ما تعرف سبب هذا القتال ، ويا مجرم ، ما تعرف أن هذا القتال بين: لا إله إلّا الله وبين الصليب والأوثان ، ما تعرف أنه بين التوحيد والإلحاد ، ما تعرف أنه بين الذين قالوا: إنا نصارى والذين آمنوا، ولما قُتِلَ بعض الصحابة في أحد، قال ذلك المنافق الرعديد ، عبد الله بن أبي: يا ليتهم أطاعوني ، نصحتهم أن لا يخرجوا إلى المعركة ، فما أطاعوني فقتلوا ، فنزل قوله تعالى ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾[آل عمران : ١٦٨] فمات هذا المنافق بعد شهرين من المعركة ، ولُفَّ بأكفانه ودُسَّ أنفه في التراب ، فأيهما أشرف ميتة ، هذا المنافق الذي مات على فراشه كجيفة حمار ، أم أنس بن النضر الذي قُتل في أحد وهو يقول:إليك عني يا سعد، والذي نفسي بيده، إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، أيها أشرف ميته، أبو جابر(عبد الله بن عمرو الأنصاري)الذي يقول عنه ﷺلابنه جابر، بعدما قُتلَ: (**يا جابر، ابكي أو لا تبكي ، فو الذي نفسي بيده ، ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته، والذي نفسي بيده يا جابر : لقد كلّم الله أباك كفاحاً بدون ترجمان ، فقال: تمنى ، قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى**) وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (**والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ، ثم أُحي ثم أقتل، ثم أُحي ثم أُقتل**).

كذلك من عوامل الهزيمة:

٤ـ اشتغال الأمة بالتوافه في حياتها على كبار المسائل: تجد بعض المنشورات والدعايات عن الرموز والهوايات ، شبابنا أبناء الإسلام ، أبناء لا إله إلّا

الله هوايتهم المراسلة أو تعليق الصور ، هؤلاء الشباب لا فرق بينهم وبين الذين يعيشون في باريس أو موسكو أو في واشنطن ، أما الطفل المسلم الذي يعيش في بلاد الإسلام له رسالة أخرى ، مراسلته أن يرسل في الأرض لا إله إلا الله ، مراسلته ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء :١٠٧] مراسلته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة :٦٧] رسالته كرسالة مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام إلى المدينة ، أو كرسالة معاذ بن جبل الذي أرسله ﷺ إلى اليمن ، فقال له: «**يا معاذ ، إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسول الله**» ، أما شبابنا اليوم فهم مشغولون بالأندية الرياضية ولعب الكرة ، وأصبحت الدول العربية والإسلامية، تنفق ملايين الدولارات لتحسين الأوضاع الشبابية والرياضية، وتشيّد الملاعب الزراعية والدولية، وعمل غرف مغلقة للتنس والطاولة ، وغيرها من التوافه التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، بينما أعدائنا من اليهود والنصارى يضعون الخطط والبرامج ،ويصنعون السلاح الجرثومي والنووي ، وطائرات الأبتشي، وإف ١٦ ليقتلوا بها إخواننا المسلمين في فلسطين وفي أفغانستان، ويذبحونهم كالنعاج ، ونحن مشغولون بالكرة والمنتخبات ، وتشييد الملاعب والمنتديات ، فبالله عليكم: ماذا تنتظرون من شباب هوايتهم المراسلة أو لعب الكرة ، فبعضهم يعيش على ذلك حتي يبلغ العشرين أو الثلاثين من عمره ، وابن عباس رضي الله عنهما في العاشرة من عمره يفتي الأمة، دخل على ميمونة بنت الحارث وعمره ثمان سنوات كما في الصحيحين ، وحفظ لنا حديث: (اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض،

ولك الحمد، أنت قيِّمُ السماوات والأرض)كان يدخل مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلس الشورى،وهو ابن سبعة عشر سنة ، محمد ابن القاسم ، كان قائد المسلمين في معركة ضد أهل السند والهند ، وعمره سبعة عشر سنة ، وانتصر عليهم بإذن الله ، أما شبابنا اليوم ، فيصل عمره إلى الثلاثين أو الأربعين ، وهو مغني مطبل ، أو كابتن فريق ، أو مدرب منتخب ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

كذلك من عوامل الهزيمة:

٥ـ إرتكاب الذنوب والمعاصي: فإن أكثر ما يهزمنا في المعارك الذنوب والمعاصي، الجيش العربي ، جيش القوميين والوطنيين في الستينات والسبعينات ، عندما أراد أن يدخل فلسطين عام ٦٧م ، كان أفراده مشدوهين ومُسْكَرين بأغاني أم كلثوم وعبد الحليم حافظ ، أما اليهود ، فقد استطاعوا أن يخترقوا دفاعاتهم الجوية والأرضية ، وأن يصلوا إلى عقر دارهم ، وأن يحتلوا سيناء المصرية ، والجولان السورية ، والقدس الشرقية، وهم مازالوا مع أم كلثوم، هل رأى الحب سكارى مثلنا ، فوالله يا قوميين ويا وطنيين لم يرى الحب سكارى من أمثالكم ، ولم يشهد التاريخ أذناباً من أمثالكم ، فقد سجّلكم التاريخ في مزبلته إلى الأبد ، وستبقون كذلك.

إذا أيها المسلمون: الذنوب والمعاصي سبب لسقوط الأمم وخراب الديار، المسلمون في العالم الإسلامي لما غزاهم التتار لم يكن عندهم دروس في الجهاد والبذل والتضحيات ، وكانوا مُغْرَقين في وحل الخطايا والرذيلات، وكانت الجواري تباع في بغداد، وكنّ يكتبن أبيات الغزل على خدودهن، وينزلن إلى الأسواق يغنين ، فسلط الله عليهم جنكيز خان، مثل الحمار ،

لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، أتى إليهم من سيبريا كالدب الأسود ، فدخل عليهم وهم مخمورين بالموسيقى ، والبلوت ، والكيرم ، والباصرة، فدمّرها مع أصحابها في نهر دجلة ، أندلس: كان أميراً من الأمراء المترفين الذين شُغفوا بحب النساء ، وارتكاب الخناء، فغزاه (ابن تاشفين) وأخذ أرضه ، وقيده في الأسر ، فقالت له أمه وهو يبكي مأسوراً: ابكي مثل النساء ، مجداً تولى ، لم تحافظ عليه مثل الرجال ، وهكذا لن تنتصر هذه الأمة إلّا بعد أن تعود إلى دينها وإسلامها ، وتترك الفواحش والآثام ، ابن تيمية -رحمه الله- وقف على المنبر في الشام ، لما غزاهم التتار ، يذكرهم بالله وباليوم الآخر ، وأن يعودوا إلى سالف مجدهم وعصرهم ، ثم أعلن حالة الحرب والجهاد ، وقال: أيها الناس ، أفطروا، فإنكم في جهاد ، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان ، فيقولون [illegible] قال: [illegible] لننتصرن عليهم ، فيقول السلطان أمامه وهو يرجف من شدة الخوف: قل إن شاء الله ، قال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، فينتصرون بإذن الله في شقحة ، ويكسرون رؤوس التتار ، وترتفع لا إله إلّا الله ، والله أكبر .

العامل السادس من عوامل الهزيمة:

٦-الإغترار بالكثرة والقوة: فبعض الدول تغتر بكثرة جيوشها وأعدادها، وَيَنْسَونَ أن قوة الله لا تغلب ، الصحابة رضوان الله عليهم ، قد مرّوا بهذه التجربة ، كانوا في بدر ثلاثمائة ، والكفار ما يقارب ألفاً ، وانتصروا عليهم، ولكنهم في حنين ، كان المسلمون اثنى عشر ألفاً ، وهذا ليس عدداً سهلاً يستهان به ، كما جاء في الحديث الحسن: (لا يُغلبُ اثنى عشر ألفاً من قلة) فيقول أبو بكر رضي الله عنه : لن نغلب اليوم من قلة ، فلما بدأت المعركة ، وبدأ الهجوم ، ذهب الاثنى عشر ألفًا ، طيش ، فيش ، ولم يبق معه ﷺ إلّا ثمانين

رجلاً من كبار الصحابة ، كما روى ذلك ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، وحنين: وادٍ بين مكة والطائف ، فولّى عنه الناس، وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، قدمنا ولم نولهم الأدبار) وفي الصحيحين: عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، أن رجلاً، قال له: يا أبا عمارة ، أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، إن هوازن كانوا قوماً رماة استقبلونا بالسهام فانهزم الناس، ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأبو سفيان ، آخذ بلجام بغلته البيضاء ، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب») فأنزل الله عزوجل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة:٢٥] يقول: أين كثرتكم؟ وأين قوتكم؟ وأين إثنى عشر ألفًا؟ أنتم في بدر ثلاثمائة ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٣] أنتم في بدر،كنتم قليلي العدد والعدة لكنكم كنتم صادقين مع الله،كنتم صادقين بلا إله إلا الله، أما في حنين فقد كنتم اثنى عشر ألفاً ،ولكن مع ذلك وليتم الأدبار، إذن ما تنفع الكثرة وما تنفع القوة المنفصلة عن الله -عزوجل- في معركة القادسية كان الفرسُ عددهمْ ما يقارب مائتين وثمانين ألف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، كان عدد جيشه ثمانية وعشرون ألفًا ، وقيل أربعة وعشرون ألفًا ، ومع ذلك سحقهم سحقاً ، ودمرهم تدميراً، الروم في معركة اليرموك، كانوا ثلاثمائة ألف ، وخالد بن الوليد معه ثلاثون ألفً، ألقاهم في النهر ، مثل: الجرذان ، وانتصر عليهم بإذن الله .

العامل السابع من عوامل الهزيمة:

٧-**التنازع والإختلاف:** فنحن أمة لا تنتصر وهي مختلفة متفرقة ، استناداً إلى قوله تعالى﴿ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾[آل عمران:١٥٢] كما حصل في غزوة أحد ، فالإختلاف بمفهومه العام: كله شر ، ليس فيه خير ، ولهذا وقع في الأمة بسبب هذا الخلاف فتن عظيمة ، وأمور تنكرونها ، وما حصل للصحابة -رضوان الله عليهم - في حرب الجمل وفي صفين إلّا نوعاً من أنواع هذا الخلاف المذموم، فالمسلمون في تلك الحقبة السوداء لم يستطيعوا أن يفتحوا مدينة واحدة ، وتوقفت الفتوحات الإسلامية التي كانت في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما ، وقُتلَ في هذه الفتنِ من المسلمين، من أهل الشام: عشرون ألفاً، ومن أهل العراق: أربعون ألفاً ، وهذا مصداق لقوله-عليه الصلاة والسلام-: (**يئس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم**) وأخبر ﷺ أن إحدى زوجاته ، تَنْبُحُ عليها كلاب الحوأب ، عند نزول الفتن وحصول الفرقة والاختلاف بين المسلمين ، دليل ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث قيس ، أنه قال: لما أقبلت عائشة في مسيرها إلى وقعة الجمل ، وبلغت مياه بني عامر ، سمعت نباح الكلاب ، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب ، فقالت: ما أظنني إلّا راجعة ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**أيتكنّ يَنْبُحُ عليها كلاب الحوأب**) وجاء في الحديث الغريب ، الذي رواه البيهقي ، أن النبي ﷺ ذَكَرَ أن بعض أمهات المؤمنين، تخرج في المسلمين ، فضحكت عائشة رضي الله عنها فقال لها: انظري يا حُميراء ، أن لا تكوني أنت ، ثم التفت إلى علي وقال: يا علي ، إن ولِّيتَ من أمرها شيئاً، فارفق بها) وهذا الحديث غريب جداً ، كما جاء في البداية والنهاية .

العامل الثامن من عوامل الهزيمة:

٨-**ضعف الهوية الإسلامية والإيمانية:** فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة من غيره أذلنا الله ، والإسلام دين القوة والعزة ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران:١٣٩] والمسلمون انتصروا على أعدائهم عندما كانوا يفتخرون بالإسلام،ويحملون لا إله إلّا الله ، يُرْوَى أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أرسل رسولاً إلى رستم ، عندما كان الإسلام عزيزاً ، وهو ربعي بن عامر رضي الله عنه فدخل على رستم في قصره المشيد ، وبساطه الوفير ، المحلى بالذهب والفضة والحرير ، دخل ربعي إلى هذا القصر بثيابه الرثة ، راكب على فرسه ، ولم يزل كذلك حتى داس بأرجل فرسه ذلك البساط ، فقالوا له: ضع سلاحك ، وأوقف فرسك، قال: إن تركتموني هكذا ، وإلّا رجعت عنكم ، فقال رستم: دعوه، فنزل يتوكأ على رمحه فوق نَمارِقِهِمْ ووسائدهم ، فيخرقها ويمزقها، حتى وصل إلى رستم فقال له: مالذي جاء بكم إلى بلادنا؟ فقال ربعي بن عامر : الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ، ورجعنا عنه ، ومن أبى ، قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله ، فقال رستم: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات ، والظفر لمن بقيت له الحياة ، قال رستم: وهل لكم أن تؤخروا عنا هذا الأمر حتى ننظر في أمرنا؟ قال ربعي رضي الله عنه : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء أكثر من ثلاث ، أي ثلاثة أيام ، الله أكبر ، هذه عزة المسلم التي لا يمكن أن يَنَالَهَا إلّا بالإسلام ، والاعتزاز بلا إله إلّا الله ، أما أن يصبح المسلمون أذناباً لأسيادهم الغربيين والكافرين ، فلا ورب الكعبة ، لن ترضى عنهم الدول الكافرة

ولا أمريكا ، حتى لو سجدوا لها من دون الله وعبدوها، وأخلصوا لها من دون الله ، فإنها لن ترضى عنهم ، ولن تغفر لهم ، بل ستدخلهم أمريكا في نارها وعذابها ، وتُسْقِيهِمْ من زقّومها ، ومن حميمها الغساق ، وتغذي أجسادهم المنسلخة من لحم الخنازير ، وصدق الله إذ يقول ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

وعليه نقول: يجب على المسلمين أن يعتزوا بدينهم وإسلامهم ، مهما تنازل المتنازلون ، وتخاذل المتخاذلون ، وقد أعجبني قصة ذلك الشاب الإنجليزي الذي أسلم ، وكان معتزاً بإسلامه ، وبعد شهر من إسلامه، سمع عن وظيفة شاغرة في إحدى الشركات الإنجليزية ، فأحب أن يتقدم إليها ، ولما ذهب إلى هناك ، وجد أناسٌ كثير من غير المسلمين ، يتسابقون على هذه الوظيفة ،لكنه واصل سعيه وتقدمه ، وعند المقابلة الشخصية، ذكر لهم بأنه قد غيّر دينه من النصرانية إلى الإسلام ، وغيّر اسمه ، فكان اسمه (رود) وأصبح الآن (عمر) ثم طلب منهم أن يعطوه وقتاً لأداء الصلاة أثناء سير العمل ، فما كان من هذه الشركة إلّا أن وافقوا عليه، وقالوا له: نحن نريد في هذه الوظيفة رجلاً عنده القدرة على إتخاذ القرارات، وأنت عندك القدرة على ذلك ، لأنك غيّرت دينك وغيّرت إسمك ، وهكذا من اعتز بالله ، أعزه الله ، ومن ابتغى العزة من غيره ، أذله الله ، وإليكم مثلاً آخر في العزة والإباء ، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يضرب لنا أروع الأمثلة في هذا المجال ، ويرهبُ أعداء الله وليس بالدبابة ، ولا بالمدفعية ، وإنما برسالة قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن الوليد ، سيف الله إلى كسرى، أمّا بعد: يا كسرى ، أسلم تسلم، وإلّا فقد جئتك بقوم

يحبون الموت ، كما تحبون أنتم الحياة ، فَرَأَهَا كسرى فارتعدت فرائصه، وتفككت عظامه ، وإذ به يأخذ القلم ، ويرسل رسالة إلى ملك الصين ، يطلب منه المدد ، أتدرون ماذا ردّ عليه ، إنه ردّ يعتذرْ ، وقال: يا كسرى ، لا قِبَلَ لي بقتال قوم إذا أرادوا خلع الجبال لخلعوها، وكذلك أتى خالد بن الوليد رضي الله عنه الروم بعزة وأنفة ، فعرض عليهم: إمّا الإسلام، وإمّا الجزية وإمّا السيف ، فقال له ماهان زعيم الروم: أَمَا قد عَلِمْنَا أن ما أخرجكم من بلادكم إلّا الجوع والحاجة ، فهلُمُّوا إليَّ أُعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً ، وترجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها ، فقال خالد رضي الله عنه : إنه لم يُخرجنا من ديارنا ما ذَكَرْتَ ، غير أنّا قومٌ نشرب الدماء شرباً ، وقد بلغنا أنه لا دَمَ أطيبُ ، من دم الروم ، فأتينا لكي نشربها، والسؤال الذي يطرح نفسه: من أين اكتسب خالد بن الوليد رضي الله عنه هذه العزة ، وهذا الشموخ ؟ اكتسبها من الإعتصام بكتاب الله وبسُنَّة رسوله -عليه الصلاة والسلام- لأن خالد رضي الله عنه يعتز بالله ، ويحمل بين جوانحه لا إله إلّا الله .

التاسع من عوامل الهزيمة:

٩-الإسراف في المباحات والملهيات: نحن الآن أُمةُ عمارات وسيارات ، وفلل ومطعومات ومشروبات ، ولسنا أمة جهاد ، الآن نجد الإعلانات ، التي في الشوارع والأسواق ، إما عن: مطعوم ، أو مشروب ، أو ملبوس ، إعلان العطورات ، يأخذ ثلاثُ صفحات من المجلة اليومية ، أما إعلان السينما والسهرات الليلية ، فحدث ولا حرج ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، دخل أحد الدعاة لأول مرة في ألمانيا ، في مدينة مونيخ ، فوجد إعلان هناك، مكتوب فيه: أنت لا تعرف كفرات يوكوهاما ، فاستأجر لوحة

بجانبها وكتب فيها: أنت لا تعرف الإسلام ، إن كنت تريد أن تعرف الإسلام، فاتصل بتلفون: كذا ، وكذا ، ووضع عنوانه في المدينة التي نزل فيها ، وبعد سنة من هذا الإعلان ، أسلم على يديه أكثر من مائتين وخمسون ألفًا من الألمان ، الله أكبر ، فأين الدعايات الإسلامية ، وأين الإعلانات عن الإسلام ، أمة تهتم بالإعلانات والمأكولات والمشروبات ، وكأن المستقبليّة عند كثير من المسلمين ، أن يحصل على وظيفة كبيرة ، وأن يبني له فلّة واسعة مريحة ، وأن يشتري سيارة فاخرة فارهة ، فإذا حصل على ذلك كله ، كأنه خاض: بدرًا ، وأحدًا ، واليرموك ، وعين جالوت، وأنا أقول: أن المستقبليّة للمسلمين أن تخرج إسرائيل من فلسطين ، وأن توقف أمريكا إعتداءاتها اليومية والمتكررة ضد أطفالنا ونساءنا في العراق وأفغانستان، المستقبليّة للإسلام أن تسود في الأرض لا إله إلّا الله ، وأن يُحْكَمَ بشرع الله فلا يظن المسلمون أنهم فائزون ، بامتلاكهم المال والجاه والسلطان والشهادات ، الرسول ﷺ لم يربي أصحابه على هذا ، ولم يعدهم بشيء من الدنيا قليل ، وما كان في القرآن وعد بملك أو وعد بمال ، أو وعد بجاه أو سلطان ، إنما كان الوعد هو الجنة ، يأتي إليه الأنصار في بيعة العقبة ويقولون: يا رسول الله ، ما لنا إذا آويناك ونصرناك؟ أي: ماذا تعطينا ، فيقول: لكم الجنة) ما عنده شيء ، عنده خبز الشعير ، عنده بيوتٌ من طين ، تقول عائشة رضي الله عنها : والله إنا كنّا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلّة ، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ، إلّا الأسودان ، التمر والماء) وثبت في الصحيحين: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ ، وإذا هو مضطجعٌ على رمال حصير ، فهملت عينا عمر ، فقال – عليه الصلاة والسلام–: ما لك يا عمر، قال: يا رسول الله ، أنت أكرم الخلق على الله،

وكسرى وقيصر يتنعمون فيما هم فيه ، فاحمرَّ وجهه ﷺ ، ثم قال: (أوفي شك أنت يا بن الخطاب ، إن أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا) ، وفي رواية لمسلم (أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) وكذلك الصحابة -رضوان الله عليهم - الذين قدّموا أكثر التضحيات ، ولم يَظهروا بشيء من حدائق الدنيا وبَهارجهَا ، ولا بمفروشاتها وقطائفها ، وذهبوا إلى الله مولاهم الحق ، وأتى الوليد بن يزيد ، ومروان بن الحمار ، وسلاطين الدولة العثمانية ، والدكتاتوريين في هذه الأمة ، وأخذوا المفروشات والمطعومات وسكنوا القصور والفلل ، فما استفاد الناس منهم شيئاً ، وما زادوا الأمة إلّا ذلاً وهواناً وتركيعاً لليهود والنصارى .

نسأل الله تعالى أن يخلصنا منهم ومن شرورهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .



تحديات تمر بالأمة الإسلامية

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسولـه ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أما بعد أيها المسلمون: إن هذه الأمة الإسلامية تمر بويلات ونكبات وتحديات ، وذلك لسببين :

الأول: سُنَّة الله في خلق الإنسان ، فهو الذي خلق التضاد ، الخير والشر ، والليل والنهار ، والهدى والضلال ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود:١١٨- ١١٩] ولذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت : ١-٣] .

ثانياً: أمتنا الإسلامية متحداةٌ ، لأنها كوّنت جيلاً فريداً من الحضارة لا يُتَصَورْ ، قيل لرجلٍ من العرب داهية ، فلانٌ يسبُّكَ وينتقصكَ ويشتمكَ أمام الناس ، قال: وهل يشتم إلّا العظماء ، ثم قال بيتين من الشعر لطيفين

جميدين:

ولــو أني بـليـت بهاشـمـيٍّ ∴ خـؤُلـتُـه بـنـو عـبـد المـدان
لهــان عــلى مــا ألــقــى ولكن ∴ تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

يقول: أنا من عظمتي دائماً أُتَحَدَّى ، وكذلك الأمة من عظمتها دائماً يَتَحَدّاهَا أعداؤها ويحسدونها ، ولذلك لا يُحْسَدُ السافل والأراذل، والذين لا قيمة لهم ولا وزن ، إنما يُحْسَدُ الداهية والعبقري ، ولذلك انظروا إلى أعظم رجل في التاريخ ، هو محمد عليه الصلاة والسلام ، يضعه مايكل هرز الأمريكي في القائمة الأولى ، في كتابه « الأوائل » ويقول: أنا أعرف أن وضعي لمحمد في المركز الأول يجرح شعور الشعب الأمريكي، ولكنها الحقيقة رغم أنفك يا هرز ، وأنوف الأمريكان جميعاً ، فإن محمداً -عليه الصلاة والسلام- عظيم على مستوى العالم ، إن البرية يوم مبعث أحمدٍ ، نظر الإله لها فبدّل حالها ، بل كرّم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها ، لبسَ المرقعَ وهو قائد أمة ، جبت الكنوز فكسّرت أغلالها، محمد ﷺ . أميٌّ ما قرأ ولا كتب ، ولا تعلم في مدرسة ولا جامعة، لكنه فتح الدنيا بلا إله إلّا الله ، أقرَّ بذلك حسّاد العالم وأعداء الإنسان، بأنه الأول عليهم جميعاً ، فهل عَلِمْتَ صادقاً كمحمد -عليه الصلاة والسلام- وهل عَلِمْتَ مصلحاً كرسولنا عليه الصلاة والسلام؟ والله ما زالوا به ، حتى أشاعوا في العالمين أنه: كذاب ، وساحر ، وكاهن، ومجنونٌ، وفي الحديث الصحيح ، أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة ، فسمع بالرسول ﷺ، سَارَ خبره في الركبان ، سَارَ حديثاً بين الناس ، فأتى على جَمَلِه وكفار مكة، يقولون له: احذر محمداً ، فإنه: ساحر ، شاعر ، كاهن ، كذّاب ، فما زالوا

به حتى وضع القطن في أذنيه خوفاً أن يسحره ، فلما دخل الحَرَمَ ، ورأى وجه المصطفى ﷺ عَرَفَ أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فنزع القطن من أذنه واستمع الآيات البينات ، التي كما يقول سيد قطب رحمه الله: تأخذ على النفس أقطارها ، القرآن: لا يدعك تهرب ، هو حقيقة يفرض نفسه في العالمين .

أحد المسلمين ، ذهب يدرس الشيوعية في أوزبيكان ، إحدى الولايات الروسية سابقاً ، فدخل مسجداً هناك ، فقرأ في المصحف سورة (ق) ، فانهلّت عليه سورة (ق) فملئت صدره إيماناً، فوجد جمعاً كبيراً من المسلمين يعودون إلى الله ، فكتب رسالة صارخة يقول فيها: بعد سنوات، سوف يفرض الإسلام نفسه على أنف روسيا ، وهذا هو الذي حصل بالفعل ، مما جعل روسيا تشن حرباً شعواء في تلك الولايات الإسلامية التي منها الشيشان إذاً الأمة اليوم تمرُّ بتحديات ، والرسول ﷺ في الغربة الأولى ، مرَّ بتحديات ، لكن موكبه عليه الصلاة والسلام ، مرَّ بسلام ، وسلَّم الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه ، ومضى أبو بكر في خلافة سامقة راشدة عادلة ، وتولى عمر رضي الله عنه الخلافة من بعده ، وكان يخشى على نفسه من هذه التحديات، فقال للصحابة رضي الله عنهم كما في صحيح البخاري: هل سمع أحدٌ منكم قول الرسول ﷺ في الفتنة ، قال حذيفة رضي الله عنه : أنا يا أمير المؤمنين ، سمعته يقول:(فتنة الرجل في أهله وماله، تكفره الصلاة والصوم والصدقة) قال عمر رضي الله عنه : لست عن هذا أسألك ، أسئلك عن الفتنة التي تموج كموج البحر، قال: يا أمير المؤمنين دونك ودونها بابٌ ، والباب: هو عمر) قال عمر: أَيُفْتَحُ الباب أم يكسر، يعني: هل يموت أو يقتل ، قال: بل يكسر، فقال عمر : فوالله أحرى أن لا يغلق أبداً ، يقول حافظ إبراهيم:

قل للملوك تنحو عن مناصبكم .·. فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها
حسبي وحسب القوافي حين أهديها .·. أني إلى ساحة الفاروق أرويها
يا رب هب لي بياناً أستعين به .·. على حقوق العلى قد نام راعيها
قد كنت أعداء أعاديها فصرت لها .·. بفضل ربك حصناً من أعاديها

فذهب إلى الله الفاروق رضي الله عنه، واغْتيل عثمان وعلي رضي الله عنهما ولكن الإسلام يمدّ رواقه، فيصل إلى أسبانيا وطاشكند، وكلمبور، ويذهب التجار إلى أندونوسيا وجاكرتا، فيرون أخلاقهم وصدقهم في تجارتهم، فيسلمون. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾ [التوبة: ٣٢] أتى التتار، وما أدراك ما التتار، واجتاحوا العالم الإسلامي، دمّروا الكتب، وقتلوا الشيوخ، ولكن: هل قتلوا الإسلام؟ ثم أتى من بعدهم الصليبيون، وقتلوا من قتلوا من المسلمين، واستحلوا فلسطين ما يقارب تسعين عاماً، حتى جعلوا المسجد الأقصى، إسطبلاً لخيولهم، ولكن: هل استطاعوا أن يقضوا على الإسلام؟ كلا، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً من ذلك، يقول شيخ الأستانة، عالم عثماني مسلم: الإسلام يمرض ولكن لا يموت، تصيبه الحمى، يأتيه زكام، لكنه لا يموت أبداً.

كذلك الأمة متحداة:

١-في رسولها محمد ﷺ: أحد الأوثان الأصنام، سفيه معتوه يأتي من إفريقا ويقول: محمد بدوي لا يعرف علم الاجتماع، ولا علم النفس، ولا علم التربية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

[الكهف:٥] فماذا فعل هذا المنافق ، وماذا فعل غيره ، محمد عليه الصلاة والسلام هو الذي أنقذ أجداده من الظلمات إلى النور ، وهو الذي سيّر جده عقبة بن نافع إلى شمال أفريقا ، ليقف على الأطلنطي ويقول: يا ماء ، والله لو أعلم أن وراءك أرض ، لخضت بفرسي هذا الماء ، لأرفع لا إله إلّا الله ، محمد -عليه الصلاة والسلام - أتى بالرسالة الخالدة ، وأعلن حقوق الإنسان في عرفات ، وأقرّ مبادئ العدل والمساواة بين المسلمين ، حيث قال : (**لا فضل لعربي على عجم إلّا بالتقوى**) بلال مع أبي بكر ، وصهيب مع عمر ، وسلمان مع عثمان ، كلهم أخوة متحابين:

إن يختلف ماء الوصال ∴ فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد

أو يختلف نسب يؤلف بيننا ∴ دين أقمناه مقام الوالد

ثانياً: الأمة متحداة في دينها وفي شريعتها: فهم يقولون أن الشريعة الإسلامية لا تواكب العصر ، ولا تلبي حاجة الإنسان ، وأنها سبب التأخر في العالم، وأن الدين لم يجعل الناس يتطورون ، بينما غيرنا من الكفار وصلوا إلى القمر، وصنعوا الطائرة والصاروخ ، والدين حبسنا عن ذلك كله ، عجيب لهؤلاء المذبذبين في دينهم ، المغتربين بأفكارهم وعقولهم ، أساطين الكفر الآن يسلمون ، وهم من أشهر المخترعين ، فقد وُجد منهم من أسلم وهو يصنع الذرة ، ويصلي في اليوم خمس مرات ، ومنهم من أسلم وهو على سطح القمر ، ولذلك نقول لهؤلاء المذبذبين: أنتم الآن تخلّيتم عن دينكم، وكفرتم بالله وبشرعه ، وغسلتم أدمغتكم عن نور الهداية ، ومع ذلك لم تقدموا لنا شيئاً ، فهل صنعتم لنا كما صنع غيركم من الخواجة ، وهل قدمتم لنا الصاروخ والطائرة ، كلا ، والله ما رأيناهم قدّموا لنا شيئاً ، ولا

حتى الطباشير، إنما أتوا لنا بالباروكة والخنفسة والزحلقة وراء الغرب.

منهم أخذنا العود والسجاره ∴ وما عرفنا صُنع السيارة

كذلك من التحديات:

٣-المرأة المسلمة: فهي متحداةٌ في دينها وفي حجابها، وفي شرفها وكرامتها، فهم يقولون: الإسلام هضم المرأة حقها، وأحرمها حريتها، وسلبها إرادتها، ونحن نقول لهم: بالعقل لا بالنقل، سَلُوا المرأة في الصين، وفي الديانة البوذية، وعند الهندوس، وسلوها أين كانت في مذكرات استالين ولينين، وما هو موقفها في الحرب العالمية الثانية، حيث زُجَّ بها تحمل البندقية وصاروخة، وتركب طائرة، فأضحكت العالم بهذا الهراء، إذا ليس هناك هضم لها في الإسلام، فالإسلام أعطي المرأة حقها، أتى إلى المرأة وهي في الجاهلية لا تعطى نصيباً ولا ميراثاً ولا يُسمع رأيها، بل تُقتل وهي طفلة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ فلما أتى محمد عليه الصلاة والسلام، أتى بكتاب يقول فيه ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أتى -عليه الصلاة والسلام- وقال يوم عرفة: (**الله، الله في النساء، وما ملكت أيمانكم، إنهنّ عوان عندكم**) ثم أبدى حقوقها، وعلّمَها كيف تربي أطفالها:

الأم مدرسة إذا أعددتها ∴ أعددت شعباً طيب الأعراق

كذلك الأمة مُتحداة:

٤-في شبابها وفي جيلها: فهم يسعون إلى إغراقه في الشهوات والملذات، حتى يصبح الواحد منهم عبدُ كأس وغانية، الآن ملايين الشباب من

المسلمين يتعرضون لغسيل أمخاخ ، فلا تراهم إلّا مغنين أو مطبلين ، أو سكارى مخدرين ، ومكرفتين مائعين ، انزلق أحدهم من على المسرح ، فوقع على رأسه حتى خرج نخاعه فمات ، فقالوا شهيد الفن ، فيا سبحان الله ، يا لها من شهادة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] هؤلاء الشهداء كما يسمونهم ، يموتون على المسرح ، وفي أحضان المومسات ، أمّا حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب يموتـون في أرض المعركة من أجل لا إله إلّا الله ، شبابنا اليوم في الحارات والبارات وأماكن القمار ، وشباب محمد عليه الصلاة والسلام:

عباد ليل إذا جنّى الظلام بهم ∴ وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً ∴ يـشيـدون لنا مجـداً أضعناه

فيا أيها الشاب: أنت ابن من؟ أنت ابن خالد وسعد رضي الله عنهما ، وعمار وصلاح الدين ، ونجم الدين محمود وقطز ، أنت ابن الرجال الذين فتحوا الدنيا بلا إله إلّا الله ، فلماذا تتميّعْ وتتشبه بالنساء:

تغني بك الدنيا كأنك طارق ∴ رفيق صلاح الدين هل لك عودة
فإن جيوش الروم في الأقصى تنهى وتأمر ∴ أمـا لـك عـودة بعد هـذا وعـزة

يخبرنا أحد الدعاة الثقات ، أن شاباً سافر من الجزيرة العربية ، جزيرة التوحيد ، إلى بريطانيا ليدرس هناك ، فأُدخلَ على أسرة بريطانية ليعيش معها ، وكان يقوم لصلاة الفجر ، ويضع فراشه على الأرض ، ثم يذهب إلى صنبور الماء البارد ، فيتوضأ ويصلي ، فتقول له عجوز بريطانية: لماذا

تصلي في هذه الساعة ، وفي هذا الجو البارد؟ يقول لها: ديني يأمرني بذلك، فتقول: أخِرْهَا حتى يصحوا الجو ، فيقول لها: لو أخرتها ما قبلها الله ، فهزت رأسها تلك العجوز ، وقالت: هذه إرادة تكسّر الحديد ، فهؤلاء الشباب ، هم رصيدنا ورصيد الإسلام ، الذين يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويحفظون القرآن ، ويقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، هؤلاء الشباب ، أهل هداية واستقامة ، وأهل مسجد ومصحف ، هؤلاء الشباب ، أبداً لم يكونوا مسؤلين عن زعزعة الأمن ، ولا عن شرب الخمور والمخدرات ، ولا عن أشرطة الجنس والغزل ، لأنهم يريدون الخير للبلاد والعباد ، ولهذا فأعداء الإسلام يعملون على تخويف الرأي العام من هؤلاء الشباب الخيرين من هذه الأمة ، وإلصاق التهم الشنيعة بهم ، زعيمة ذلك إسرائيل، ومن ورائها الإذاعات العربية والغربية ، والقنوات الفضائية التي تصف هؤلاء الشباب بأنهم متطرفون، وأنهم إرهابيون ومتزمتون ، وتخوف الآباء والأمهات ، على أولادهم من الدين ، وأنه سبب التطرف والتخلف والتزمت، فيأتي بعض الآباء الطيبين ويصدقون مثل هذه الأكاذيب ، فإذا رأى ولده التزم بالإسلام ، واتجه نحو المسجد وأطلق لحيته ، قال: كان ولدي مهتدي ، وكان ولدي طيب ، فلما هداه الله ، واتجه إلى المسجد ، أصبح متزمتاً متطرفاً ، فبالله عليكم ، ما هذه النظرة الخاطئة، لّما كان الولد مع السهرات الليلية ، ومع القنوات الهابطة والأغنية الماجنة كان في نظرهم مهتدي وولد صالح ، وهذا في الحقيقة إن دلّ على شيء ، إنما يدل على مدى بعد الناس عن دينهم .واستجابتهم لأعداء الإسلام من العلمانيين والمنافقين ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (قبل الساعة سنوات خدَّاعة ، يُكذب فيها الصادق ، ويُصدق فيها الكاذب ، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون

فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضه ، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله ، قال: السفيه يتكلم في أمر العامة) وهذا ما نشاهده اليوم ، يخوفون الرأي العام من الالتزام بالدين ، ويخوفونهم من شباب الصحوة ، الذين هم وقودها وطليعتها الأولى ، كأمثال السيد قطب ، وأبو الأعلى المودودي ، يقولون لسيد قطب ، في الساعات الأخيرة من حياته: أكتب مذكرة اعتراف ، قال: ماذا أعترف؟ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقيل له: أكتب إدانة على نفسك وتخلي سبيلك ، قال: أبداً ، أصبعي التي شهدت بالوحدانية ، كل يوم خمس مرات ، تأبى أن تكتب زوراً ، ثم قال له أحد الناس ، وهو على المشنقة: يا سيد ، قل لا إله إلّا الله ، فقال: عجباً لك ، وهل أقتل إلّا من أجل لا إله إلّا الله ، فيحييه شاعر مسلم عظيم ، يقول :

يا شهيداً رفع الله به ∴ جبهة الحق على طول المدى
سوف تبقى في الحنايا رمزاً للفدى ∴ علماً قائداً في وجه الردى

كذلك الأمة متحداة:

٥ - في أخلاقها وفي أدبها وتراثها وتاريخها: يأتي إلينا طه حسين الأديب العربي الذي تربى على موائد الغربيين ، ويقول : إن معركة بدر لم تكن من أجل لا إله إلّا الله ، وإنما كانت: إحَنَناً وحزازات شخصية ، بين قريش والأوس والخزرج ، فيا سبحان الله ، معركة بدر التي فرّق الله بها بين الحق والباطل، لم تكن بين لا إله إلّا الله وبين الذين كفروا وعبدوا الأصنام بين إسلام، وكفر وشرك وتوحيد﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام :٥٥] ، يأتي هذا المجرم ويتنكّرْ للأدب العربي، ويقول: أبو نواس ليس بأديب ، عجيبٌ لهؤلاء ، المتنبي ليس بأديب ، الذي يقول عنه أحد

الأدباء المعاصرين: على نقّاد الأدب ، أن يحللوا أبيات المتنبئ تحليلاً كيمائياً ليعرفوا سرّ البلاغة والفصاحة العربية ، أبو نواس الذي يقول رغم ما قيل فيه:

تأمل في نبات الأرض وانظر ∴ إلى آثار ما صنع المليك

عينٌ من لجينٍ شاخصات بأحداق ∴ هي الذهب السبيك

على كثب الزبردج شاهدات ∴ بأن الله ليس له شريك

هذا هو الأدب ، وهذه هي البلاغة ، ولكن انظروا إلى أدبهم اليوم ، وهم يقولون ويفتخرون به: أنام على الرصيف ، أطير في الهواء ، أنزل في الماء ، أغوص في الإناء ، أخرجوا لنا هذه الأبيات ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأنعام :١٤٣] ما هي البلاغة في هذه الأبيات ، في عين شوكة، في عين ليمونة ، والله الذي لا إله إلّا هو ، إن هذه المقطوعات ، لتضحك الأطفال قبل الكبار ، أأدب هذا ؟ أين هم من قول أبي تمام:

السيف أصدق أنبائي من الكتب ∴ في حدّه الحدُّ بين الجد واللعب

فتح الفتوح تعالى إن يحط به ∴ نظم من الشعر أو نثر من الخطب

وأين هم من شوقي، الذي كان يخاطب الأمة، فَسُمِيَ: شوقي أمير الشعراء، لأن الشعب المصري كان يفهم ماذا يقول شوقي،كان يخاطب الأمة، لا يخاطب نفسه ، فيقول في ميلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام:

أسرى بك الله ليلاً إذْ ملائكة ∴ والرسل في المسجد الأقصى على قدمِ

فبكى الناس ، دخل شوقي -رحمه الله- إلى دمشق يعزي الشعب السوري، وقد هُدمتْ دمشق ، بمدافع فرنسا فاستقبلوه في المطار ، فخرج إليهم بقصيدة ، يقول فيها:

سلام من صبا بردا أرقّ ∴ ودمع لا يكفكف يا دمشق

فهذا هو الإبداع ، وهذا هو الأدب ، الذي ننشده وتنشده الأمة.



الإسلام يذبح

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أما بعد أيها المسلمون: الإسلام يذبح في كل مكان ، يذبح في فلسطين ، ويذبح في أفغانستان ، ويذبح في كشمير وأراكان ، وفي بورما والشيشان، أينما نظرت إلى الإسلام في بلد وجدته كالطير مقصوص جناحيه ، الإسلام يذبح في مجالات كثيرة ، يذبح في مجال الإعلام ، ويذبح في مجال التربية والاقتصاد ، ويذبح في مجال السياسة والحكم ، ويذبح في مجال التشريع والمعاملات والسلوكيات ، الإسلام يذبح بسكين المسلمين وخنجرهم، وهم الذين يتولون ذباحته بأيديهم ، تلبية لرغبات أعدائهم من اليهود والنصارى ، الإسلام يذبح بعدة سكاكين ، فقد ذُبح الإسلام:

١-في قرآنه الذي أنزل على محمدﷺ:﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[طه:١-٣] هذا الكتاب العظيم ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين،وسماه بالنور المبين، حيث قال-جل وعلا-

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة : ١٥- ١٦] الإسلام ذُبح في قرآنه ، بهجره وهجر تلاوته ، وعدم قراءته ، وهذه شكوى من رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام- بين يدي رب العالمين ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ [الفرقان : ٣٠] فقد وُجدَ من المسلمين ، بل من العرب الذين أنزل القرآن بلغتهم لا يعرفون أنَ يجوّدوا القرآن ، والقرآن جاء بلغة عربية فصيحة ، كما قال تعالى: ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨ ﴾ [الزمر:٢٨] وليس هذا انتقاصاً من الأعاجم المسلمين، فإن الله يقول : ﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ ﴾ [الأنعام:٨٩] ولكن المشكلة والفضيحة أنه وُجدَ من شبابنا اليوم ، ومن الذين تخرجوا من المدارس والجامعات ، ويحملون شهادات عالية ، لكنهم لا يجيدون قراءة القرآن ، ولا يتقنون مخارجَ حروفه وأحكامه ، وإذا سألتهم أن يقرؤا لك جريدة الصباح ، رتّلوها لك ترتيلاً ، وحبّروها لك تحبيراً ، وبعضهم يقرأ الصحف والمجلات يومياً ، ولا يقرأ آية من كتاب الله ، وبعضهم يقف على شاشات التلفاز ، سبع ساعات ، لكنه لا يستطيع أن يقف أمام آية واحدة يتلوها ويتدبرها ، ويعلم مستقرها ومستودعها، وبعضهم يرتاح لسماع الأغاني ولا يرتاح لسماع القرآن ، فإذا أردتَ أن تسمعه آياتٍ من كتاب الله ، قال لك: وهل عندنا احتفال ، أو أموات ، وكأن القرآن لم ينزل إلّا للاحتفالات والأموات ، وجمع المال ، والرسول ﷺ يقول: كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد (اقرؤا القرآن ولا تغلوا فيه.

ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به) فتصوّروا معي: كيف أنهم يضعون في المدارس مادة القرآن ، في الحصص الضائعة، كالسادسة مثلاً ، أو السابعة ، أو في يوم السبت ، أو في الأسبوع مرة ، والمصيبة الأعظم ، أن القرآن أبعدوه عن حياة الناس ، فلا يعملون به ، ولا يقفون عند حلاله وحرامه ، ولا يتحاكمون إليه ، وإنما يتحاكمون إلى الطاغوت ، وقد ذَكَرَ النبي ﷺ (أن أول من تسعر بهم النار ، ثلاثة: منهم رجل آتاه الله القرآن ، فيقول الله له بعد أن يُعَرّفَهُ نعمته ، ماذا عملت بهذا القرآن؟ فيقول: يا رب ، قرأت فيك القرآن ، وعلمته الناس ، فيقول الله له: كذبت ، إنما قرأت ، ليقال فلان قارئ ، فقد قيل ، ثم يؤخذ فيطرح في النار) ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام (والقرآن حجة لك أو عليك).

وكذلك ذُبح الإسلام:

٢-في التاريخ الإسلامي: فقد أصبحوا يقدمون لنا تاريخنا الإسلامي ، في مسلسلات ، وفي مسرحيات ، ويقولون: هارون الرشيد كان يشرب الخمر، وصلاح الدين كان يحب امرأة جميلة ، هذا الرجل الذي فتح المماليك ، ودوّخ المشرق والمغرب ، وأعاد المسجد الأقصى إلى حظيرة الإسلام ، يصبح في نظرهم مخموراً ، أو يمسي عاشقاً ، ويأتون إلى المعتصم بالله ، وينزلونه منزلة المَمازحْ والملاعبْ ، وكأنه بطّالٌ عطّالْ ، ما عنده إلّا هذه الهوايات ، المعتصم بالله الذي دك الجيوش ، وأحرق المدن ، ولبى النداء من بغداد لنصرة امرأة عجوز في عمُّورية احتمت بالإسلام ، يصورونه لنا برجل ضائع مائع ، وكأنه شهواني وبهلواني ، أو هارون الرشيد الذي كان يحج عاماً ، ويغزوا عاماً جعلوه لنا بطلاً من أبطال ألف ليلة وليلة ، ومن المضحكات ، قولهم أن رسول الله ﷺ ، كان قائداً ثورياً للفقراء الكادحين

ضد الأغنياء المتسلطين ، وأن صلاح الدين الكردي كان يدافع عن القومية العربية ، وبطلاً من أبطالها ، والحقيقة أن هذا التاريخ المعروض لدينا الآن تاريخاً مزوراً ، لأنه يعطي الأمة حجماً أصغر من حجمها بكثير ، ويضع الأقزام في مكان العماليق ، فالتاريخ أمانة وشهادة تؤدى لله ، ونحن لا نريد تزوير التاريخ الإسلامي، وإبراز الأمجاد والبطولات وحدها ، وإنما نريد كتابة التاريخ بأمانة كاملة وتجرد لله ، فالله تعالى أمرنا أن نقول الحق ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين، امتثالاً لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة : ٨] فتاريخنا ليس تاريخ الدولة الأموية ، أو الدولة العباسية ، أو دولة المماليك ، أو الدولة العثمانية، إنما هو تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء ، من مشرقها إلى مغربها ، ومن يزوّرُ هذا التاريخ ، فهو خائن كذاب ، يريد أن يغطي عين الشمس في رابعة النهار .

كذلك ذبحوا الإسلام:

٣-في اللغة العربية: كما يقول حافظ إبراهيم:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ∴ وما ضاقت يوماً عن آي به وعظات

فهي لغة القرآن ، الذي جاء بلسان عربي مبين ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت:٣] اللغة العربية: عدد ألفاظها أربعون مليون كلمة ، واللغة الإنجليزية أربعون ألف كلمة ، ولكنهم أبو أن يعترفوا بهذه اللغة العالمية ، وقالوا أن هذه اللغة ، ليست لغة صناعة ، ولا لغة تكنولوجية ، ولا نستطيع أن نسمي بها المستجدات والمصنوعات

الحديثة ، مثل: ميكرفون ، وتلفزيون ، وتلفون ، فهذه ليست في العربية ، ولا يعرفها سيبويه ، فردّ عليهم علماء اللغة ، بأن اللغة العربية لا تُعجزها هذه المسميات ، فصدر عن المجْمَعْ اللغوي في دمشق ، لفظ (فعّاله) لأكثر المصنوعات ، فقالوا: سيارة ، وطيارة ، وحراثة ، وحفارة ، وسماعة ، ونقالة ، وهكذا دواليك ، إذًا : اللغة العربية لغة واسعة متجددة تستوعب كل جديد ، تقول عن نفسها ، وتدافع عن مكانتها وقيمتها بين الأمم :

رموني بعقم في الشباب .·. وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي

أنا البحر في أحشائه الدّرُ كامن .·. فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وعليه فإن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ، يرى أن من تكلّم اللغة الأجنبية بغير حاجة ، علامة من علامات النفاق ، وهذا قد يحصل من بعض المسلمين ، وقد تجد منهم من يحييك بالإنجليزية ، بدلاً من تحية الإسلام ، ويقول لك: جود باي ، وهلو مستر ، وزعتر ، وينسى أن اللغة العربية ، هي لغة القرآن التي يجب أن يتخاطب بها المسلمون ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف : ٢].

كذلك ممّا ذُبح به الإسلام :

٤-الإهتمام بالشعارات الكاذبة ، والأقوال الفارغة ، والكلمات الرنانة: لذلك تسمعهم يقولون دائماً ، حضر صلاة العيد ، وقد حضر المولد النبوي الشريف ، وكأن الإسلام شعار ولافتة ، ولكن الله يُظهر الخبائث ، كما قال تعالى ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء :١٤٢] فالإسلام يريدونه في

المسبحة وفي السواك ، وفي صلاة الاستسقاء ، وفي القراءَة على الأموات، أما الإسلام في الحاكميّة والتشريع ، فلا وربك لا يؤمنون ، والإسلام في الجهاد ، كلا ، بل يسمونه همجيّة وبربرية وإزهاق للأنفس البريّة ، ويقولون: انتهى الآن وقت الجهاد والمقاتلة بين الشعوب ، لكن اليهود يقتلون إخواننا المسلمين في فلسطين بالعشرات والمئات ، فهذا لا يسمى إرهاب ولا همجيّة ولا بربرية إنما يسمى سلام واتفاق دولي وإنساني، والحقيقة أن هذه الأمة لا تحيا إلّا بالجهاد في سبيل الله ، وليس في الشعارات الكاذبة عن الإسلام ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : (إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، إلّا سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم) ومعنى الحديث: إذا شَغَلْتمْ أنفسكم بالدنيا ، وفتحتمْ مكاتب عقارية ، وأصبحتم في زراعة البطاطس والبقدونس وأخذتم أذناب البقر في الحراثة والزراعة ، وتركتم الرسالة الخالدة ، فانظروا ماذا يحل بكم ، من الذل والهوان .

إذًا الإسلام لا يأتي بالشعارات ، وإنما يأتي بالتضحيات ، عبد الحميد باديس، في الجزائر فسَّرَ القرآن في خمسٍ وعشرين سنة ، حتى كانوا يأتون إليه في مساء الجمعة في البغال والحمِير والجمال ، من أنحاء الجزائر فلمّا انتهى من سورة الناس ، بعد خمس وعشرين سنة ، قال للناس: ليس مقصودي من تفسيري لكم القرآنَ أن تكونوا نسخاً متكررة ،لا حياة فيها ، وإنما مقصودي أن تدمّروا فرنسا المغتصبة ، فخرجوا من المسجد يكبرون:

نحن الذين بايعوا محمداً ∴ على الجهاد ما بقينا أبداً

فذبحوا الفرنسيين على الطريقة الإسلامية ، ولذلك متران رئيس فرنسا الأسبق ، يقول: إنني لا أستطيع أن أتدخل في الجزائر ، لأنه يعلم مصيره الأسود الذي سيلاقيه إن فعل ذلك .

كذلك مما ذُبح به الإسلام:

٥-تفريق العالم الإسلامي إلى دويلات وإمارات صغيرة متناحرة: وقد وصلوا به إلى تمزقٍ وتفرقٍ ، لم يُعْهَدْ مثله في التاريخ ، ففي كل دولة أمير المؤمنين ومنبر **ولهذا قيل :**

مما يزهدني في أرض أندلسٍ ∴ ألقاب معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موطنها ∴ كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

دولٌ أكثر من التراب ، وكل دولة يضعون لها علم ، وسلام وطني، ومنتخب للكرة ، ويسمونها دولة ذات سيادة ، والأهم من ذلك كله، أن يكون لها فريق ، أو منتخب ، يمثلها في المحافل الدولية ، حتى لو كانت بحيرة أو مستعمرة ، أو تحت الوصاية الأمريكية أو اليهودية ، الآن الوطن العربي إنقسم إلى دويلات متناحرة ، بعد أن كان أمة واحدة ، من المحيط إلى الخليج ، عَلَمُهَا لا إله إلّا الله ، والله أكبر ، وحاكمها ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح:٢٩] ودستورها ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ [البقرة:٢] أما اليوم ، فقد ذبحوا الإسلام بهذه الدويلات العميلة ، فتارة إشتراكيّة ، وتارة بعثيّة ، وتارة مخضّريّة: بين الإسلام والكفر ، خمس وعشرون دولة ، لا تساوي جمهورية من جمهوريات روسيا الاتحادية ، ولا

ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن الاستعمار فرّقها ومزقها إلى دويلات ومحميات ، ولذلك بريطانيا لما استعمرت الوطن العربي ، جعلت بينه حدود ومشكلات ، فمشكلة بين مصر وليبيا ، وبين السودان ومصر ، وبين العراق والكويت ، والأردن وسوريا ، واليمن والسعودية، وهكذا مشكلات وحروب طاحنة .

إذًا : تمزيق العالم الإسلامي إلى دويلات ، مقصود لذاته ، وإلّا فالعالم الإسلامي ليس له حدود ، وجنسيته إيمان ، وهويّته لا إله إلّا الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

كذلك ذبحوا الإسلام:

٦-**باستحلال الربا:** بحيث جعلوه حلالاً ، يتعاملون به في البنوك الربوية، وفي سائر الشؤون الاقتصادية ، لقد أعلنوا الحرب مع الله ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .



كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أما بعد أيها المسلمون: إن الرسول ﷺ ربى جيلاً فريداً من أصحابه ، لم يشهد التاريخ مثيلاً له ، يوم أن أتى زعماء الطين والتراب ، فسحقوا شعوبهم ، ليربوهم عبيداً وأرقاء ، وطبقات مستعبدة ، ربى محمد ﷺ أصحابه على الحب والإخاء ، أتى محمد ﷺ ليخرّج من الأمة العربية البائسة، أمة ماجدة خالدة رائدة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢] هذا مجدُ الإسلام وتاريخ محمد -عليه الصلاة والسلام- فأين مجدكم أنتم قبل الإسلام؟ وأين تاريخكم قبل الرسالة الخالدة؟ أَمَجْدُ عنترة الإرهابي ، أم مَجْدُ حاتم المشرك على الوثنية ، أم مَجْدُ عبسٍ وذبيان ، وداحسٍ والغبراء ، كلا ، ولا :

إن البريّة يوم مبعث أحمد ∴ نظر الإله لها فبدل حالها

أصول التربية عند محمد ﷺ :

أتى محمد -عليه الصلاة والسلام- وربى أصحابه على حب الله وحب رسوله ﷺ ، يقول في حوار مكشوف: (**والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**) وعمر رضي الله عنه يقول له: يا رسول الله ، والله إنك لأحب لي من مالي وأهلي ومن ولدي ، إلّا من نفسي، قال: لا ، يا عمر) هذا هو الحب الصادق ، الذي ليس فيه مجاملة، وليس مصطنعاً ، والحب أثبت أصالته في المعركة ، يَهبُّ أنس بن النضر ، بسيفه من المدينة إلى أحد ، فيقول له: سعد بن معاذ عُدْ يا أنس ، قال: إليكِ عني يا سعد ، والله الذي لا إله إلّا هو ، إني لأجد ريح الجنة من دون أُحد، أليس هذا حب صادق ، معناه: الحب لله ولرسوله ﷺ ، ومن الذي دفع حنظلة الغسيل رضي الله عنه ، والحديث صحيح ، أن يترك زوجته في أول ليلة ، وهو عريسٌ ، يَهبُّ وعليه جنابة ، فَيُقْتَلْ في سبيل الله ، ويقدم دمه علامة على هذا الحب الرفيع ، حتى يقول عليه الصلاة والسلام وهو يلتفت إلى السماء (**والذي نفسي بيده ، إني لأرى الملائكة ، تغسّل حنظلة بين السماء والأرض**) ويأتي عبد الله بن عمرو الأنصاري والد جابر رضي الله عنهما ، فيتكفّن بعد أن يغتسل ويتطيب ، ويكسر غمد سيفه عند ركبته ، ويقول: اللهم خذ من دمي هذا اليوم ، حتى ترضى :

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها ∴ والجود بالنفس أغلى غاية الجودِ

يذهب فَيُقْتَلْ ، فيبكي ابنه جابر ، فيقول ﷺ : (**ابكي أو لا تبكي يا جابر، والذي نفسي بيده ، ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها ، حتى رفعته ، والذي نفسي بيده ، لقد كلّم الله أباك كفاحاً ، بلا ترجمان ، فقال: تمنى ، اسمع إلى الأمنية**

والطموح وعلو الهمة ، قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا ، فأقتلُ فيك ثانية ، قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون ، قال: تمنى ، قال: أتمنى أن ترضى عني ، فإني قد رضيت عنك ، فيقول الله : فإني أحللت عليك رضواني ، لا أسخط عليك أبداً):

ومن الذي باع الحياة رخيصة ∴ ورآى رضاك أعز شيء فاشترى
أَمَّنْ رَمَى نار المجوس فأطفئت ∴ وأبان وجه الصبح أبيض نيّرَ

هؤلاء ، هم أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، أما الأصل الثاني من أصول التربية:

٢- فقد ربّاهم على الشجاعة والإقدام: يقتحمون الأسوار ، ويُسْلِمُونَ أنفسهم وأرواحهم للسيوف تمزقها ليدخلوا جنة عرضها السموات والأرض، الحياة ليست عبودية للمادة ، الحياة ليست مستقبل ، وتأمين المستقبل ، يقولون للشابِّ في الثلاثين من عمره: أَمِّنْ مستقبلك ، فإذا مستقبله زوجة ، وسيارة ، وفله ، يموت من أجل الفلّة ، ويحيى من أجلها. ويسمي ذلك مستقبلاً ، وهذا ليس مستقبل ، لأن المستقبل أن تعيش حراً أبيّاً ، وأن تكون مؤمناً بالله، حتى لو لم يكن عندك سيارة ، ولا فلّة ، وأن تهيء لك مكاناً في جنة عرضها السموات والأرض ، ابن قطلوبة، وما أدراك ما قطلوبة ، سلطان سلجوقي لا يعرف الفاتحة ، دخل عليه ابن تيمية، فأمره ونهاه، وهز أكتافه بآيات الله ، فقال ابن قطلوبة: يا ابن تيمية يزعم الناس أنك تريد ملكنا ، وملك آباءنا وأجدادنا ، فيضحك ابن تيمية ويقول: ملكك وملك آباءك وأجدادك ، والله ما يساوي عندي فلساً واحداً، إني أريد جنة عرضها السموات والأرض ، فأتى -عليه الصلاة والسلام -

يربي أصحابه على الشجاعة والإقدام في سبيل الله ، ابن القيم - رحمه الله - يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة : ١١١] قال في كلام ما معناه: أنزل الله صكاً من السماء ، أتى به جبريل ، وأملاه محمدًا ﷺ ، ونص المعاهدة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴾ فتقدم أصحاب الرسول ﷺ بالثمن، فتبايعوا، فقال لصهيب الرومي: (ربح البيع أبا يحي) وقال ابن رواحه: والله لا نقيل ولا نستقيل ، ويقول ابن التيم: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإذا تفرقا وجب البيع ، أليس هذا أرقى علوم التربية عند ابن القيم -رحمه الله- أليس أولى أن تدرس كتب ابن القيم في الجامعات والمؤسسات، والمدارس والندوات والأمسيات ولا تدرس خزعبلات (ديكارت ــ وكنت) وكل عميل متزندق ملحد، إنها ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور: ٤٠] .

أحد الحاقدين من القبوريين المبتدعة ، يقول: كتب ابن تيمية و ابن القيم ما لقيت رواجاً في الأسواق من سوء نيات أصحابها ، فتصدى له الألوسي، وقال: كذبت يا عدو الله ، أما كتب ابن تيمية و ابن القيم فهي الذهبُ السبيكُ ، والعسل المصفَّى ، أما كتبك وكتب أسلافك لا تصلح إلّا أن تكون مخازن للأدوية ، وكراتين للعلاج ويوضع فيها الشعير للحمير والدواب ، هذا هو الأصل ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد:١٧] والشاهد من ذلك: هو تربيته ﷺ لأصحابه على

الشجاعة والإقدام ، في معركة مُؤْتَه ، يأخذ الراية جعفر رضي الله عنه فَتُقْطَعُ يده اليمنى فيتسلمها باليسرى ، فَتُقْطَعُ يده اليسرى فيحتضنها بصدره ويموت ، وهو يبتسم ، فيقول ابن رواحه رضي الله عنه :

يا حبذا الجنة واقترابها ×× طيبة وبارد شرابها ×× والروم روم قد دنا عذابها ××
كافرة بعيدة أنسابها ×× عليّ إن لاقيتها ضرابها

فيأتي خالد بن الوليد رضي الله عنه ، سيف الله المسلول ، بعد أن يُقْتَلْ القواد الثلاثة، ويقتحم الصفوف، ويأخذ السيف المهنّدي ، ويكسره على رؤوس الأعداء، ثم يأخذ الثاني حتى كَسَرَ ، تسعة أسيافٍ في هذه المعركة ، وما ثبت في يده إلّا صفيحة يمانية ، خالد بن الوليد رضي الله عنه :

تسعون معركة مرّت محجلة ×× وخالد في سبيل الله مشعلها ×× وما أتيت بقعة إلّا سمعت بها ×× الله أكبر تدوي في نواحيها ×× ما نازل الفرس يوماً إلّا خاب نازلهم ××
ولا رمى الروم إلّا طاش راميها

جنود إسرائيل في بعض المعارك مع العرب ، يحملونهم بالسلاسل والأغلال ، ويدخلونهم في الطائرات بالسياط والأمر العسكري ، ومع ذلك يفرّون ، لأنهم يقاتلون بلا مبادئ ، ولا شجاعة ، ولا طموح ، وبعض الجيوش العربية ، عندما دخلت إسرائيل ، قالوا لأحد قادتها: صلّي الظهر هنا ، قال: الصلاة إذا رجعنا إلى بلادنا ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، فترك حذائه وفرّ هارباً جباناً.

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ×× فلا رجعت ولا رجع الحمار

لكن محمدًا -عليه الصلاة والسلام- لقَّنَ أصحابه دروساً في الشجاعة

والإقدام ، عمير بن الحمام رضي الله عنه يسمع النبي ﷺ يخطب في بدر ، في ساعة الصفر ، وهو يقول: يا أهل بدر ، إن الله اطلع عليكم ، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، والذي نفسي بيده ، ما بينكم وبين الجنة إلّا أن يَقْتُلَكُمْ هؤلاء ، فتدخلوا الجنة ، فَيُلْقِي عمير بن الحمام رضي الله عنه بالتمرات التي في يده ، ويقول: بخ ، بخ ، إنها لحَيَاة طويلة ، إذا بقيت لأن آكل هذه التمرات، ثم يقاتل حتى يُقْتَلَ .

كذلك الرسول ﷺ :

٣-ربى أصحابه على الصراحة والوضوح: يأتي الطارف من رعيّته والبدويّ الأعرابي فيتكلم في حوار ساخن حار مع عمر رضي الله عنه وهو من على المنبر ، ما هناك ألغاز، ولا مجاملات ، ولا نفاق ، ولا تُقْيَة ، بل وضوح وصفاء ، أبناء الصحراء يعيشون في وضاءة الصحراء ، يأتي رجل فيقول: يا رسول الله، والحديث في الصحيحين ، هَلَكْتُ ، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على أهلي وأنا صائم ، فقال: اعتق رقبة ، قال: ما أملك إلّا رقبتي ، قال: صم شهرين متتابعين ، قال: وهل أوقعني فيما أوقعني فيه إلّا الصيام ، يعني: ما استطعت أن أصوم يوماً كاملاً حتى وقعتُ ، فكيف أصوم شهرين ، قال: أطعم ستين مسكيناً ، قال: على أفقر مني ، يعني: وأنا فقير لا أستطيع أن أطعم نفسي ، فكيف أطعم ستين ، قال: اجلس ، فجلس ، فأتى بمكيل من تمر ، أو من طعام ، الله أعلم به ، فقال عليه الصلاة والسلام: خذه ووزعه على الفقراء في المدينة ، قال: على أفقر مني يا رسول ، والله ما بين لابتيها رجل أفقر مني ، قال: خذه وأطعمه أهلك) إن الرسول ﷺ ربّى أصحابه أن يتكلموا بما في قلوبهم ، يأتيه رجل فيقول: يا رسول الله ، إئذن

لي في الزنا ، فإني لا أستطيع أن أصبر ، فقام الصحابة رضوان الله عليهم، يريدون أن يبطحوه أرضاً ، ويشربون من دمه ، فقال: دعوه ، ثم قرّبه إليه، ووضع يده الحبيبة اللطيفة على صدره ، وقال له: أترضى الزنا لأمك، قال: لا ، قال: أترضاه لأختك ، قال : لا ، قال: أترضاه لابنتك ، قال: لا، قال: أترضاه لعمتك ، قال: لا ، قال: أترضاه لخالتك ، قال: لا ، قال: افترضى للناس ما لا ترضاه لنفسك ، قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله، أستغفر الله من الزنا وأتوب إليه ، تربية خالدة ، ومعلّمٌ رائع جميل .

الأمر الرابع:

٤-الرفق واللّين: أتى -عليه الصلاة والسلام- بمدرسة اللين والرفق ، وما كان الرفق في شيء إلّا زانه ، وما نزع من شيء إلّا شانه ، يرسل الله عزوجل موسى وهارون إلى فرعون ، فيقول لهما وهما في الطريق: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه :٤٤] اللين: عجيب .

قال ابن المبارك -رحمه الله- :

إذا صاحبت قوماً أهل ودٍ ∴ فكن لهموا كَذِي الرحم الشفيقي
ولا تأخذ بزلّة كل قوم ∴ فتبقى بالزمان بلا رفيق

ديل كارينبي: مؤلف كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) أتى بأمور في الإسلام، وجاء بعض المربون من عندنا ، فنقلوا من كتابه ، ولم ينقلوا من صحيح البخاري ولا من مسلم ، فيا سبحان الله ، الرسول ﷺ يقول (تبسمك في وجه أخيك صدقة) ويقول عند الترمذي (ألا أنبئكم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: أحاسنكم أخلاقاً)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨].

يأتي أعرابيٌّ من الصحراء فيصلي مع النبي ﷺ، ولما انتهى من صلاته، يذهب إلى طرف المسجد فيبول، هذه كفارة مجلسه، تضيق به الدنيا، وكأنه لم يجد مكاناً يتبوَّلُ فيه إلّا مسجد الرسول ﷺ، فيقوم الصحابة -رضوان الله عليهم- يريدون أن يلقّنوه درساً من التعليم لا ينساه أبد الدهر، فيقول ﷺ: دعوه يكمل بوله، ثم صبوا عليه ذنوباً من ماء، انتهت المشكلة، الأمر سهل بالنسبة للرسول ﷺ، ثم يدعوا ذلك الأعرابي، ويمسح على كتفه، ويقول له: إن هذه المساجد لم توضع لشيء من هذا، إنما وضعت للتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، فما كان من هذا الإعرابي إلّا أن قال: بعد أن رأى من أخلاق الرسول -عليه الصلاة والسلام- اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فتبسم النبي ﷺ وقال: لقد تحجّرت واسعاً، إن رحمة الله وسعت كل شيء، ثم يُخبرهم عليه الصلاة والسلام، أنهم لو ضربوه لارتدّ عن الإسلام ودخل النار، وكذلك أعرابيٌّ آخر، يأتي إلى الرسول ﷺ، وفي رأسه وساوس، الله أعلم بها، فَيَجُرُّهُ من تلابيبه، حتى أثّرَ ذلك في كتفه وعنقه، ويقول له: يا محمد، اعطني من مال الله الذي أعطاك، لا من مال أبيك ولا أمك، فكان هذا الكلام أقبح من الفعل، ولو أُلْقِيَ مثل هذا الكلام على أحد من العملاء، أو واحداً من زعماء الظلالة والإلحاد، لقتله شرَّ قتلة، لكن الرسول ﷺ تبسّم في وجهه، أما الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم قاموا يريدون أن يؤدبوه

بالسيف والسنان ، فقال لهم الرسول ﷺ : دعوه ، ثم أخذه بيده وأعطاه من مال الله، زبيباً وحبّاً وثياباً ، فمن أراد الزبيب أخذه ، ومن أراد الحنطة أخذه، ومن أراد الثياب أخذه ، ومن أراد الإيمان والقرآن وحده أعطاه، ثم قال له: هل أحسنت إليك يا أعرابي ، قال: نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، ثم يقول للصحابة: أتدرون ما مثلي ومثلكم ، ومَثَل هذا الإعرابيُّ إلّا كمثل رجل ، كانت له دابة ، ففرت منه ، فلحقها ولحقها الناس ، فما زادت إلّا فراراً ، فقال الرجل صاحب الدابة: يا أيها الناس خلّوا بيني وبين دابتي ، أنا أَعْرَفُ بها ، فأخذ شيئاً من خشاش الأرض ومن خضارها، فأشار إلى الدابة ، فأتت وأكلت فأمسكها وقيّدها ، ولو تركتكم وهذا الأعرابيُّ لضربتموه ، ثم ارتدّ فدخل النار ، وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه ، أنه دخل المسجد وصلى مع النبي ﷺ فعطس رجل في الصلاة ، فقال معاوية: رحمك الله، لأنه كان لا يعرف الحكم الشرعي في هذه المسألة ، فعطس الرجل ثانية فقال له: رحمك الله ، فضرب الصحابة على أفخاذهم استنكاراً لهذا الفعل ، فقال الرجل: ويل أمي ، ماذا فعلت؟ زاد الطين بلّة ، يريدونه أن يسكت فزاد ، فلمّا سلّم عليه الصلاة والسلام ، يقول: معاوية رضي الله عنه ، فدعاني هو بأبي وأمي ، ما رأيت معلماً أحسن منه ، ولا أحلم منه ، ولا أرحم منه ، ما جهرني ولا سبّني ولا شتمني ، إنما وضع يده على كتفي ، وقال: إن هذه الصلاة لا تصلح للكلام ، إنما هي للذكر والتسبيح وقراءة القرآن .

أما الأصل الخامس من أصول التربية النبوية:

٥ - فالطموح وعلو الهمة: الرسول ﷺ ربى أصحابه على الطموح وعلو الهمة،

يقول له الصحابة: يا رسول الله ، شيءٌ من المال ، قال: لا ، بل الجنّة، لم يمنّي أبا بكر بالخلافة ، وما قال لعمر : سوف تكون الثاني ، ولا عثمان سوف تكون الثالث ، ولا قال لخالد: أنت سوف تكون قائداً عسكرياً ، إنما وعدهم بالجنّة ، أما الدنيا ، ليس عنده شيء ، عنده بيت من الطين ، وشقح من الخشب ، وعصى وشملة وحصير :

كفاك عن كل قصر شاهق عمد .·. بيت من الطين أو كهف من العلم

تبني الفضائل أبـراجـاً مشيّدة .·. نصب الخيام التي من أروع الخيم

إذا المـلـوك صـفـوا موائدهم .·. على شهيٍّ من الأفـلاك والأدم

صففت مائدةً للروح مطعمها عذب .·. من الوحي أو هدي من الكلم

هذه تربية محمد -عليه الصلاة والسلام - أمّا تلكم التربية الغربية، التي عليها شبابنا اليوم فهي ليست تربية ، ربّوهُ على ذلك ما يعرف إلّا الدراجة، وصيد الحمام والدجاجة ، وأكل البطيخ والمراسلة ، ولذلك سموه نجماً ، وليس بنجم ، وسألوه: كيف شققت طريقك في الحياة؟ قال: بدأت من الصفر، وهو ما يزال تحت الصفر ، أو أسفل منه بقليل ، يقول: بدأت من الصفر ، فثابرت وصبرت وسهرت الليالي الطوال ، فيا مسكين ، هل تسهر الليل بطه والأنفال ، أم بهود وأخواتها ، يقول عليه الصلاة والسلام (شيبتني هود وأخواتها)، أم تسهر الليل في صحيح البخاري ومسلم.

أيها الإخوة الكرام: هذه همّة سافلة حقيرة ، والذي يعيش بلا همّة ، وبلا رسالة في الحياة ، ليس بحيّ ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل:٢١] أبو بكر الصديق ﷺ ، تربّى على همّة عالية ، يقول عليه

الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري : (**إن للجنة أبواباً ثمانية ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، إلى آخر تلك الأبواب،** فيسكت الناس ، لكن أبا بكر ما يسكت، بل قال: يا رسول الله ، **ألا يدعى** أحد من تلك الأبواب الثمانية ، فيقول -عليه الصلاة والسلام-: **نعم ، وأرجوا أن تكون منهم)** .

مـن لي مـثـل سـيرك المـدلّـل ∴ تمشي رويـداً وتجـيء في الأول

دائماً أبو بكر في المقدمة ، في المرتبة الأولى ، همّة عالية ، وفي صحيح مسلم، أن النبي ﷺ أعطى أحد الصحابة مالاً ، واسمه (شَبَبَهْ) وكذلك أراد أن يعطي ، ربيعة بن مالك ، فقال: يارسول الله ، لا أريد المال ، قال: ماذا تريد؟ قال: كلمة بيني وبينك ، أناجيك ، فناجاه في أذنه ، وقال له: أريد مرافقتك في الجنة ، قال: أو غير ذلك ، قال: هو ذاك ، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود) أيها الإخوة: هذه همّة عالية ، والذي يعيش لا همّة ولا رسالة ، فهو إنسان ميت لا حياة فيه ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل:٢١] أما النبي ﷺ ، يريد من أصحابه أن يعيشوا حياتهم للجنة ، ومن أجلها ، ولذلك يقول أحد الصحابة: يا رسول الله ، أين ألقاك غداً؟ يعني: يوم الزحام ، ويوم العرض الأكبر على الله ، فيقول له: عند مواطن ثلاثة تلقاني ، عند تطاير الصحف ، أو عند الصراط ، أو عند الميزان) لذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: **(ألا من مشمر إلى الجنة، فوالذي نفسي بيده ، إن الجنة نور يتلألأ ، وقصر مشيد)** ولهذه الغاية يدخل عمرو بن سالم في معركة أحد ، والرسول ﷺ يخطب من

على المنبر ، فيقول: يا رسول الله ، لا تحرمني دخول الجنة ، أُخْرجْ بنا إلى أحد، فوالله لأدخلن الجنّة ، فتبسم النبي ﷺ من هذه الحرارات ، ومن هذه التوقدات الشبابية ، فقال: بماذا تدخل الجنة؟ قال: بخصلتين ، الأولى: بأني أحب الله ورسوله ، ولا أفرُّ يوم الزحف ، قال له: إن تصدق الله يصدقك ، فلمّا انتهت المعركة وقتل في سبيل الله جعل النبي ﷺ يمسح التراب عن وجهه ويقول: (**صدقت الله فصدقك الله ، صدقت الله فصدقك الله**) ذهبوا ولم يأخذوا شيئاً من حطام الدنيا وزينتها ، بل وجدوا أن ملاذ الدنيا ، وسمن الدنيا ، وعسل الدنيا، ولحم الدنيا ، لا يساوي عند الله شيئاً ، كما جاء في الحديث (**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافراً شربة ماء**) علو الهمة ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول: والله إني لأعلمكم بأحسن الطعام ، وألين اللباس ، وأوسع الدور ، ولكني أخشى أن يقال لي يوم القيامة ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف:٢٠] الآن هؤلاء المترفون، والكسالى والبطالون ، جرّبوا المبادئ الهدامة ، وسكنوا القصور وغاصوا في أعماق البحار ، ولبسوا أجمل اللباس ، فما وجدوا إلّا الطريق إلى الله ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠] ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] فيا ترى ، شابٌّ في الثلاثين من عمره، يجمع مائة شريط في الحب والغرام ، عنده همة عالية ، وشابٌّ لا يصلي الفجر في جماعة مع المسلمين ، عنده همة عالية ، وشابٌّ لا يراود نفسه على حفظ القرآن وتعلم الكتاب والسُّنَّة ، هل عنده همة عالية ، يقول الإمام الذهبي -رحمه الله - في ترجمة خالد أبو سليمان إن الروم في معركة اليرموك، قالوا له: تزعمون أنكم متوكلون على الله ، فإن كنتم كذلك ،

فاشرب هذه القارورة، وهي مملوءة سماً ، فقال خالد: بسم الله ، توكلت على الله حسبي الله ونعم الوكيل ، فما أصابه شيء بإذن الله ، ثم سحقهم في معركة اليرموك سحقاً ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (١٧٣) فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾[آل عمران:١٧٢- ١٧٤] .

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: تحدثنا معكم في موضوع سابق عن التربية الإسلامية التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ ، وكيف أتى محمد -عليه الصلاة والسلام - ليخرج من الأمة العربية البائسة أمةً خالدة ماجدة رائدة ، وضربنا لهذه التربية الرفيعة ، أمثلة كثيرة منها حنظلة الغسيل الذي ترك زوجته في أول ليلة من عرسه ، وذهب يقاتل في سبيل الله وهو جُنب، فيقول النبي ﷺ وهو يلتفت إلى السماء : (**والذي نفسي بيده ، إني لأرى الملائكة تغسّل حنظلة بين السماء والأرض**) .

المثال الثاني: والد جابر عبد الله بن عمرو الأنصاري رضي الله عنهما ، الذي اغتسل وتكفّن، وقال: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى ، فيذهب ويُقتل، فيبكي ابنه جابر رضي الله عنه فيقول له النبي ﷺ: (**ابكي أو لا تبكي يا جابر، فوالذي نفسي بيده ، ما تزال الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته ، والذي نفسي بيده ، لقد كلّم الله أباك كفاحاً بلا ترجمان ، فقال: تمنّى يا عبدي ، قال: أتمنّى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، قال: إني كتبت على نفسي ، أنهم إليها لا يرجعون ، فتمنّى ، قال: أتمنّى أن ترضى عنّي ، فإني قد رضيت عنك ، قال الله: فإني قد أحللت عليك**



رضواني ، لا أسخط عليك أبداً) .

أما المثال الثالث: خالد بن الوليد ﷺ وما أدراك ما خالد ، سيف الله المسلول، يَضرب لنا مثالاً حياً في العزة والشموخ والإباء ، لأنه تخرّج من مدرسة محمد ﷺ، وتربى على عينه تربية إيمانية ، ليواجه أعتى قوّتين في شمال الجزيرة العربية آنذاك ، ويهزّ كيان الفرس برسالة يقول فيها لزعيمهم: بسم الله الرحمن الرحيم،من خالد بن الوليد سيف الله إلى كسرى، أما بعد: يا كسرى أسلم تسلم،وإلّا فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، قَرَءَهَا كسرى ، فارتعدت فرائصه ، واهتز كيانه وجوانحه ، فأرسل رسالة إلى ملك الصين ، يطلب منه المدد ، أتدرون ماذا ردّ عليه ، إنه ردّ يعتذر ، وقال: يا كسرى ، لا قبل لي بقتال قوم إذا أرادوا خلع الجبال لخلعوها .

أما الروم ، فقد أتى خالد بن الوليد إليهم في معركة اليرموك وعرض عليهم ، إما الإسلام ، وإما الجزية ، وإما السيف، فقال له ما هان زعيم الروم: أما قد عَلِمْنَا أنّ ما أخرجكم من بلادكم إلّا الجوع والحاجة ، فهلمُّوا إلي أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاماً ، وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل، بعثنا لكم بمثلها،فقال خالد ﷺ : إنه لم يخرجنا من ديارنا ما ذكرت ، غير أنّا قوم نشرب الدماء شرباً ، وإنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فأتينا لكي نشربها ، والسؤال الذي يطرح نفسه ، من أين اكتسب خالد بن الوليد ﷺ هذه العزة، وهذا الشموخ الحقيقة أنه اكتسبها من الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، اكتسبها من تربية محمد ﷺ الذي رباه ، أن يكون جنديّاً لبيباً ، وسيفاً مسلطًا على أعداء الله .



احفظ الله يحفظك

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً.......

أما بعد أيها المسلمون:

من يتق الله يُحمدُ في عواقبه ∴ ويكفيه شرَّ من عُّزوا وهانوا

من استجار بغير الله في فزع ∴ فإنَّ ناصره عجزاً وخذلاً نوا

فالزم يديك بحبل الله معتصماً ∴ فإنه الركن إن خانتك أركانوا

صح عنه عليه الصلاة والسلام ، عند الترمذي وأحمد ، أنه قال لابن عمه ، حبر الأمة ، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : **(يا غلام ، إني أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء ؛ يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا**

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفّت الصحف) وزاد أحمد في المسند (واعلم أن الفرج مع الكرب ، وأن النصر مع الصبر ، وأن مع العُسر يُسر) هذا الحديث صحيح ، هذا الحديث الذي أدهش العلماء ، وحيّر الفقهاء ، وأنس به الخائفين والمفزوعين ، بل هو أعظم وصيّة للأولين والآخرين ، ولذلك يقول أحد الصالحين: إذا أردت أن توصي حبيبك أو صديقك أو ابنك ، فقل له: احفظ الله يحفظك، وأنا أوصي إخواني المسلمين بهذا الحديث ، أن يقرؤه ويحفظوه ويدرسوه ، احفظ الله يحفظك ، هذه الوصيّة النبوية تُوَجَهُ لكل صنف من الناس، تُوَجَهُ للمسافر إذا أراد أن يسافر ، فقل له: احفظ الله يحفظك ، وتُوَجَهُ للتاجر الذي يخشى على تجارته من الهلاك ، احفظ الله يحفظ لك تجارتك ، وينمّيها لك ، ونقولها للملوك والأمراء والوزراء ، وللأطباء والمهندسين، وللتجار والفلاحين ، وللرجال والنساء ، احفظ الله يحفظك﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ قالها يعقوب لمّا ضاع منه يوسف ، وتذكّر أن الذئآب سوف تأكل يوسف ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

قال بعض العلماء: ضاع يوسف من أبيه أربعين سنة ، فحفظه الله ، وردّه إليه بعد أربعين سنه ، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف: ٦٤] الله يحفظك في كل مكان ، يحفظك وأنت في بطن أمك ، ويحفظك صغيراً وكبيراً ، ويحفظك في الجو والبر والبحر ، أتى المحبّ الطّبري ، أحد علماء الإسلام إلى سفينة ، فركبها ، فلما أراد أن يبلغ إلى الشاطئ ، وهو في السبعين من عمره ، قفز من على ظهر السفينة ، فأراد الشباب والفتيان أن يقفزوا مثله ، فما استطاعوا ، فقالوا: يا إمام ، كيف استطعت وأنت شيخ كبير ، قال: هذه أعضاء حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر ﴿ فَٱللَّهُ

خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤] الله يحفظك في سمعك وفي بصرك وفي قوتك،، كما جاء في الحديث القدسي ، أن الله جل وعلا يقول: (ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه) الله عز وجل ، قد يسخّرُ لحفظك جنوداً من جنوده ، فمثلاً هذا البحر الهائج ، الذي يحتوي سمكاً وحوتاً ، وأمواجاً مخيفة ، قد يجعله الله لك حفظا ، وناصراً ومعينا .

روى الإمام البخاري في صحيحه ، أن رجلاً إسرائيلياً من بني إسرائيل ، استلف ألف دينار من إسرائيلي آخر ، لا يعرفه ، فقال ذلك الآخر: من يكفلك عندي، أنا لا أعرفك، قال: الله يكفلني، وهو حسبي، فقال الرجل: رضيت بالله نعم المولى ونعم النصير ، ولهذا يقول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ∴ وليس وراء الله للمرء مذهب

لأن بلّغ الواشون عني وشاية ∴ لمبلّغكَ الواشي أغشى وأكذب

يقول: حلفت لك بالله ، فتريد وراء الله قَسَمْ ، قال الرجل: من يكفلك عندي ، قال: الله الواحد الأحد ، قال: من يشهد لك ، قال: يشهد لي الله ، قال: رضيت بالله شهيداً وكفيلاً ، ثم كتبوا بينهما صكّاً إلى أجل ، وأعطاه ألف دينار ، وذهب المقترض ، وهو لا يدري أين دهب ، ولا يعرف مكانه ولا منزله ، ولمّا أتى وقت السداد ، وحان الأجل ، أراد المقترض أن يركب البحر ، ليوصل هذا الدَّيْن إلى صاحبه ، فإذا أمواج البحر تتعالى ، وإذا الهول أمامه ، وما وجد سفينة ولا قارباً ، يرسل هذا الدين معه ، فدمعت

عيناه، وقال: يا رب ، طلب مني كفيلاً ، فرضي بك ، وطلب شاهداً فرضي بك، اللهم ادفع له هذا المال ، وأخذ خشبة فنقرها ، ثم كتب رسالة ووضع فيها ألف دينار ، ثم أرسل ذلك الناقور في البحر ، وفي نفس الميعاد ، خرج ذلك الرجل الأول ، صاحب المال ، ينتظر صاحبه في الموعد المحدد ، بينما انتظر كثيراً ، لكن صاحبه لم يأتِ ، وما قدمت سفينة ولا قارب ، وإذا بالبحر يرمي عليه خشبة ، فقال في نفسه: لا أفوّت سفري وانتظاري على الشاطئ ، فسآخذ هذه الخشبة حطباً لأهلي ، ثم ذهب وكسر الخشبة ، فوجد فيها ما لم يكن يتوقعه ، وجد الرسالة ومعها ألف دينار ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤] احفظ الله يحفظك .

خرج عقبة بن نافع قائد المسلمين ، ليفتح شمال إفريقيا ، فلمّا وصل إلى هناك ودخل غابة إفريقيا الموحشة، اعترضته الوحوش والأسود والحيّات والعقارب ، فصلى ركعتين ، ثم صعد على جبل وسط الغابة ، وقال: أيتها الوحوش ، أيتها الأسود ، أيتها السباع ، أيتها الحيات ، أيتها العقارب ، نحن أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام،جئنا نفتح الدنيا بلا إله إلّا الله، فادخلي إلى جُحُورِكِ ولا تؤذينا ، فدخلت إلى جُحُورها ، لذلك يقول محمد إقبال :

بمعابد الأفرنج كان آذاننا ∴ قبل الكتائب يفتح الأمصارا

لن تنسى إفريقيا ولا صحراؤها ∴ سجداتنا والأرض تقذف نارا

كنا للسيوف نقدم رؤوسنا ∴ لم نخشى يوماً غاشماً جبارا

خالد بن الوليد أبو سليمان رضي الله عنه إلتقى بالروم في معركة حامية الوطيس،

كان يظن خالد أن عدد الروم يبلغ خمسين أو ستين ألفًا ، وإذا به يفاجأ، أن عددهم مائتين وثمانين ألفًا ، وفي الصباح الباكر مع طلوع الشمس، أقبلت كتائب الروم تتهدّر،حتى ملئت الجبال والأودية والسهول، في هذا الموقف العصيب ، إلى من يلتجئُ خالد ، يلتجئُ إلى هيئة الأمم، أو إلى مجلس الأمن ، كلا ، إنما يلتجئُ إلى الله الواحد الأحد ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] التفّ حوله القوّاد، يَرَوْنَ ماذا يفعل خالد ، لكن خالد كتب رسالة إلى شيخ بوادي السماوه، وهو عربي مسلم اسمه عياض ابن غنم ، ولذلك تقول العرب: أقصر كتاب في التاريخ كتاب خالد إلى عياض بن غنم ، لأن خالداً ما كان عنده وقت للكتابة ، فأخذ رسالة قصيرة ، وكتب فيها إلى شيخ قبائل العرب: بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم ، إيّاك أريد ، أدركنا ، وتمهّل خالد ، ولم يدخل مع الروم في حرب غير متكافئة، حتى يصل جواب الرسالة ، فلما وصلت الرسالة إلى عياض بن غنم ، وقرأ ما فيها، بكى وأخذ يَحشد من قبائل العرب ، فما أتى الليلة الثانية إلّا وقد جمعوا لخالد حشودًا كبيرةً، ولكن هيهات ، قبائل الروم مئتان وثمانون ألفاً ، جيش عرمرم متدربون وقادة ، جاء أحد المسلمين إلى خالد وقال: يا خالد، ما أكثر الروم ، وما أقلّنا ، اليوم نفر إلى جبل سلمى وآجا، فدمعت عينا خالد ، وقال: كلا ، بل نفر إلى الله الملتجأ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف:٦٤] ثم جرّد السيوف ، وبدأ النزال ، وما أتى ثلاثة أيام ، إلّا وسحقهم سحقاً ، وتركهم في كربة شديدة ، لا يعلمها إلّا الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال:١٧] احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، رَوَىَ ابن كثير وأبو نعيم ، أن صلة بن أشيم كان من عبّاد الليل ، يقوم من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر ، وهو في صلاة ومناجاة:

قلت لليلٍ هل بجوفك سرٌّ عامر بالحديث والأسرار ** قال لم ألقى في حياتي حديثا كحديث الأحباب في الأسحار ، خرج صلة بن أشيم يغزو مع قتيبة بن مسلم في خراسان ، قريباً من كابول ، التي ضيعناها يوم أن ضيعنا لا إله إلّا الله ، وكان صلة إذا نام الجيش ، يدخل غابة ويصلي فيها ويبكي بين يدي الله ، وبينما هو يصلي ، إذ يأتيه الأسد ، وأنتم تعرفون من هو الأسد ، حيدرة ، اللّيث ، الذي سمّته العرب ملك الحيوانات، له تسعة وتسعون اسماً ، إذا زَئَرَ الأسد في وادٍ ، فإن العرب ينتقلون ويرتحلون منه، وهم من أشجع الناس ، لكن صلة بن أشيم خرج عليه الأسد وهو يصلي في الغابة ، فما تحرك من مكانه ولا تحول ، واستمر في صلاته حتى سلَّمَ ، ثم التفت إلى الأسد وقال: يا حيدرة ، يا ليث ، إن كنت أُمرت بأكلي فكلني ، فإنه ليس معي سلاح إلّا حماية الله ، وإن كنت ما أُمرت بقتلي ، فاذهب واتركني أصلي ، الله أكبر ، احفظ الله يحفظك ، عند ذلك قام الأسد ، ولَوَىَ ذنبه ، ثم ولىَّ ، حتى دخل في جحره ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] فنحن يوم أن كنا صادقين بلا إله إلّا الله ، سخّر الله لنا الأسود والوحوش والحيّات ، ويوم أن ضيعنا حفظ الله ، سلّط علينا الفئران والحشرات ، لذلك يقول أحد الأدباء المسلمين ، لمّا رأى إسرائيل هاجمت بلاد العرب ، وأخذت بيت المقدس ، يقول:

أيا عمر الفاروق هل لك عودة .·. فإن جيوش الروم تنهى وتأمر

رفاق صلاح الدين في الأغوار شدّوا .·. سروجهم وجيشك في حطين صلوا وكبروا

نساء فلسطين تتحنى بالأسى .·. وفي بيت لحم قاصرات وقصّروا

يوم أتى عمر الفاروق رضي الله عنه ليفتح بيت المقدس التي ضيعناها يوم أن

ضيعنا الله ، قال عمر لخادمه: إركب أنت ساعة وأنا أركب ساعة ، قال: يا أمير المؤمنين ، كيف نواجه الناس وأنت تقود الجمل ، قال: لا أم لك، مَنْ أنا، كنت أسمى في الجاهلية عمير ، اركب ساعة وأنا ساعة ، فلمّا أشرف عمر رضي الله عنه على جيوشه وقوّاده في الشام، منهم عمرو بن العاص، وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنه وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، ويزيد ومعاوية ، إبنا أبي سفيان ، تقدّم إليه عمرو بن العاص وقال: أخجلتنا يا أمير المؤمنين، كيف ستقابل ملك الروم ، وأنت تقود الجمل ، وتلبس هذه الثياب المرقعة، فقال: ويحك يا عمرو ، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، ولهذا فلن تجدوا العزة من أعداءكم ، ولن تجدوها في الأمم المتحدة ، أو مجلس الأمن ، لا تخافوا من أمريكا اليهودية ، وأعوانها اليهود ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف: ٦٤] .

ومن حفظ الله لك أيها المسلم أن يحفظك من الظالمين والجبارين والمتكبرين، دخل المهدي الخليفة العباس مسجد الرسول ﷺ، وفي المسجد أكثر من خمسمائة من طلبة الحديث وفيهم ابن أبي ذئب، أحد العلماء المحدثين ، من رواة البخاري ومسلم ، فقام الناس جميعاً للخليفة إلّا ابن أبي ذئب ، فقال المهدي الخليفة: يا ابن أبي ذئب ، قام الناس لي جميعاً إلّا أنت ما قمت لي، قال: والله الذي لا إله إلّا هو، لقد أردت أن أقوم لك،فلمّا تهيئت للقيام تذكرت قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين: ٦] فتركت هذا القيام لذاك اليوم ، فهزّ رأسه وسكت، ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤] وروى ابن كثير ، والذهبي وغيرهما، أن عبد الله بن علي العباس كان ملكاً جبارا ، لا يبتسم أبداً ، حرسه ما يقارب ثلاثين ألفًا ، دخل دمشق بخيوله وبغاله في المسجد الأموي، وقتل

في ساعة واحدة ، أكثر من ستة وثلاثين ألف من المسلمين، ثم قال للناس: هل ترون أحداً يعارضني فيما فعلت ، قالوا: لا أحد ، وإن كان ولا بد ، فالأوزاعي ، والأوزاعي أمير المؤمنين في الحديث زاهد عابد، قال: ائتوني به ، فذهب الجنود يأتونه به ، فلمّا علم بذلك الأوزاعي ، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل ، انتظروني قليلاً ، ثم ذهب واغتسل ولبس أكفانه تحت الثياب ، لأنه يعلم أن المسألة موت أو حياة ، قتل ودم ، ثم دخل على هذا السلطان المتكبر ، وهو على سريره ، وبيده خيزران ، وقد انعقد في جبينه عقدة من الغضب ، يقول الأوزاعي -رحمه الله- : والله الذي لا إله إلّا هو ، لقد رأيته أمامي كأنه ذباب ، ثم جلس والسيّاف عند رأسه، وقال: يا أوزاعي ، ما رأيك في الدماء التي أرقناها؟ قال الأوزاعي: حدثنا فلان، حدثنا فلان ، حدثنا فلان ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا يحل دم إمرء مسلم إلّا بإحدى ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة**) فإن كان الذي قتلتهم من هؤلاء ، فقد أصبت، وإن لم يكونوا من هؤلاء ، فدماؤهم في عنقك ، عند ذلك أخرص قليلاً، ونكسَّ بالخيزران ، ثم قال: وما رأيك في الأموال التي أخذناها؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلال فحساب ، وإن كانت حرام فعقاب ، فسكت مليّاً ، ثم قال: خذ هذه البدرة ، كيس مملوءٌ من الذهب ، لكن الأوزاعي أبى أن يأخذ الكيس ، وقال: لا أريد المال ، فغمزه أحد الوزراء ، أن يأخذ الكيس ولا يُغضب الأمير ، فأخذ الكيس ووزعه على الجنود ، ثم رمى به وخرج، ولمّا خَرَجَ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] أما الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذي تقول فيه ليلى الأخيليّة:

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد ∴ إلّا الخليفة والمستغفر الصمد

تقول: أنت يا حجاج ، ما فوقك إلّا الله ، ثم الخليفة ، كان الحجاج ، سفّاح سفّاك ، يتلذذ بقتل الناس ، حتى أنه قال عن نفسه: رأيت في المنام أن الله عذّبني بكل نفس قتلتها ، مرة واحدة ، إلّا سعيد بن جبير ، قتلني به سبعين مرة ، أتى الحسن البصري والناس مجتمعون عند قصر الحجاج، يطلبون منه أعطيات ، فوبّخهم وقبّحهم ، ثم سبّ الحجاج ، وقال: هذا الغشوم الظلوم ، يبطش بطش الجبارين ، ويلبس لباس الفسقة ، ثم يقرأ القرآن على لخم وجذام ، ويعظ وعظ الأبرار ، ثم استمر يذكر معايب الحجاج ، حتى خشي عليه أحد السامعين ، فقال: حسبك يا أبا سعيد ، حسبك ، فقال: لا ، لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ، ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، فغضب الحجاج غضباً شديداً ، وقال: إليّ به ، والله لأقتلنه هذا اليوم ، ولما ذهب إليه ، رفع يده إلى السماء ، وقال: اللهم اجعل غضب الحجاج عليّ برداً وسلاماً ، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، ولّما دخل عليه ، قذف الله الرعب في قلب الحجاج ، واستقبله استقبالاً طيباً ، وأكرمه وأجلسه على سريره ، ثم طيّب لحيته وانصرف من عنده ، بحفظ الله ورعايته ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] وبعدها توفي الحسن البصري رحمه الله، فكان الحجاج ، إذا مرّ على قبره، يقول: والله لم أكن أخشى أحداً في هذه الحياة ، إلّا صاحب القبر هذا ، أي الحسن البصري ، ومع هذا لم يكتفِ الحجاج بتذكير العلماء والدعاة ، بل استمرّ في غيّه وظلمه للناس ، وامتهانة لحقوقهم وأعراضهم ، يَرْوي لنا طاووس بن كيسان قصة رجل فقير ، زاهد عابد من أهل اليمن ،

ذهب يحج إلى بيت الله الحرام ، وشاءت إرادة الله ، أن يدخل الحجاج بجنوده وخدمه وحشمه إلى الحرم ، وهذا الرجل اليمني الزاهد العابد ، ما يزال يطوف حول البيت ، وفي أثناء ذلك والناس مشغولون بالطواف، تعلّقت حربة من الحراب التي يحملها جُنْدُ الحجاج بثوب ذلك الرجل الأعرابي اليمني ، فوقعت الحربة على الحجاج فأمسكه الحجاج ، وقال له: من أنت؟ قال: مسلم ، قال: من أين أتيت؟ قال: من اليمن ، وكان أخوه محمد بن يوسف الثقفي ، يحكم في اليمن ، وكان ظلوماً غشوماً مثل أخيه الحجاج ، فقال لذلك الرجل اليمني: كيف تركت أخي عندكم ، قال: تركته سميناً بطيناً يأكل كثيراً ، قال: ما أسألك عن صحته ، أسألك عن عدله ، قال: تركته غشوماً ظلوماً ، لا يرقب في مؤمن إلّا ولا ذمة ، قال: أما تدري أنه أخي ، قال: ومن أنت؟ ، قال: أنا الحجاج ، قال: أتظن أنه يعتزّ بك أكثر من اعتزازه بالله ، هذا الجواب في قاموس الحجاج ، جريمة لا تغتفر ، لكن الله سلّم ذلك الرجل ، وأفلته الحجـاج دون عقاب ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة:٢٣] ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف :٦٤] ،لا تخشى على نفسك، ولا على أولادك من بعدك ، ما دمت حافظًا لله ، الله يحفظك في نفسك وفي أولادك ، عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الراشد ، حضرته الوفاة ، وله أطفال كثير ، قيل: سبعة ، وقيل مع البنات: أربعة عشر ، تُوفِّي عنهم وليس عندهم شيء من المال ، ولما حضرته الوفاة جمعهم ، فدمعت عيناه ، وقال: يا أبنائي، ما خلّفت لكم مالاً ، ولا جاهاً، وإنما خلّفت لكم الله الواحد الأحد ، فإن كنتم طائعين ، فسوف يحفظكم الله ، وإن كنتم عصاة ، فما تركت لكم ما تستعينون به على المعصية ، ثم تركهم ومات ، وليس عندهم شيء من

متاع الدنيا ، لكن الله جل وعلا ، حفظ أبنائه من بعده ، حتى قال العلماء: كان أبناؤه من أغنى الأغنياء في الناس ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف:٦٤] أما القاهر الخليفة العباسي ، فقد اكتنز لأولاده مالاً كثيرًا ، وحفر بركاً وخزانات في الأرض ، مَلَئَهَا بالذهب والفضة ، ثم قال لأولاده: يا أولادي لا تخشوا الفقر ، فقد ملئت لكم هذه الخزانات مالاً ، لو وُزّع على أهل بغداد لكفتهم ، لكنه ضيّع الله فضيعه الله ، وأخذ من خلافته وصُودرتْ أملاكه لمن بعده ، وسملت عيناه في الحديد الحار ، حتى صار أعمى ، وأصبح يقف في المسجد الكبير في بغداد ، ويقول: من مال الله ، يا عباد الله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، انظروا إليه يوم أن ضيّع الله ، كيف ضيعه الله.

عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة ، كان يقول: يا ليتني ما عرفت الخلافة ، يا ليتني ما عرفت الملك ، يا ليت أمي لم تلدني ، احفظ الله يحفظك ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] ومن الشعراء من حفظ الله ، فحفظه الله ، منهم حسان بن ثابت رضي الله عنه ، الذي كان يحفظ الله في شعره وفي أدبه كان يمدح الدعوة ، ويمدح رسول الدعوة ، محمد ﷺ ، حتى أنه في بيت من قصائده ، يسبّ مشركي قريش ، فيقول:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ∴ فليغلبنّ مغلبَ الغلّاب

وسخينة: يعني بها قريش ، فقد كانت العرب تسبّ قريش بالسخينة ، وهي نوع من أنواع الطعام ، كانت قريش تحبها ، فقال ﷺ لحسان ، وهو يبتسم (لقد شكر الله لك بيتك يا حسان) لذلك قال الزهريّ: أفخر بيت قالته العرب ، قول حسان:

وبيوم بدر إذ يصدُّ وجوههم ∴ جبريل تحت لوائنا ومحمدُ

يقول: تحت قيادتنا المسلحة ، جبريل ، فيكف نغلب اليوم ، فهو قائد الشعراء إلى الجنة ، لأنه حفظ الله في لسانه وفي أدبه ، ومنهم ابن رواحة أتى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله:

ثبّتَ الله ما آتاك من حسنٍ ∴ تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فتبسم -عليه الصلاة والسلام- وهناك في المقابل من ضيّع الله على ذكر الأدب ، منهم امرء القيس ، ضيّع شبابه في المعصية ، ما عرف إلّا النساء والخمر ، فضيعه الله ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام (قائد الشعراء إلى النار ، امرء القيس) ومعه ابن هاني الأندلسي ، أحد الشعراء الفجرة ، دخل على خليفة من الخلفاء ، وأخذ يمدحه ، ويقول:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ∴ فاحكم فأنت الواحد القهار

فعلمه الله من هو الواحد القهار ، فكان يعوي على فراشه كما يعوي الكلب ، ويقول: أنت الواحد القهار ، وأخذ يبكي ويقول:

أبعين مفتقر إليك نظرت لي ∴ فأهنتني وقذفتني

لست الملوم أنا الملوم لأنني ∴ علّقت آمالي بغير الخالق

وهذا القروي ، أحد الشعراء المعاصرين المنحرفين ، الذين ضيّعوا الله ، فضيعهم الله ، نزل إلى دمشق وقال:

هبوا لي ديناً يجعل العربَ أمة ∴ وسيروا بجثماني على دين برهمِ

ثم يقول :

أيا مرحباً كفراً يؤلف بيننا ∴ وأهــلاً وسهلاً بعده بجهنَّم

فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، ومات في الحمام ، في دورة المياه أعزكم الله، وما عُلِمَ به إلّا بعد ثلاثة أيام ، وقد أصبح جيفة قذرة ، فمن ضيّع الله ضيّعه الله .

البرامكة في عهد هارون الرشيد ، كانوا وزراء ومقربين لديه ، وكانوا يعيشون حياة مَلِيئَةً بالفجور ، فُحش وغناء ، وخمر ومجون ، ضيّعوا أوامر الله ، فسلّط عليهم أحب الناس إليهم ، هارون الرشيد ، أخذهم في غداة واحدة ، وقتل شبابهم ، وأخذ نساءهم وأطفالهم ، وجعلهم في مستعمرات تحت الأرض ، وبقي أبوهم الشيخ الكبير في السجن ، سبع سنين ، حتى طالت أظافره ، فما وجد مقراضاً يقلّم أظافره ، وقد سئل أحدهم ، يسمّى ابن خالد البرمكي ، ما الذي أنزلكم هذه المنزلة ، بعد النعيم والثريد ، بعد الذهب والحرير ، قال وهو يبكي: دعوة مظلوم سرت في ظلام الليل ، غفلنا عنها وما غفل الله عنها ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام (**واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، يرفعها الله فوق الغمام ، ثم يقول لها وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**) .

كذلك من حفظ الله أن يحفظ الإنسان لسانه من حديث السوء ، لذلك يقول -عليه الصلاة والسلام- لمعاذ وقد أخذ بلسانه:(**كف عليك هذا، قال: وإنا لمؤآخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟، قال: ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يُكبّ الناس في النار على مناخرهم أو على وجوههم ، إلّا حصائد ألسنتهم**).

الفــتن

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسولـه ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أما بعد أيها المسلمون: إننا في هذا الزمان نشاهد فتناً ، تتداعى وتتوالى على هذه الأمة من كل حدب وصوب بعد أن كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولكن بعد وفاة الرسول ﷺ بدأت الفتن تدبُّ إليها ، فكانت أول فتنة في المسلمين ، حروب الردّة ، وما تبعها من أحداث جسام ، ولذلك تنبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذا الأمر ، فكان يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن الفتنة ، فقال: يا أمير المؤمنين ، دونك ودونها باب ، فقال عمر : أَيُكْسَرُ ذلك الباب أم يفتح، قال: بل يُكْسَرْ ، فعلم عمر أنه المقصود بذلك ، والنبي ﷺ قد نبّه لهذه الفتن ، التي تصيب هذه الأمة في آخر الزمان ، حيث قال : (إن أمتكم هذه، جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، فتجيء الفتنة، فيرقق بعضها بعضاً ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ، فلتأته منيّته وهو يؤمن بالله

واليوم الآخر) والحقيقة أن هذه الفتن ، لا تظهر في هذه الأمة إلّا عندما تظهر المنكرات ، فإذا ظهر الزنا والخمر والمعازف ، وقول الزور والبهتان ظهر فيهم الغلاء والوباء ، وانتشر فيهم الأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم ، وما هذه الحروب الطاحنة ومصائب الحالة الراهنة والفتن التي تموج كموج البحر والآفات التي في هذا الدهر، إلّا نتيجة للأخلاق الفاسدة ، والإعراض عن تعاليم الكتاب والسُنَّة ، شاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٥] والنبي ﷺ قد حذّر أمته من هذه الفتن، حيث قال:(**بادروا بالأعمال فتناً تقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل**) فإذا ظهرت هذه الفتن عمّت المجتمع كله ، وأصابت الصالح والفاسد ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال:٢٥] ولخطورة الفتن، فقد أشار إليها النبي ﷺ بقوله : (**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير، عوداً ، عوداً، فأيما قلب أُشربها ، نكت فيه نكتة سوداء ، وأيما قلب أنكرها ، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى يصبح القلب على قلبين ، قلب أبيض مثل اللّبن صافياً ، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، وقلب أسودٌ مرباداً ، كالكَوز مجخياً ، لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً ، إلّا ما أشرب من هواه**).

معنى الفتنة:

والفتنة لها معاني كثيرة ومختلفة ، فقد تأتي الفتنة بمعنى:الإبتلاء والإمتحان كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الذاريات:١٣] وقد تأتي بمعنى: المَيْل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الإسراء:٧٣]
وقد تأتي الفتنة ، ويُقصدُ بها: الإثم والخطيئة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [التوبة:٤٩] .

أنواع الفتن :

والفتنة أيها الإخوة ، كثيرة ومتنوعة ، منها أولا : -

١-فتنة الدنيا: وهي من أعظم الفتن ، التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله (**كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم ، أي قوم أنتم؟** قال: عبد الرحمن بن عوف نكون كما أمرنا الله ، قال: **أو غير ذلك ، تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتقاطعون**) وعليه فإن النبي ﷺ لم يخشى على أمته من الفقر ، ولكن خشي عليهم من الدنيا ، وما فيها من شهوات وملذات ، كان يخشى على الأغنياء أكثر من الفقراء ، ولذلك قال: (**والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على الذين من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم**) ولهذا فقد بالغ العلماء في التحذير من الدنيا ، حتى أنهم جعلوا مجرّد النظر إليها ، أو الإشراف عليها مذموماً ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه:١٣١] .

إذًا:الدنيا بما فيها من شهوات وملذات لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولذلك يرى النبي ﷺ أحد أصحابه يرمم داره ، فقال له: (**يا فلان ، إن الأمر أقرب من ذلك**) وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخذ النبي ﷺ بمنكبي ، فقال: (**يا عبد الله ، كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل**) وكان عبد الله بن

عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك) .

ثانياً من الفتن:

٢-الفتن في الدين: وهي من الفتن التي انغمس فيها كثير من الأولين والآخرين ، وبُلِي فيها كثير من المؤمنين ، حيث قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:١-٣] المقصود بالناس: هم المؤمنين ، الذين أوذوا وعذّبوا في سبيل الله ، كأمثال: بلال ، وعمار ، وياسر ، وصهيب ، وغيرهم من الصحابة الكرام .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد بالناس ، قوماً من المؤمنين ، كان كفّار قريش يعذبونهم في سبيل الله ،يؤكد ذلك حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه ، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ ما نحن فيه، فقال:(**إنه من كان قبلكم ، يؤخذ الرجل، فيوضع المنشار على مفرق رأسه ، ويشق نصفين ، فما يردّه ذلك عن دينه**) ولهذا يجب أن تعلموا أن المؤمنين والمتمسكين بدينهم، أشد بلاءً من غيرهم، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (**أشد الناس بلاءً ، الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابة ، زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقّة، خفف عنه**) .

ومن المعاني التي يشير إليها هذا الحديث ، ما تعرّض له الأنبياء من الفتن والإبتلاء ، فقد أُبتلي: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدﷺ، وكذلك أُبتلي خبيب وعمّار وياسر وبلال رضي الله عنه ، ولكن بعض الناس لا يريد أن يهيء نفسه للإبتلاء في سبيل الله ، بمعنى: أنه يريد إسلاماً مريحاً ، ليس فيه

تضحيات، وليس فيه مشقّات، يصف الله عزوجل حال هؤلاء المذبذبين في دينهم ، بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾

[الحج : ١١].

وكذلك من الفتن التي تصيب الإنسان:

٣-فتنة المال: بمعنى آخر، فتنة الغنى، فالغِنَى يعتبر في حدّ ذاته فتنة ، وكذلك الفقر يعتبر فتنة ، لأن شدة الحاجة قد تجعل الفقير يرتكب المحرمات ، يسرق ، أو يغتصب ، أو يقتل ، ويساعد الفقر أيضاً: على إنتشار الرذيلة والفاحشة بين الناس ، والذي يؤكد ذلك ، قصة تلك المرأة، التي كان لها ابن عم يحبّها ، ويراودها عن نفسها ، فكانت تأبى ذلك وتَمْنَعهُ، فألّمْتْ بها حاجة ذات مرّة ، فطاوعته ، وسلّمت نفسها إليه ، فلما كان بين شُعَبِهَا الأربع ، قالت له: يا هذا ، اتق الله ، ولا تفضّ الخاتم إلّا بحقه) هذا بالنسبة للفقر ، أما الغنى فإنه يقودك إلى مهالك كثيرة ، كما قال ﷺ : (**إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال**) فالمال: قد يجعلك ، تبطر ، تتكبر ، تسرف، تطمع ، تحسد ، تمرض ، تموت ، تعيش مهموماً ، تُقلُّ من العبادات ، ترتكب المحرمات ، وكذلك المال ، قد يجعلك تبخل ، ويدخلك تحت قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة:٣٤] وجاء التحذير في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٠] كذلك من الأدلة على نتائج البخل ، قصة

الأعمى والأبرص والأقرع ، وقصة أصحاب الجنة الذين ذكروا في سورة القلم ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القلم:١٧] إذًا: صفة البخل سيئة ، وأسوأ منها ، أن يكون الإنسان فقيراً ، ثم يدعو الله أن يوسِّع عليه ، فلمّا أغناه من فضله يبخل بما آتاه ، قال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [التوبة:٧٥ - ٧٦].

كذلك من الفتن:

٤-فتنة الأولاد: وهي من الفتن التي علا شأنها في هذا الزمان ، فالله عز وجل قد حذّر من هذه الفتنة ، بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن:١٤] وكاد نوح عليه السلام أن يفتتن بولده ، لذلك قال : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود:٤٥] ولهذا فإن فتن الأولاد كثيرة ، منها: الغرور بهم ، العقوق ، التربية ، كفالتهم ، زواجهم، المرض ، الأذى ، الموت ، ومن الأدلة على ذلك ، قوله تعالى ، في قصّة الوليد بن المغيرة ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المدثر:١١-١٥] وكذلك من الأدلة على فتن الأولاد ، قوله عليه الصلاة والسلام (الولد: مجبنة ، مبخلة ، محزنة) .

كذلك من الفتن:

٥-فتنة الزوجة: لأن الله -عزوجل- يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن:١٤] بدأ أولاً

بالزوجة على الأولاد، وذلك لأن فتنة الزوجة أعظم من فتنة الأولاد، وفتنُ الزوجة كُثُرْ ،منها:حصول الخلافات بين الزوجين،الإسراف في النفقة، الزواج من امرأة غير متدينة ، ولذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: (**فاظفر بذات الدين تربت يداك**) وحذر ﷺ من المرأة السيئة بقوله: (**إياكم وخضراء الدمن**) ، ومن الفتن:

٦-فتنة الجاه والسلطان: غالباً ما تؤدي هذه الفتنة إلى الظلم والجبروت، واستخدام اليد والبطش بالآخرين في غالب الأحيان ، وكذلك تؤدي إلى احتقار الآخرين وإرغامهم على القيام وتقبيل الأيدي والركب ، وفتنة الجاه أكبر صورة لها فرعون ، لأنه استغل منصبه ومكانته في قومه ، فبطش بهم بطش الجبارين ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص:٤] والنبي ﷺ حذّر من فتنتين عظيمتين ، حيث قال: (**ما ذئبان جائعان ، أرسلا في غنم ، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**) والمعنى: أن حرص المرء على المال والجاه ، أشد إفساداً للدين من الذئبان الجائعان ، عندما يكونان في حظيرة للأغنام .

كذلك من الفتن:

٧-فتنة الإختلاف وانعدام الأمن والأمان: وهذه من أعظم الفتن التي يخشاها الناس ، عندما يكون هناك حروب ومشكلات ، تعمّ الفوضى في المجتمعات ، وتنتشر الجرائم والسرقات ، فيكثر القتل والتخريب ، وتضييع الحقوق ، وتنهب الأموال ، وتنتهك الأعراض .

ومن الفتن أيضاً:

٨-فتنة النساء: والنبي ﷺ قد أشار إليها بقوله : (**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**)، ويقول أيضاً في حديث آخر : (**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**) ومن الذين تعرّضوا لهذه الفتنة ، يوسف عليه السلام ، عندما راودته امرأة العزيز عن نفسها ، لكن الله -سبحانه وتعالى- عصمه من هذه الفتنة ، لذلك يجب أن يَحْذَرَ المسلمون من هذه الفتنة ، فقد ذَكَرَ ابن كثير-رحمه الله- عن أحد المسلمينَ ، أنه خرج للغزو في سبيل الله ، وبينما هو في طريقه افتتن بإمرأة نصرانية ، فبقي عندها حتى عاد جيش المسلمين ، ومرّوا عليه ، فقالوا له: ماذا فعل صيامك ، ماذا فعل قرآنك ، ماذا فعلت صلاتك ، فقال: والله لقد أنسيت القرآن كله ، إلّا آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجر: ٢ - ٣] هذه فتنة النساء ، **ومن أسبابها أولاً:**

التبرج والسفور : لأن الرسول ﷺ يقول : (**المرأة عورة ، فإذا خرجت ، استشرفها الشيطان**) ويقول ﷺ في حديث آخر : (**صنفان من أهل النار ، صنف معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، وصنف آخر ، نساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**) .

ومنعاً لدواعي الفتنة،أمر الله عز وجل نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين، بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

[الأحزاب:٥٩] ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها بعد نزول هذه الآية: (رحم الله نساء الأنصار ، ما رأيت مثلهنّ ، كنّا يَسرْنَ خلف النبي ﷺ متعجرفات بمروطهن ، كأنهن على رؤوسهن الغربانَ) .

هذه صفة الحجاب التي أمر الله بها ، أما اليوم ، فقد أصبح الحجاب يعتبر نوعاً من أنواع الزينة ، وبالأخص ذلك النقاب الذي أصبح الآن يفتن الرجال ، ويحرك الشهوات في نفوسهم ، ولذلك فقد سُئلَ فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله -عن هذا النقاب الذي يكشف وجه المرأة من وراءه ، والذي هو زينة في نفسه والذي تستخدمه بعض النساء استخدامًا غير صحيح ، فقال -رحمه الله-: أرى أن يُمنع منعاً باتاً ، لما فيه من الأضرار ، وسوء الإستخدام .

وعليه فإن للحجاب الشرعي ، ضوابط وأسباب منها أولاً:

١- أن يكون ساترًا لجميع البدن ، وتغطية الوجه والكفين هو الأولى .

٢-أن يكون فضفاضاً غير ضيق .

٣- أن لا يكون زينة في نفسه .

٤- أن لا يكون مُعطرًا .

٥-أن لا يكون ثوب شهرة ، لقول الرسول ﷺ : (**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**) .

٦-أن لا يشبه لباس الرجال ، لقول الرسول ﷺ : (**لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء**) .

٧-أن لا يشبه لباس الكافرات، لقول الرسولﷺ:(من تشبه بقوم فهو منهم).

كذلك من أسباب فتنة النساء:

كثرة الاختلاط: والنبي ﷺقد حذّر من ذلك أشد تحذير، حيث قال (إياكم والدخول على النساء، فقال أحد الأنصار ، أفرأيت الحمو ، قال: الحمو ، الموت) وهذا الإختلاط ، قد يجعل المرأة يُطْلَقُ عليها زانية ، لقول الرسول ﷺ :(أيما إمرأة استعطرت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية) ومنعاً لهذه الخطورة ، فقد نهى رسول الله ﷺ أن تسافر المرأة لوحدها ، حيث قال -عليه الصلاة والسلام- (لا تسافر المرأة إلّا مع ذي محرم ، قال ذلك وهو يخطب من على المنبر ، في أيام الحج، فقال أحد الحاضرين: يا رسول الله ، إن امرأتي ذهبت حاجّة ، وإني إكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال عليه الصلاة والسلام: انطلق ، فحجّ مع امرأتك) .

ومن الفتن العامة أيضاً:

٩-الفتن في آخر الزمان: كما بيَّن ذلك النبي ﷺ بقوله : (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل) وقال ﷺ : (إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه) هذه الأمة ، سيمّر بها بلاء وأمور تنكرونها ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : (وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضاً) ويصف الرسول ﷺ حالة الناس في آخر الزمان ، بقوله: (لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيتمرغ فيه ، ويقول: يا ليتني صاحب القبر هذا ، وليس به دين ، إلّا البلاء) وفي هذا السياق ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : سيأتي عليكم زمان ، لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه بماله ،

ومن شدة البلاء والفتن في آخر الزمان ، يستعجل الناس خروج الدجال، كما قال ﷺ: (**يأتي على الناس زمان يتمنون فيه الدجال من شدة ما يرون من العناء والعناء**) وقال ﷺ : (**لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض ، فيبقى فيها عجاجة يتهارجون تهارج الحُمُرْ**) ومن هناك تستمر هذه الحالة ، وهذه الفتن ، حتى يظهر المهديّ وينزل عيسى عليه السلام ، كما قال ﷺ : (**إن هذا الأمر يبدأ نبوة ورحمة ، ثم يكون ملكاً عضوضاً، ثم يكون ملكاً جبرياً ، ثم تكون الخلافة**) وروى الطبراني في معجمه، قوله عليه الصلاة والسلام: (**سيكون بعدي خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك ، ثم يخرج رجلاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطً ، كما ملئت جوراً وظلماً**) وفي آخر الزمان، تنتشر المعازف وأعمال الجاهلية، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (**ليكونن أقوام من أمتي ، يستحلون الحرّ والحرير والخمر والمعازف**) وروى الترمذي في سُننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**من أشراط الساعة ، ظهور المعازف ، وشرب الخمور، وكثرة الشرط ، وكثرة أولاد الزنا ، وفشو التجارة ، حتى تعين المرأة زوجها بالتجارة**) ومنها في آخر الزمان ، ما حدّث به رسول الله ﷺ عن الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين ، كما جاء في الحديث الصحيح ، قوله -عليه الصلاة والسلام-: (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا ، أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل**) وقال ﷺ : (**ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحدٌ إلّا أكل الربا ، ومن لم يأكل منه أصابه من غباره**) وما نراه اليوم ، من فسادٍ في القيم والأخلاق والتصورات ، إلّا دليلٌ لقول الرسول ﷺ : (**قبل الساعة سنوات خدّاعة ، يُكذب فيها الصادق ، ويُصدّق فيها الكاذب ، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قالوا: وما الرويبضة يا رسول**

الله؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة).

ومما يجب أن يُعْلَمْ أن فتنة المسيح الدجال من أعظم الفتن في آخر الزمان، لأنه يفتن الناس بما يأتي به من خوارق العادات ، فينزل المطر ، وينبت الزرع ، ويحي الموتى ، ويشفي المرضى ، وعنده جنّة ونار ، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، ولذلك فإن أكثر أنصاره وأتباعه من النساء كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، قوله -عليه الصلاة والسلام- : **(فيكون أكثر من يخرج إليه النساء ، حتى أن الرجل يعود إلى أمه وابنته ، فيشدُّ وثاقهما ، خشية أن يخرجنَ إليه)** .

المخرج من الفتن

إذا : فما هو علاج الفتن ، علاجها أن يدافعها الإنسان بقدر استطاعته ، وأن يتغلب عليها بسلاح التقوى والإيمان ، من هذه العوامل أولاً:

١ -**أن يبتعد الإنسان عنها بقدر الإستطاعة**،وأن يتجنب مواطن الفتن والشبه، كما قال ﷺ :(من اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه) .

كذلك من العوامل المساعدة:

٢ -**الإعتصام بالكتاب والسنة**: تأسياً بقول الرسول ﷺ : **(تركت فيكم شيئين، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسُنّتي)** ويقول في حديث آخر : (عليكم بسُنَّتي ، وسُنَّة الخلافاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضو عليها بالنواجذ) وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

٣ -**الإنقطاع عن الناس واعتزالهم:** وهذا لا يكون إلّا في الدرجة القصوى،

وفي آخر المطاف ، عندما يصل الإنسان إلى مرحلة اليأس ، كما يقولون: إذا بلغ السيل الربى ، أو يقولون: آخر العلاج الكيّ ، فهنا في هذه الحالة ، يمكن اعتزال الناس ، كما قال ﷺ عند البخاري في صحيحه : (**يوشك أن يكون خير مال المرء المسلم ، غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن**) وجاء في حديث حذيفة رضي الله عنه حينما قال: (**فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعضّ بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**) رواه البخاري ومسلم .

كذلك من الأسباب المنجية:

٤-كثرة الصلاة والذكر والدعاء: ولهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله من الفتن في التشهد الأخير من كل صلاة، حيث قال -ﷺ-:(**إذا تشهد أحدكم ، فليستعذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال**) وقال أيضاً في حديث آخر : (**استعيذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن**) رواه مسلم ، وأمر ﷺ أزواجه، بكثرة الصلاة عند حلول الفتن ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (**سبحان الله، ماذا أنزل من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ، من يُوقظ صُوَاحبَ الحجرات (لكي يصلّين)** رب كاسية في الدنيا ، عارية في الآخرة) ولهذا لمّا كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ خرج من بيته مسرعاً ، يخشى أن تكون الساعة ، إذًا: الدعاء سلاح فتّاك ، والسلاح بضاربه ، والله يقبل الدعاء من قلب خالص مفعم بالإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(النمل ٦٢) .

وقال ﷺ : (**ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل ....الخ**) ولقد ناداه يعقوب ، وزكريا ، ويونس بن متّى .... والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

اللهم اجعل القرآن العظيم في الدنيا للمؤمن رقيباً وبعد الوفاة له رفيقاً، وفي القبر له أنيسًا ، وميزان طاعته به ثقيلا ، وفي الحشر له شفيعًا وكفيلاً ، وعلى الصراط سائقًا ودليلاً ، وفي الجنة أبد الآبدين له أنيساً وخليلاً .

والحمد لله أولاً وآخرًا على توفيقه وهداه، وهو وحده المستعان،لا إله غيره ولا رب سواه ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين





الفهرس



من أحدث مطبوعات دار الإيمان



المُنَاسَبَات الهِجْرِيَة

الجُزْءُ الأَوَّل

كتبه

محمد ناجي سنان

عفا الله عنه





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

الخطيب الناجح

الرقائق والإيمانيات

الجزء الثاني

كتبه فضيلة الشيخ

محمد ناجي سنان

عفا الله عنه





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

الخطيب الناجح

مواضيع منوعة

الجزء الثالث

كتبه فضيلة الشيخ

محمد ناجي سنان

عفا الله عنه



